

أمريكا تحت الميكروسكوب

تأليف

دكتور زكي خالد

مدير عام الإدارة الطبية بالسجون
سابقا



الناشر مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى بالقاهرة

Bibliotheca Alexandrina



0245404

٧٨٩٩

أميركا تحت الميكروسكوب

AMERICA UNDER THE MICROSCOPE

تأليف

الدكتور زكي خالد

DR. ZAKI KHALED

M.D., D.T.M. & H., D.P.H.

بكتريولوجي بحالة معهد لستر بلندن
وبعامل وزارة الصحة بمصر
مدير عام الادارة الطبية بمصلحة السجون سابقا

١٩٥٤

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع مدني باشا - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَدِمَة

عدت مع أولادى مساء الجمعة الرابع عشر من شهر مارس سنة ١٩٥٢ قافلين من السويس حيث كنا نقضى أجازة الويك إند . فوجدت فى انتظارى أسعد مفاجأة — تلك هى خطاب سلم باليد لمن كان فى المنزل هذا نصه :

وزارة الخارجية الأمريكية
السفارة الأمريكية

القاهرة فى ٨ مارس سنة ١٩٥٢

عزيزى دكتور زكى خالد

إن حكومة الولايات المتحدة ترغب فى تشجيع القادة المصريين فى مختلف ميادين النشاط على زيارة أمريكا حتى يشاهدوا بأنفسهم مقدار التقدم ويتموا تعارفهم الشخصى إلى زملائهم الأمريكيين .

ونحن نأمل أن يصبح فى الإمكان دعوة بعض أفراد قلائل لزيارة الولايات المتحدة لمدة تتراوح بين شهرين وأربعة خلال العام الحالى كضيوف على حكومتنا .

فإذا أمكن تنفيذ هذا البرنامج وإذا كانت هذه الفكرة تروق لك فنحن — نيابة عن السفير كافرى — نود أن نقترح إسمك ضمن القادة المصريين .

ويمكن القيام بالرحلة فى أى وقت خلال عام ١٩٥٢ ولكن الترتيبات النهائية لا بد أن تجهز قبل يوم ٣٠ يونيه .

فإذا كنت تريد أن نقترح إسمك فنرجو إعطاءنا الإستعلامات المطلوبة . وعند وصولها سنرسلها إلى واشنطنجتون سائلين عما إذا كان فى الإمكان عمل الترتيبات اللازمة لزيارة المعاهد والمؤسسات التى ترغب فيها حتى تصل إلى معرفة طرق البحث والأفكار الأمريكية فى الميادين العلمية التى تهتمك .

ولما نرجو مخلصين أن تهتمك هذه الفرصة لزيارة الولايات المتحدة كضيف على حكومتنا إذ أن كلا من مصر وأمريكا سوف تستفيد من تبادل الآراء الذى تتيحه هذه الزيارة .

وإذا عن لك أى سؤال فإنى مستعد لذلك فى أى وقت تشاء .

وإنى فى انتظار رد عاجل منك .

المخلص

روبرت بين

السكرتير الأول وضابط العلاقات العامة

وصدقنى أيها القارىء لقد وصلهم الرد عاجلاً فظالما تأقت نفسى لزيارة أمريكا . لقد زرت بلاد أوروبا مراراً وتكراراً وعرفتها أما أمريكا فلا بد أنها تختلف عن كل ذلك . ولكن ما الحيلة وهى بلاد بعيدة جداً يكلف الوصول إليها الكثير وعملتها صعبة — بل صعبة جداً — ولذا كنت على يقين من أنه لا يمكن زيارة هذه القارة الشاسعة والإستفادة عليها وأدياً من مثل هذه الزيارة إلا إذا كان ذلك مصحوباً بدعوة رسمية بأى شكل من الأشكال .

وكانت الاستعلامات المطلوبة تشمل الدرجات العلمية التي حصلت عليها والمباحث الطبية التي قمت بها وأين ومتى طبعت . والجمعيات والمعاهد العلمية التي أنتسب إليها والبلاد الأجنبية التي زرتها واللغات التي أتكلّمها وفوق كل ذلك المعاهد والأماكن التي أرغب في زيارتها بأمريكا وقد أجبت على ذلك بأنّي أرغب في التعرف إلى مدى التقدم في الطب وفي بحث ومعالجة الإجرام والجرائم وفي التقدم الزراعي ثم الإطلاع على الحياة الأمريكية الحقيقية .

قلت إنّى سارعت بالإجابة مسروراً بأن حلّى قد تحقق أخيراً . ولكنى أصدقك القول أنه بعد إرسال الرد ابتداءً القلق يساورنى ، إذ كيف أترك عمليّ بل أعمالى وعائلى وأولادى مدى أربعة شهور طوال . ولكن كان الإغراء شديداً والجائزة كبيرة تستأهل المجازفة والتضحية ولذا أخذت أرتب الأمور على اعتبار أن رد واشنطنون سيكون بالقبول .

ولأسباب عديدة تأخر وصول الرد حتى شهر يوليه مع أنّى كنت أمنى النفس بالقيام بالرحلة خلال شهور الصيف . ففي يوم ٢٤ من شهر يوليه سنة ١٩٥٣ وصلنى الخطاب الآتى :

عزيزى دكتور زكى خالد (بك)

إنّى سعيد أن أتقدم لك باسم حكومتى بدعوة لزيارة الولايات المتحدة كضيف على حكومتها لمدة أربعة شهور .

وستعمل الترتيبات لتقابل القادة الأمريكيين فى فروع تخصصك والفروع التى تهتمك ولكن التفاصيل سوف تترك لرغباتك أنت الخاصة . وإنّى لأرجو مخلصاً أن تتيح إقامتك بالولايات المتحدة الفرصة لزيادة

التفاهم المتبادل بين مصر وأمريكا وتعطيك فرصة الاستزادة من المعلومات
في ميادين تخصصك .

وسيكون الدكتور جيمس كيز الملحق الثقافي — سعيداً باعطائك كل
التفاصيل الخاصة بزيارتك لو تفضلت بمقابلته في أسرع فرصة .
وإني أرجو أن تتقبل تهانئى وأحسن تمنياتى لرحلة ممتعة ومفيدة إلى
الولايات المتحدة .

المخلص

جيفرسون دافرى

وهكذا ترى أيها القارىء أن الدعوة وصلتني ونحن في أول (ثورتنا
البيضاء) فكان هناك سقوط الملكية واشتعال الشعور الوطنى وتتابع
الأحداث الجسام ، فنذا الذى يستطيع أن يترك وطنه في وقت يكتب فيه
تاريخه الحديث المجيد ويطلب السفر لأمريكا مهما كانت رغبته عظيمة . كان
لا بد أن أبقى وأن أقوم بدورى في هذا الانقلاب الشامل وأن أشاهد عن
كشبه هذه الأحداث وأن يطمئن قلبى . وقد كان من حسن حظى أن تأخر
سفرى إلى ما بعد الثورة فأتى عند وصولى إلى أمريكا وجدت القوم هناك
يعلمون الشئ الكثير — بل الكثير جداً عن مساوىء فاروق وعائلته
وفضائهم ولا بد أنى كنت سوف أشعر بالخرج بل الخجل لو سافرت قبل
ذلك وسئلت عن أحوالنا . أما الذى حصل فهو أنى كنت نفوراً أينما ذهبت
لأحكي لمن أقابلهم عن الثورة وما حققته وما سوف تحققه للوطن . وسوف
تقرأ عن ذلك فيما بعد .

غادرت ميناء القاهرة الدولي في الصباح الباكر جداً يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ على إحدى طائرات شركة الخطوط الجوية العالمية T.W.A. وفي الحلق أنى لم أتردد في اختيار الطيران كوسيلة للوصول إلى أمريكا بل إنى لم أستعمل فى تنقلاتى هناك سوى الطائرة، إذ لا معنى لإضاعة الوقت الثمين فى وسائل الانتقال والأولى أن أصرفه فى مشاهدة المعالم التى أتيت خصيصاً لزيارتها .

وصلنا نيويورك بعد ٣٥ ساعة وبقيت فيها يومين للراحة قبل السفر إلى واشنطن وزيارة وزارة الخارجية الأمريكية لبحث تفاصيل برنامج الزيارات . وفيما يلى البلاد التى زرتها والمسافة بينها فى الجو .

مصر	إلى	نيويورك (طريق باريس)	٥٧٠١ ميلا
نيويورك	د	واشنطن	٢٠٤
واشنطن	د	نيويورك	٢٠٤
نيويورك	د	بافالو	٣٩١
بافالو	د	ديترويت (ميشيجان)	٢١٨
ديترويت	د	شيكاغو	٢٣٦
شيكاغو	د	روتشستر	٣٠٠
روتشستر	د	أوماها (نبراسكا)	٤٠٠
أوماها	د	سان فرانسيسكو	١٤٢٥
سان فرانسيسكو	د	لوس أنجلوس	٣٤٥
لوس أنجلوس	د	سان دييجو	٢٢٠
سان دييجو	د	ميامى (بطريق دالاس) ونيو أورليانز	٢٣٥٥

ميامى	إلى	أتلانتا (جورجيا)	٦١٠ ميلا
أتلانتا	د	نوكسفيل	٣٠٠ د
نوكسفيل	د	شتانوجا	٢٥٠ د
شتانوجا	د	ليكسنجتون	٢٥٠ د
ليكسنجتون	د	واشنطن	٤٠٠ د
واشنطن	د	نيويورك	٢٠٤ د
نيويورك	د	القاهرة (عن طريق لندن)	٥٧٠١ د

وبهذا أكون قطعت خلال هذه الرحلة أكثر من ثلاثين ألف ميل في الجو .

وقد ذكرت لك أن خطاب سعادة سفير أمريكا في دعوته الكريمة الموجه لى ذكر أن تفاصيل الرحلة ودقائقها سوف تترك لرغباتي الخاصة . وقد تركنى هذا الأمر فى شىء من الحيرة . حقيقة أن هذا سوف يعطينى الفرصة لاختيار زمان ومكان ما أريد زيارته ولكن ماذا تفعل فى هذه المملكة الشاسعة . لابد أن يضيع منى بعض الوقت فى البحث عن اللوكاندات وحجز الأماكن والسؤال عن خير ما تجب زيارته الخ ..

ولكن كان كلها مر الوقت كلها تأكدت أن هذه هى خير طريقة (لرؤية أمريكا كما يجب أن ترى) تراها بنفسك ولنفسك وقد أعطيتى فرصة فذة فى زيارة أماكن لم أكن قد فكرت فيها فكان كل من أقابله ينصحنى بزيارة مكان آخر يتصل بمطالبي ولا يكتفى بذلك بل يساعدنى فى عمل الاتصالات اللازمة وهكذا دواليك . وقد قابلت بهذا الشكل أشخاصاً يفوقون عدداً من كنت مزماً مقابلتهم عن الطريق الرسمى المرسوم . ولكن

هل كان ذلك ممكناً لو كنت في بلد آخر غير أمريكا؟ إننا نقول عن أنفسنا في الشرق أننا طيبون — طبيعتنا سهلة — يسهل التعرف إلينا وإننا كرماء مضيافون . ولكني أخشى أن الأمريكيان ينافسوننا في كل هذه الصفات : إنك في أمريكا لست في حاجة إلى التقديم والتعريف . بل ترى الجميع في استعداد للتكلم إليك وإعطائك ما تطلب من المعلومات ويشرح لك الأمريكي دقائق عمله وصناعته حتى مسراته ومتاعبه يخبرك عنها .

وإذا كنت في فندق فانك عند الرحيل تسمع الجميع يقولون لك (عد إلينا) Come Again وعند ما تقول لشخص أشكرك يقول لك مرحباً You are welcome فاذا كان الجواب من آنسة سمعته ملقياً إليك بصوت موسيقى حبيب .

لقد رأيت الكثير وقابلت الكثيرين وقت بعض الدراسات في شتى الفنون ومع أنى ألقى ثلاث إذاعات بالعربية ومحاور بالانكليزية في (صوت أمريكا) إلا أنى أشعر أن ما رأيته وما سمعته يستحق أن يلقى شيوعاً أكبر وأكثر دواماً . وهذا هو السبب في تدوين هذه المذكرات وإعدادها للطبع .

وليس الغرض منها أن تكون دليلاً سياحياً أو دراسة للمشاكل التي تواجهنا أو تواجههم ، وإنما الغرض منها نشأ من أننا الآن اتجهنا لإرسال رجالنا وشبابنا إلى أمريكا للدرس والدراسة كما أن الأمريكيان عرفوا أهمية التفاهم المتبادل بين بلدينا . ولذلك رأيت أنه يحسن بشخص قضى أربعة شهور سائحاً في تلك البلاد أن يصف لأبناء وطنه ما شاهد وما تأثر به . فاذا

قدر لهذه المذكرات أن ترى النور يوماً ما وأن يفيد منها أى شخص يزعم زيارة تلك البلاد العظيمة فسيكون ذلك مدعاة لارتياحى الكبير .

وقد سرنى بعد عودتى لمصر أن يصلنى خطاب من وكالة الأمن الفيدرالى Federal Security Agency قسم الصحة العامة خطاباً يذكرون فيه أنهم سعداء بأن يهدون شهادة الامتياز Certificate of Merit التى منحت لى بمناسبة زيارتى بعد أن تلقوا التقارير من مختلف المعاهد التى زرتها . ومع الخطاب شهادة ضخمة ضخمة .

ولكن ربما ما اعتز به أكثر هو الخطابات التى تصلنى من روتشستر (مايوكلينيك) ومن أطباء بارك ودافيس وسان ديجو وشيكاغو وغيرهم من الأصدقاء الممتازين يسألون عن بعض المسائل الطبية المحلية وعن معلومات عامة أخرى وإنى لأرجو مخلصاً أن يتمكن الكثير منهم من زيارة مصر فى فرصة مقبلة لأرد لهم ما فى عنق من دين .

واشنطن

WASHINGTON

زرت واشنطن مرتين في أول وفي ختام رحلتى . وقد سبق لى أن قلت إنى لا أقصد من هذا الكتاب أن يكون دليلاً سياحياً ولذا سأصف لك ما أعجبنى فقط .

ولا بد لى أن أخبرك إنه يجب عليك عند وصولك لهذه العاصمة أن تدرس خريطتها وألا لما أمكنك فهمها ولا العثور على الأماكن التى تبغى زيارتها .

ونظام الشوارع متماثل وجميل وتتفرع الشوارع الكبيرة من المركز الرئيسى الذى يمثله الكايتول Capitol والبيت الأبيض White House والشوارع متوازية ومتقاطعة والمتجهة إلى الشمال والجنوب تحمل أرقاماً (١ - ٢ - ٣ وهكذا) أما المتجهة شرقاً وغرباً فتحمل الحروف الأبجدية (أ - ب - ج) ولكن الذى يفسد الصورة المتناسقة هو وجود شوارع كبيرة Avenue وتريه Diagonal تحمل اسم المقاطعات الأمريكية . وتختلف واشنطن عن العواصم الأخرى أمثال لندن وباريس وروما ، فهذه كلها « صارت » عاصمة للبلاد أما واشنطن فقد « بنيت » وأسست لتكون عاصمة أمريكا .

والآن لنصف بعض المشاهد الهامة :

المركز الدولى براشجتون International Center

أحب أن أصف لك هذا المكان قبل كل مكان آخر مع أنه أصغرهما

جميعاً ولكنه كان أول مكان ذهبت إليه وتعرفت فيه إلى نخبة من الأمريكيان ومن غيرهم من زوار الولايات المتحدة من مختلف الشعوب ولا يقتصر الأمر على التعارف فقط بل تبادل الآراء في شئون أوطاننا . ثم هم يلقون عليك أحاديث عن شتى وجوه الحياة في أمريكا ولم تمكنني مشاغلي الكثيرة من حضور سوى الحديث الأول وشرح المتحدث فيه أصل كلمة Yankee « ينكي » فقال إن الهولنديين الأوائل كانوا ينطقون Eunglish بدلا من English ثم هاته انقلبت إلى Yankee ثم تطور الأمر إلى إطلاقها على الأمريكي بدلا من الإنجليزى .

وكذلك شرح أصل O.K. فقال إنه فى سنة ١٨٤٠ كان هناك تاجر اسمه فان بوارن وله ابن اسمه أولد كندر هوك Old Kinderhook ورشح الابن نفسه لانتخابات الرئاسة وكان محبوباً . فكان الشخص يقابل الآخر ويسأله من ستنتخب فيجيب أولد كندر هوك ثم اختصروها إلى O.K. ثم صارت تطلق عندما يتفق إثنان على شئ مثل d'accord بالفرنسية .

وقد طلب منى فى ختام أسبوع الأحاديث أن أحضر وأتكلم عن ثورتنا العظيمة وما أتمته وما تعزم إتمامه وسئلت عدة أسئلة من الحضور ثم تكرم رئيس الجلسة فتمنى النجاح والتوفيق لمصر وأضاف « هناك بلد آخر (يقصد أمريكا) سيتولاها جنرال آخر (يقصد ايزنهاور) وترجو أن تتقدم هى الأخرى على يدى قائدها الجديد » .

الكاپيتول The Capitol

هذا هو أهم مبنى فى العاصمة ويقع على تل مرتفع وحوله حديقة

مساحتها ١٢٠ فداناً ويمكن رؤيته من أى جهة ألم أقل لك إنه المركز الذى تتفرع منه كل الطرق . وهو مركز التشريع الأمريكى منه تخرج شتى القوانين وتصدر أهم أمور سياسة الولايات المتحدة .

وتبهرك أبوابه البرونزية الضخمة بفنها الرفيع ومنها تدخل إلى الصالة الكبيرة الدائرية بقبتها المرتفعة حوالى ١٨٠ قدماً وعلى جدران هذه الصالة ترى ثمانية لوحات أربع منها تمثل التاريخ الأمريكى القديم والأربع الأخرى تمثل بعض حوادث الثورة الأمريكية . ومن هذه الصالة تدخل إلى صالة التماثيل المحتوية على تماثيل عظماء الأمريكان وبعض التماثيل المعنوية الأخرى . ويجب أن تزور قاعة مجلس النواب وقاعة مجلس الشيوخ ولم يكن أى من المجلسين منعقداً وقت زيارتنا ولكننا أحسنا برهة المكان الذى تتخذ فيه القرارات الخطيرة .

ويلحق بالبناء مكاتب المجلسين ولكل عضو مكتب نفخ منخه له ولسكرتيره . وكل مباني الكايتول متصلة ببعضها ثم هناك طريق حديدى فى البدروم يركبه النواب والشيوخ عند ما يستدعون على عجل للتصويت أو لاتخاذ قرار هام .

مكتبة الكونجرس The Congress Library

وهذا مبنى نفخ على طراز النهضة الإيطالى مكون من ثلاثة أدوار على مساحة قدرها أربعة أفدنة ومع ذلك تجد كل زاوية وكل ركن منه ساطع الضوء نظراً لوجود ألنى شباك للبناء .

وهو قريب من الكايتول وفى الجهة الشرقية منه ويحوى ذخراً ثميناً

(لا يقدر بثمن) من المطبوعات والمخطوطات النادرة والمعلومات القيمة
قوامها أربعة ملايين ونصف كتاب تشغل نحو خمسين ميلا من الأرفف
ومع ضخامة هذا العدد فأنت واجد أى كتاب تريد بالسرعة التى تجد بها
كتابك فى مكتبتك الشخصية . ولا بد أن أذكر أن نواة هذه المكتبة
العظيمة كانت مجموعة الرئيس توماس جيفرسون .

والدور الأرضى مشغول بالمكاتب والرئاسة ثم غرف القراءة
للمكفوفين .

ثم ترى السلم المرمى الفخم الذى يقودك إلى الدور الأول حيث
غرف المطالعة العامة والخاصة — وأقصد بالخاصة تلك التى يستعملها من
يريد الإنفراد للإطلاع على المخطوطات أو المجموعات النادرة . وكذلك من
يكون مشتغلا بإعداد بحث أو رسالة فتخصص له غرفة خاصة يستعملها طالما
شاء . وربما كانت أئمن تلك المخطوطات هو وثيقة إعلان الاستقلال
Declaration of Independence وكذلك دستور الولايات المتحدة
Constitution

وهما محفوظتان ومعروستان فى أدراج زجاجية للإطلاع عليهما .
(ملحوظة) منذ ثلاثة شهور روى نقلهما وحفظهما بعيد عن الضوء
خوفاً عليهما من التلف .

مكتبة فولجر شكسبير المتزاوية: Folger Shakespeare Library

هذه قرية من مكتبة الكونجرس وقد أنشأها هنرى فولجر لتضم
مجموعة الشاعر الإنجليزى العظيم وبعض آثاره ولذا تجد المبنى من الداخل على
طراز عصر الملكة اليبابات وبه غرفة عرض الآثار وكذا مسرح صغير .

المحكمة العليا The Supreme Court

وهذا أيضاً قريب من الكايتول وعلى الطراز الإغريقى الكورنى.
بأعمدته الضخمة من الرخام وكذا جدرانه وأرضيته . وقد كان لى حظ
حضور إحدى جلسات المحكمة العليا تحت رئاسة القاضى فنسن الرئيس
الأعلى وكل شىء حولك يوحى بالإحترام للقضاء .

ثم يحوى البناء مكتبة قضائية كبيرة وغرفة للقراءة وطبعاً مكاتب
القضاء ومكاتب الموظفين .

البيت الأبيض The White House

هذا هو أهم مبنى فى العاصمة بعد الكايتول وحوله حديقة غناء ولا يبعد
كثيراً عن نهر بوتوماك The Potomac River

ولا بد لك أن تزوره على الأقل لترى المكان الذى سكنه كل رؤساء
الولايات المتحدة (ما عدا أولهم) فهناكم اجتمع عظماء وسياسيون
وصحافيون وكما اتخذت قرارات خطيرة طول القرن ومع ذلك لا ترى فى
الخارج ولا فى الداخل ذلك البذخ الذى يميز مشلاته فى البلاد الأوروبية
سوى الصور الجميلة والتجف الفخم والأبسطة الثمينة والستائر الغالية .

وكان الرئيس جون أدامس أول من سكنه سنة ١٨٠٠ ثم احترق.
المكان أثناء الحرب سنة ١٨١٤ ثم أعيد بناؤه وسكنه الرئيس مونرو سنة
١٨١٧ وكان لونه سنجابياً فى الأصل ولما اسودت جدرانه من الحريق طليت
باللون الأبيض لتخفى آثار الحريق ومن هنا اشتق اسمه .

مصالح الطباعة والحفر Dept. of Printing and Engraving

ترى هنا أكبر آلات للحفر في العالم وأدقها إذ أنها تطبع كل أوراق البنكنوت والسندات وطوابع بريد الحكومة الأمريكية وتتخذ احتياطات غير عادية لعدم الوقوع في أي غش أو خطأ كما أن الألواح التي تستعمل في طبع البنكنوت يحافظ عليها محافظة شديدة وترى في كل دور ممرات علوية خاصة يشاهد منها الزوار عمليات الحفر والطبع لكل ذلك .

مصالح العدل Dept. of Justice

زرت هذا المبنى مرتين : الأولى لأقابل السادة مستر بنيت Mr. Bennett المدير العام للسجون والإصلاحات والمستر مولر Moeller مساعده وكذلك الدكتور كرومبايجل Dr. Krumbigel المدير العام للخدمات الطبية وذلك لرسم برنامج زيارتي لبعض سجون أمريكا ومعاهد الإصلاح وقد تكرم هؤلاء السادة بإرشادي لكل ما أردت ولم يكتفوا بذلك بل كتبوا خطابات توصية عن شخصي الضعيف وأرسلوها للقائمين بشئون تلك المعاهد وكنت أينما ذهبت ألقى ترحيباً حاراً ومساعدة قيمة ولا شك أنه كان لما كتب في هذه الخطابات شأن كبير في هذا الترحيب وهاته المساعدة .

والمرة الثانية كانت لزيارة مكتب البحث الجنائي الفيدرالي Federal Bureau of Investigation المعروف باسم F.B.I. وهو الذي يشهر الحرب العوان على الجريمة والجرمين وقد شاهدت مجموعة ضخمة جداً من الآلات العجيبة التي استعملت في ارتكاب الجرائم وعلى كثير منها اسم من استعملها وتاريخ استعمالها . كما أن قسم البصمات يضم الملايين والملايين ويزيد عدد البصمات التي تضاف يومياً بمعدل ٢٧٠٠ في اليوم ١١

وزارة الزراعة Dept. of Agriculture

لا أريد هنا أن أصف لك البناء ولا محتوياته وإنما أذكره لأخبرك أنى أثناء رحلاتى رأيت العجب فى التقدم الزراعى ومخاربة الآفات وحفظ الأغذية والفواكه والحيوانات والمواشى الخ . . . وكنت متلهفاً للاطلاع على أبحاث خاصة بشىء من هذا القبيل ، فقبل لى اتصل بوزارة الزراعة فطلبت كتابتها فوجدته محتوياً على كل ما يخطر على البال وكذلك على ما لا يخطر على بال . أتريد مثلاً : رسالة عن إصلاح ماكينات الخياطة ورسالة أخرى عن كيفية تفصيل ملابس السيدات وخياطتها . ستضحك ولكن كم فائدة هذه الرسائل لمن يكون فى مزرعة نائية بعيدة عن كل عمران .

(ملحوظة) كتبت فى طلب بعض هذه العجالات فجاءت بـرجوع البريد.

البنتاجون The Pentagon

ربما كان هذا أعجب مبنى رأيته وهو مخصص لمكتب وزارة الدفاع ويقع فى الجزء العسكرى من واشنطن على نهر البوتوماك من جهة فرجينيا وأعتقد أنه أكبر مبنى للمكاتب إذ أنه يضم ثلاثين ألف موظف فى شتى فروع وزارة الدفاع ، ولا يمكنك أن تدخله إلا بإذن خاص ولعمل خاص . وقد تفضل صديق الكابتن دى ويت هامبرجر بالطواف معى به وتقديمى لبعض أصدقائه الأبطال خصوصاً اليراميرال أوستن مدير العمليات الحربية وكانت لنا مباحثات مفيدة عن الشرق وخاصة عن مصر والعلاقات المصرية الأمريكية .

وقد تم إنشاء البنتاجون فى أقصر وقت ممكن أثناء الحرب العالمية

الثانية وتم في أول سنة ١٩٤٣ ويشغل مساحة ٣٤ فدان وبه ١٨ ميلا من
الطرق الداخلية corridors وهو مكون من خمسة أدوار وبدرومين أى
خمس حلقات حول حوش أوسط ثم تتفرع من الوسط عشرة طرقات
كأبسيط العجلة spikes of wheel ويمكن أن يوضع مبنى الكايتول في
أى من هذه الخمسة أقسام ومع كل هذا الإنساع فإن أقصى مسافة بين
أى غرفتين (في طابق واحد) لا تزيد عن ١٨٠٠ قدماً تقطعها في ست دقائق على
أكثر تقدير . وهذا عمل باهر وفن عظيم .

ثم هناك نظام مدهش من خمس طرق طولها ثلاثون ميلا توصل إلى
البناء فلا يحدث أى اضطراب فى المواصلات .

أما البدرومات فمنحصة لأمكنة الطعام وحوانيت البضائع المختلفة
والبنوك وهذا أمر ضرورى إذا لاحظنا أن سكان هذا المبنى الضخم
ليس لديهم وقت يشترون ما يحتاجون إليه من الخارج ولذا فهم يشترون كل
ما يريدون من الداخل .

الآثار والتماثيل

تذكارة واشنطن The Washington Memorial

أو مسلة واشنطن

إن فكرة تخليد ذكرى جورج واشنطن نشأت فى نهاية حرب
الثورة ومع ذلك لم يوضع الحجر الأساسى إلا فى ٤ يولييه سنة ١٨٤٨ ولم
يتم إلا بعد ٣٦ عاماً وربما كانت هذه المسلة الرخامية أعلا مشايلاتها إذ تبلغ
٥٥٥ قدماً ولها طرف مدبب مغطى بالألومينيوم ويمكنك الصعود إلى غرفة



المؤلف أثناء زيارته معهد الأبحاث الطبية للبحرية وعلى يمينه مدير المعهد الدكتور كيلرن
وعلى يساره الدكتور فيليبس

مدفن واشنطنجتون



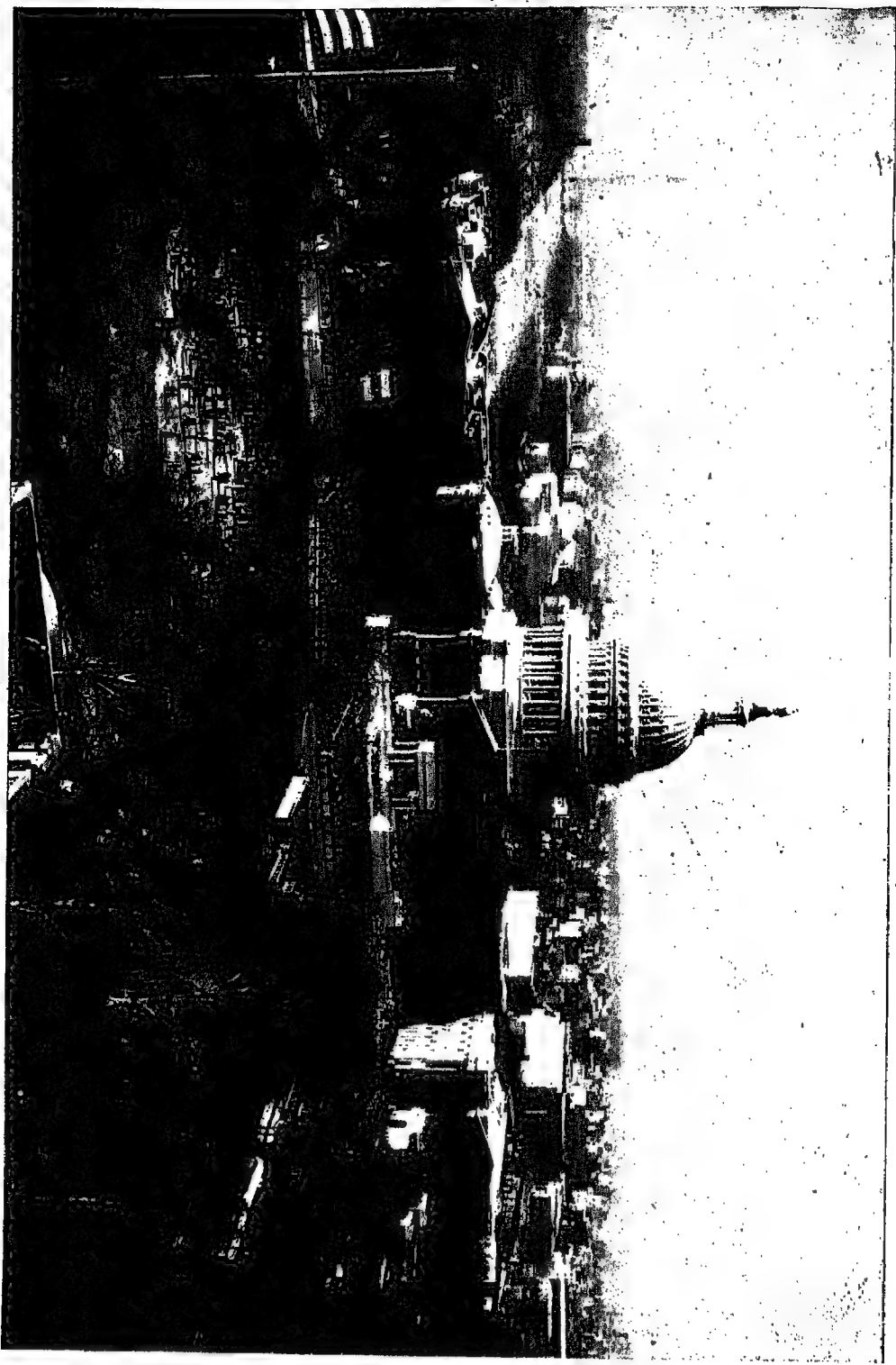
جورج واشنطنجتون
وزوجته مارتا



مدفن الجندي المجهول



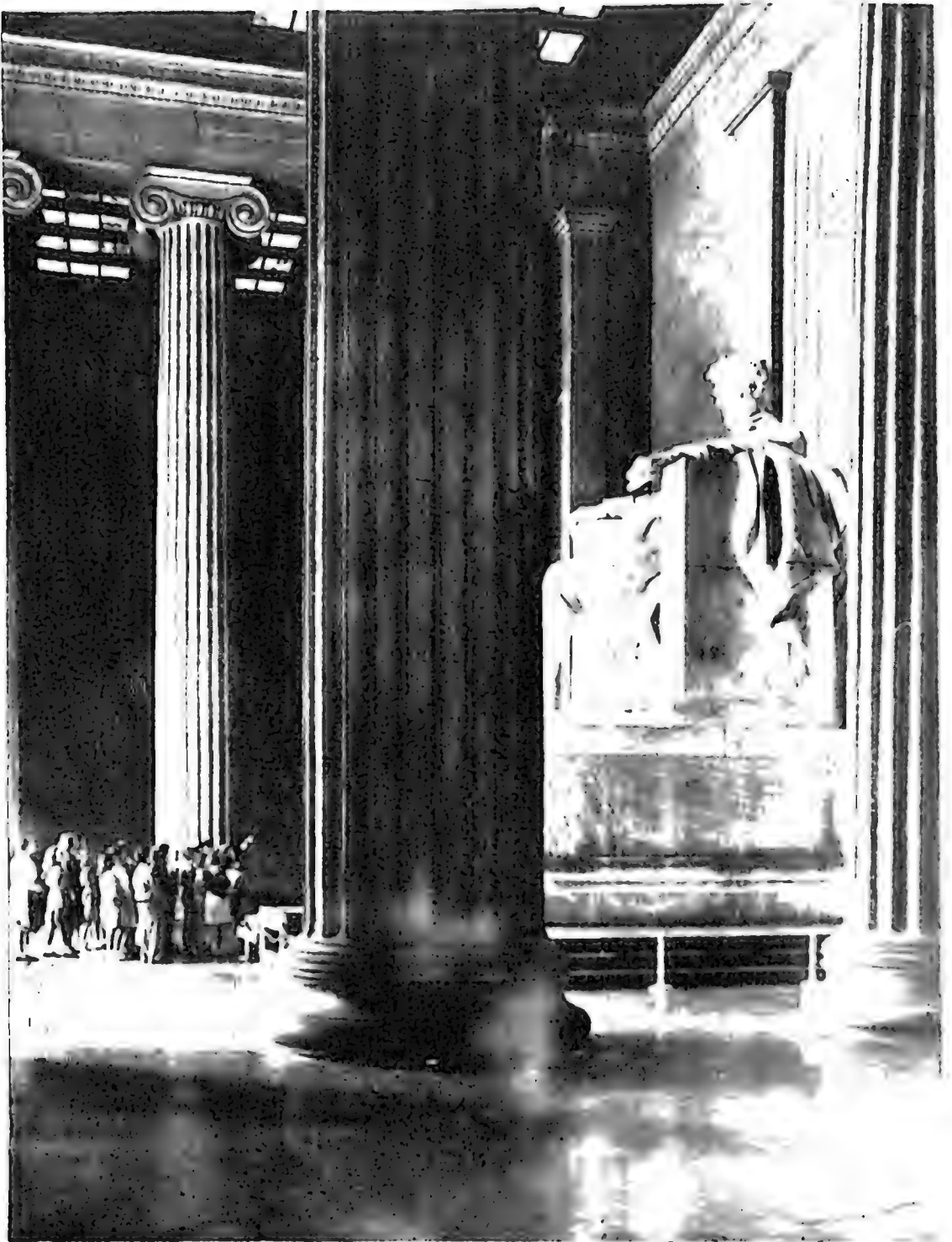
منزل مارتا واشنطنجتون



مبنى الكابيتول مقر الهيئة التشريعية «الكونغرس والنواب» ويرى في أقصى الخلف مسجلة والسنجقون



صالة التماثيل في مبنى الكابيتول وبها تماثيل عظماء الامريكان من جميع الولايات



تذكار لينكولن ویری داخله التمثال



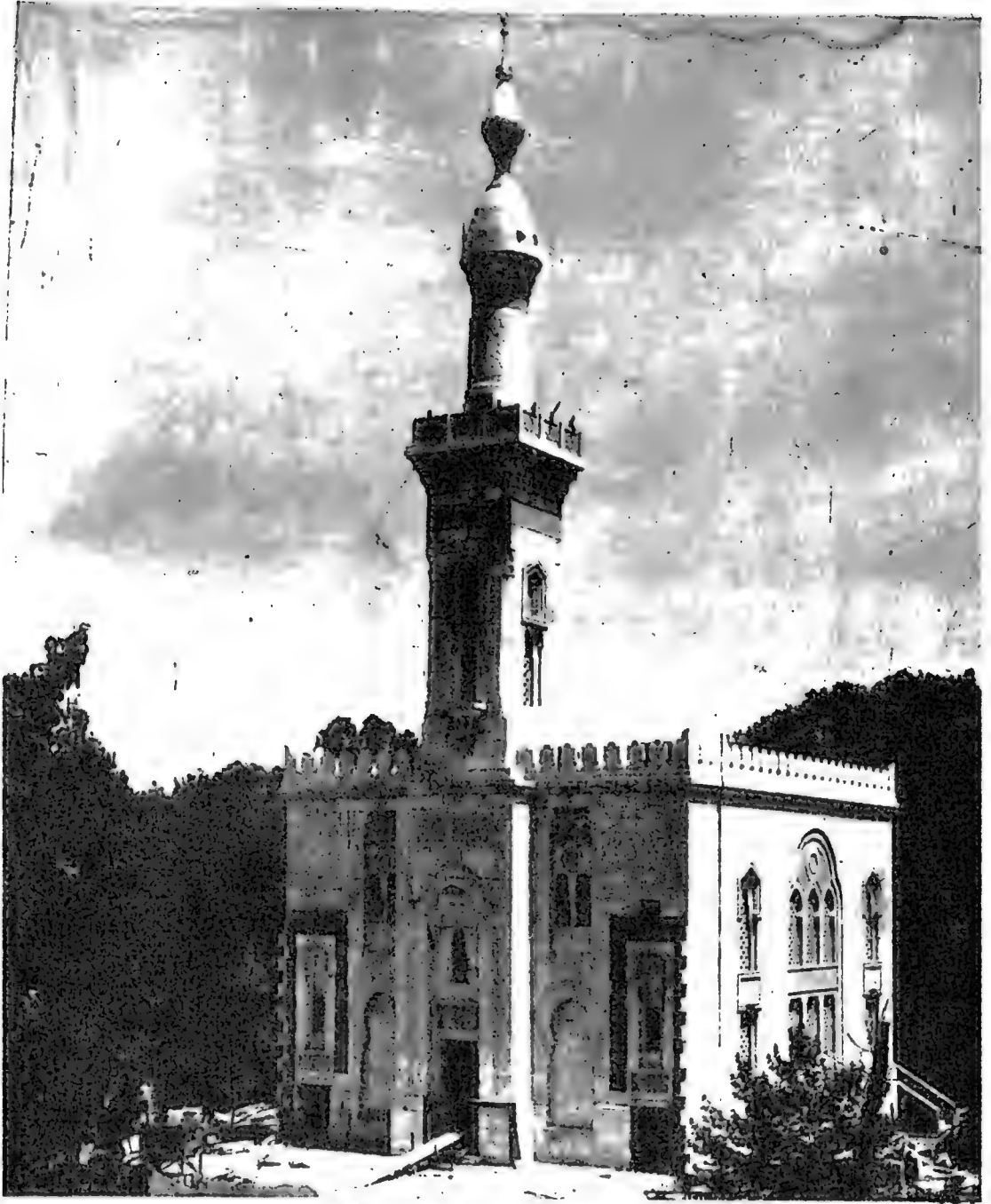
البيت الابيض مقبر رئيس الجمهورية



المتحف الاهل للفنون الجميلة بواشنطن



تذكار « مسله » جورج واشنگتون ویری انعكاسها على مياه البوتوماك



واجهة ومئذنة جامع واشينجتون ولد اصبح من معالم المدينة الشهيرة

المراقبة فى أعلاها إما بالمصعد أو إذا شئت بواسطة ١٩٨ درجة رخامية
وعندها ترى منظرأ جميلا لمدينة واشنطن وفرجينيا ونهر البوتوماك
وما حوالها .

تذكاف لنكولن

(The Lincoln Memorial)

لو كان لنكولن حاكماً عادياً أو حتى بطلا عادياً لكان يكفى لتخليده
إقامة تذكاف عادى فى وقت قصير . ولكن لنكولن كان شخصية فذة يحترمه
الجميع يتطلع اليه الشباب بآمالهم وينظر اليه البشر كلها أذلم الظلم فلا عجب
إذا انقضى نصف قرن بالتام قبل أن يقر القرار على نوع التذكاف الذى
يصلح لتخليد لينكولن .

وفى الحق أن هذا التذكاف ليس قصراً ولا معبداً ولا مقبرة ، بل كل
ذلك مجتمعة ويخيل لك وأنت تدخله أنه يحوى داخل أعمدته المرمرية روحه
الطاهرة وخلقه القويم وعقيدته القوية فى أن يكون الناس جميعاً أحراراً فى
تفكيرهم فى التعبير عن آرائهم وفى كل ما يريدون القيام به من المشاريع .

وقد وضع حجر الأساس فى سنة ١٩١٥ وتم تدشينه فى يوم ذكراه
٣٠ مايو سنة ١٩٢٢ .

* * *

العمارة

يرمز المبني من الخارج إلى اتحاد الولايات المتحدة إذ يحوط البناء

أعمدة من الرخام تمثل الست وثلاثين ولاية المكونة للاتحاد كما كانت يوم وفاة لنكولن . وفي أعلاها أسماء الثمان وأربعين ولاية كما هو عددها الآن . وتضم هذه الأعمدة والجدران ثلاثة أشياء تخلد لنكولن : تمثاله في الوسط والخطاب الذي ألقاه في مدينة جيتسبرج على أحد الجدران ثم خطابه في السنة الثانية من حكمه على الجدار الآخر .

وأروع شيء في التذكار هو تمثال لنكولن بالطبع ويمثله جالساً على كرسي مريح وبجانبه العلم الأمريكي ومتجهاً ببصره إلى تذكار جورج واشنطن والكابيتول . وقد أبدع الممثل أيما إبداع فظهرت طبيته وقوة عزيمته وصلابته لا في ملامحه فقط بل في قبضة يده . وترى مكتوباً على الحائط التي تعلو التمثال العبارة الآتية : في هذا المعبد كما في قلوب الذين حفظ لهم الوحدة ترقد ذكرى أبراهام لنكولن مقدسة دائماً .

وترى على الجدران صوراً تمثل المعاني السامية التي كان يدين بها الزعيم الكبير : فهناك الخلاص وملاك الصدق والعدالة والألوهية كما أن ملاك الصدق يجمع بين الشمال والجنوب ويرفرف عليهما الأخوة والنساح .

~ * ~

وأحب أن ألخص لك خطاب جيتسبرج The Gittysburg Speech لما يحويه من المعاني السامية :

منذ أعوام عديدة نزل آباؤنا إلى هذه القارة يحملون معهم شعار الحرية الذي يجعل الناس جميعاً سواء ، وها نحن الآن مشغولون بحرب أهلية غرضها تأكيد هذا الشعار فالذين نوارثهم الثرى هنا قد قدموا أرواحهم لهذا الغرض النبيل . وقد تنسى الأجيال القادمة كل الأقوال والخطب التي تلقيناها

ولكن لن ينسى أحد تضحياتهم . فلنعمل إذن لنتم ما بدأوه حتى لا تذهب
تضحياتهم عبثاً . وحتى تبعث هذه الأمة بعثاً جديداً تحت الحرية وحتى لا تنفى
من الوجود حكومة الشعب من أجل الشعب .

تذكار توماس جيفرسون

Jefferson Memorial

وجيفرسون هو مؤلف وثيقة إعلان الاستقلال وثالث رئيس
للجمهورية كما أن تذكاره هو أحدثها في العاصمة إذ افتتحه الرئيس المرحوم
فرانكلين روزفلت سنة ١٩٤٣ .

ويشبه التذكار الباتيون الروماني وهو من الرخام الجليل يتوسطه تمثال
جيفرسون من البرونز على قاعدة عالية وعلى الجدران كثير من حكم وأقوال
السياسي العظيم .

مقبرة أرلنجتون وقبر الجندي المجهول

Arlington Cemetery and The Unknown Soldier

بعد أن تجتاز نهر البوتوماك تجد نفسك في فرجينيا وأول ما يقابلك هذا
الجليل الأخضر الذي يضم مقبرة أرلنجتون وبهائحو ثلاثين ألف قبر تحوى
رفات قادة وجنرالات وضباط وجنود وبحارة أعطوا أرواحهم جميعاً دفاعاً
عن وطنهم وكلهم تحت الأرض سواسية لا يميزهم بناء ضخمة ولا علامة نخمة
بل على كل قبر منها شارة صغيرة باسم المتوفى ليتعرف عليه ذووه وبجانب
المقبرة شيد قبر الجندي المجهول (عقب الحرب العالمية الأولى) ويقوم
عليه حراس (شرف) ليل نهار ومن المناظر الملفتة تغيير الحراس في أوقات
مقاربة نهاراً وليلاً .

وبالقرب من المقبرة أقيم امفتياترو تذكارى يتسع لخسبة آلاف قاعد
وتقام فيه حفلات فى يوم الذكرى وكذلك فى بعض المناسبات الأخر
وهو على شكل اهليلج ellipse وكله من الرخام كما أنه يجاور معبد الشهرة
Temple of Fame مطبوعاً عليه أسماء جورج واشنطن - لنكولن -
جرانت - توماس - ميد - الخ . .

مونت فيرنون Mount Vernon

فاذا ما تركت المقبرة وسرت خمسة عشر ميلاً بجذاء نهر البوتوماك
وصلت إلى بيت جورج واشنطن الرئيس الأول للولايات المتحدة .
وموقع المنزل وخدماته جميلة جداً وتحتوى الغرف على كثير مما كان فيها
من أثاث أثناء إقامة الرئيس حتى مغزل زوجته مارتا موجود فى مكانه ، ثم
هناك المقبرة التى تضم بقاياها . وإنك لتستشعر الخشوع وأنت تقف على قبر
هذا البطل المجاهد الكبير الذى حرر أمته من نير الاستعمار .

مسى السفارات Massachusetts Avenue

إنك سوف تجد معظم السفارات فى شارع ماساتشوست وهناك طبعاً
السفارة المصرية التى زرتها فى اليوم التالى لوصولى العاصمة وقد قابلت سفيرنا
الهامم (فى ذلك الوقت السيد كامل عبد الرحيم) الذى أكرم وفادتى وأقام
مأدبة عشاء قابلت فيها بعض الأمريكان الممتازين وتناولنا أحاديث شبيهة
عن الطب والسياسة والاجتماع وكان معى فى هذه المأدبة الدكتور
سهير القلهاوى الأستاذة بكلية الآداب . وفى الحق أن سفيرنا له مكانة عظيمة

بين السفراء وبين كبار الأميركيين . كما إننا جميعاً نلقى كل ترحيب ومساعدة منه ومن حضرات مساعديه بالسفارة .

جامع واشنطن والمركز الإسلامي The Washington Mosque and Islamic Center

يقع قريباً من السفارة الجامع الذي تساهم في إتمامه الأمم الإسلامية وتقوم مصر بالجانب الأكبر كما أن سفيرنا هو المحرك الأكبر في كل الخطوات ويقوم بعض الفنانين المصريين بإتمام النقوش العربية الجميلة وقد استحضروا من مصر خصيصاً لذلك الغرض .

ومع أن الجامع لم يتم إلا أننا حضرنا صلاة الجمعة وأما الأستاذ حب الله وخطب الخطبة كما أتى حضرت بعد ذلك بأيام خطبة سعادة السفير عن ديموقراطية الإسلام وكانت الصالة مزدهجة إلى آخرها بكثير من الأميركيين . وقد أخبرني أحد سائقي التاكسي بأن كثيراً من زوار واشنطن يطلبون منه أن يزوروا على الجامع كأحد أعلام العاصمة الشهيرة .

حوانيت واشنطن

لم أذكر لك شيئاً عن المتاحف ومحطات السكك الحديدية أو المطارات لأنني لا أقصد أن أكون دليلاً سياحياً .

ولكن لا بد أن أشير أن واشنطن تحتوي على مخازن بضائع وحوانيت تحوى أجمل ما تحب شراؤه (مثل جارفنكل وهيكت الخ) وفي الحق أتى وجدت واشترت أشياء هناك لم أجد لها مثيلاً في أى بلد آخر حتى نيويورك وميامي . وهل تعجب لذلك وهي العاصمة التي تضم السفارات

ومجلس الشيوخ والنواب فضلا عن دور الحكومة وموظفيها وفوق الجميع
رئيس الجمهورية نفسه .

نيويورك

NEW YORK

مدينة السحر التي يقطنها ثمانية ملايين من الأنفس . مدينة الصلب
والصخر ومقر الأمم المتحدة ومفترق طرق العالم وملتقاها . مدينة خيالية .
ترى فيها أكثر ما ترى وتعمل أكثر مما تعمل وتلهي أكثر مما تتلهي في أى
مدينة أخرى في العالم .

كانت أول مدينة أمريكية وطنتها لاستريح من عناء السفر لفترة قصيرة
وسرعان ما أنستنى أضواؤها ومباهجها متاعب طيران ٣٥ ساعة متواصلة
وعدت إليها لأزور معاهدها الطيبة وما إليها ثم مررت بها في طريق عودتي
إلى بلادى . وفى كل من هذه المرات الثلاث كنت أشعر بالأسى لفراقها وهذا
رغمًا من تحذير صديق الأمريكى قبل مغادرتى القاهرة : « تمتع برحلتك
ولكن لا تقضى وقتاً طويلاً بنيويورك » . هو لا شك يعلم الكثير عن
مدينته وهو لا شك خشى على من غواية هذه الغانية الفاتنة .

عندما تحلق بك الطائرة مقتربة من نيويورك يقابلك تمثال الحرية قائماً
في مدخل الميناء المزدحمة بكل أنواع السفن من عابرات المحيط إلى القوارب
واللنشات ، ثم إذا بك تبهرك ناطحات السحاب والأنهر والكبارى كأنما هى
خيوط العنكبوت فإذا دقت النظر وجدت خنافس لامعة تسير فى خطوط
متوازية ومتقاطعة ، تلك هى السيارات تقطع الطرقات ذهاباً وجيئة .

ونيو يورك مركز العالم فى السياسة وفى المال وفى اللهو والإستمتاع
 فهى بذلك مدينة معقدة بل مدينة المتناقضات : فمثلا إذا مررت فى الشارع
 الخامس Fifth Avenue وجدت أنخم الحوانيت وأغلا البضائع فى العالم
 تحوطها ناطحات السحاب المشيدة من الصلب والصخور فإذا تدرجت إلى
 ميدان التيمس وبرودواى فأنت واجد نفسك فى الوسط الفنى الصاحب حيث
 أكبر مجموعة من التياترات والسينمات والراديو والتيليفزيون والنوادى الليلية
 والمطاعم والصالات . ثم على بعد خطوات من كل هذا أمكنة للعبادة
 هادئة ونخمة تماثل ما تراه فى أى مكان فى أوروبا . فكيف يمكنك أن تصف
 كل هذا أو شيئا منه . هذه المدينة التى أصبحت عاصمة العالم .

* * *

مبنى امبير سقيت Empire State Building

لعل هذا البناء أول شئ يحاول الزائر أن يراه بعد أن سمع أنه أعلا
 شئ فى الدنيا وسوف يبهرك النظر إليه ولكن ستنبهر أكثر عند ما ترى
 نيو يورك نفسها من قمة هذا البناء العالى وهى متعة ليس لها مثيل فى أى مكان
 آخر من العالم .

فأنت إذا نظرت من الجهة الشمالية ترى الحديقة الوسطى Central
 Park ثم كوبرى جورج واشنطن ثم نهر الهدسون بطوله ومن الجهة
 الشرقية يطالعك مبنى الأمم المتحدة (على النهر الشرقى) وبعدها مطار
 لاجوارديا . ومن الجنوب ترى مانهاتن ومبانيها وبذلك تبتدى تفهم خريطة
 نيو يورك . أما فى الجهة الغربية فسوف ترى الميناء وأرصفتها وعبارات
 المحيط من السفن .

وأنصحك أن تزور البناء ليلاً فان منظر الآلاف المؤلفة من الأنوار المظلة من نوافذ المباني تشبه مجموعة من الأحجار الكريمة المتناثرة المتألقة .

ومبنى الأمير ستيت بارتفاعه البالغ ١٤٧٢ قدماً معجزة البناء في القرن العشرين فانت عند ما تدخل من الباب المرمى الضخم تأخذ المصعد السريع الذي يرتفع بك ألف قدم في دقيقة واحدة — دقيقة واحدة — لا تحس أثناءها بأى اهتزاز أو أى صوت . وهذا معناه أنك وصلت إلى الطابق السادس والثمانين فإذا نظرت حولك وجدت خريطة حية قطرها ٦٠ — ٨٠ ميلا يسكنها نحو ١ مليون نسمة أى واحد من كل عشرة من جميع سكان الولايات المتحدة . ولا بد أنك تحب أن تؤخذ لك صورة فوتوغرافية تذكارية في هذا المكان وخلقك مباني نيويورك الشهامة ثم تكتب إسمك في سجل من زاروا هذا المكان ويتدرون بالملايين وقد كتبت إسمى بالعربية والإنكليزية .

بعد ذلك تأخذ المصعد الثانى إلى الطابق الثانى بعد المائة وهو مغطى جميعاً بالزجاج السميك وفيه مناظير تطل منها على ما حولك . ولأجل أن أعطيك فكرة عن ارتفاع الأمير ستيت أذكر لك أطوال الأبنية المرتفعة فى شتى جهات العالم لتقارنها :

أهرامات الجيزة	بنيت سنة ٣٧٣٣ قبل الميلاد وارتفاعها	٤٨٠	قدماً
برج بيزا المائل	بنى ١٣٥٠ ميلادية وارتفاعه	١٧٥'	•
تذكار واشنطن	• ١٨٨٨	•	• ٥٥٥
برج إيفل	• ١٨٨٩	•	• ٩٨٤
أمير ستيت بلدنج	• ١٩٣١	•	• ١٤٧٢

وكأنما لم يكفهم كل هذا الارتفاع فاتهمزوا فرصة عيده العشرين وأضافوا إليه (عام ١٩٥١) برج تليفزيون طوله ٢٢٢ قدماً حتى يمكن أن تزداد عدة أبراج في وقت واحد من نفس هذا البرج الوحيد .

* * *

مبنى روكفلر Rockefeller Center

ولو أن هذا ليس أعلا بناء ولكنه بلا شك أضخم بناء في العالم بل هو مدينة كاملة داخل مدينة مانهاتون وهو يضم ١٥ من ناطحات السحاب تشغل مساحة ثلاثة عشر فدانا أى المسافة بين شارع ٤٨ و ٥١ وبين الشارع الخامس وشارع الأمريكان Fifth Av. and Avenue of the Americans

وهو في الحق معجزة معمارية وتسكنه مكاتب مئات الشركات وأكبر شركتين إذاعيتين للراديو والتليفزيون والاسوشيتدبرس والصحافة المتحدة أكبر شركة أخبار في العالم ومكاتب تحرير كثير من المجلات .

ويبلغ عدد موظفي هذه المكاتب نحو ٣٥ ألفاً كما أن المبنى يزوره يومياً نحو ١٢٥ ألفاً ولهذا الغرض ترى فيه ٢٤ مطعمًا ومكتب بريد ونحو مائتي حانوت بها كل أنواع البضائع .

وليس البناء بناء صمماً بل إن الفن أبدع في تزيينه إبداعاً عظيماً ففيه وعلى جدرانه الصور والتماثيل التي تعبر عن شتى فنون الحياة والتي لن يغنيك وصفها بل عليك رؤيتها .

راديو سيتي Radio City

وهو جزء من المبنى وأظنه أكبر تياترو إذ يتسع لأكثر من ستة

آلاف متفرج وترى فيه أحسن أفلام الموسم كما أن له أوركسترا خاصة كبيرة جداً وفرقة خاصة للباليه Rickettis Ballet تؤدي استعراضات تفوق ما تراه من مثيلاتها في الأماكن المخصصة للباليه فقط كما أن الأورغول من أحسن ما سمعت . وقد شاهدت هناك فيلم « البنت التي تساوى مليون دولار » Million Dollar Girl لاستر ويليامز وفيلم « رحلة بايموث » Plymouth Adventure لاسبنسر تراسي وكذلك استعراض عيد الميلاد ويبدأ العرض الحادية صباحاً ويستمر إلى منتصف الليل والمكان دائماً مزدحم . أما صالات الانتظار فمن أغخم ما ترى ولا يقارن بها شيء .

وقد قضينا نحو ساعة من رحلتنا في مشاهدة استوديوهات الراديو والتلفزيون T.V. والشركة الأهلية للإذاعة وكانوا يجهزون قطعه للإذاعة وعلمت أن برنامج التلفزيون الذي تستغرق إذاعته ربع ساعة يتكلف أربعين ألف دولار . ثم أطلعونا عن كيفية إحداث الأصوات في الإذاعة وكذلك رأينا أشخاصنا مذاعة بالتلفزيون .

مبنى الأمم المتحدة United Nations Building

هو مبنى جميل يقع على النهر الشرقي شمال الشارع ٤٢ مصنوع من الصلب والزجاج والرخام والألومنيوم ومرفوع عليه أعلام الأمم الستين وترى هناك السكرتارية بموظفيها الثلاث آلاف من مختلف الأمم . فإذا حضرت اجتماع الجمعية العمومية خيل لك أن هذا أقرب ما يكون إلى برلمان عالمي . وقد صحنى أحد حضرات مندوبي وفد مصر في جولة داخل البناء ثم جلست مع المندوبين في الجلسة إنك لتضع على أذنك سماعتين ثم تدير أزراراً على الطاولة التي أمامك فإذا أدت الأول سمعت الخطيب بلغته وإذا أدت الثاني سمعت

الكلام مترجماً إلى الإنكليزية والثالث فرنسية والرابع روسية والترجمة تأتيك سريعة ودقيقة . وكانوا ساعة زيارتي يبحثون وجوب تمثيل كوريا الشمالية في بحث أمور حرب كوريا وكان خطيب الجلسة وبطلها أندريه فبشينسكي . (مندوب روسيا) .

وهناك طابق كامل للصحافة لإرسال الأخبار إلى كافة جهات العالم . أما البدروم فقد خصص لمكتب بريد لإرسال الرسائل محتومة باسم « الأمم المتحدة » وكذلك لشراء التذكارات الخاصة بهذا المكان من كارتات وصور وتلافيح ومناديل وغيرها .

والأرضية إما مغطاة بالطنافس المينة كما في المطعم والبار أو بالمطاط فلا تسمع أى صوت أينما انتقلت .

Metropolitan Museum
of Natural History

المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي

وهو يقع في المنتزه الأوسط بين شارعى ٧٧ ، ٨١ ومكون من خمسة أدوار تحتوى على أكبر مجموعة من حيوانات ما قبل التاريخ (الماموث والديناسور وغيرها) وكذلك الحيوانات الحالية في أوساطها الطبيعية . ثم هناك مجموعة كبيرة من المعادن والأحجار الكريمة — وخصص دور لإبراز كل ما يتعلق بالهنود الحمر وخيامهم وقراهم وصناعاتهم وطرق معيشتهم وكذلك أهل المكسيك . وطابق آخر يبرز تاريخ الإنسان من بدء الخليقة والأدوار التي مر بها والآثار التي تركها .

ويلحق بالمتحف مرصد هايدن للنجوم السيارة وسأخصص باباً خاصاً لوصفه .

متحف الفن Art Museum

ويقع على ناصية الشارع الخامس وشارع ٨٢ وبه ٢٣٤ رواق تحتوى على تراث خمسة آلاف عام من التاريخ يشمل المصريين والبابليين واليونان والرومان والشرقيين الأدنى والأقصى وأوروبا كما أن به قسماً خاصاً بأمريكا، فيها وصورها وأثاثاتها . وكان اهتمامى طبعاً بالقسم المصرى أكثر من غيره وهو منسق تنسيقاً بديعاً . كما كان من حظى أن وجدت معرضاً مقاماً فى جناح خاص لصور الرسام رامبراندت يحتوى على مجموعة كبيرة أما المكتبة الملحقة بالمتحف فتحوى أكثر من مائة ألف كتاب عن التاريخ والفن ونحو مائتى ألف صورة من الفن والآثار .

حديقة حيوان برونكس Bronx Zoo

تحتوى نحو ألفين من مختلف أنواع الحيوانات المتوحشة ومرتبعة بحيث تعيش فى أوساط أقرب ما تكون إلى الطبيعة ويرى هذا بنوع خاص فى الرهاد يفصلها عن الجمهور مجرى مائى ثم هناك أحواض السمك والحيوانات المائية تضم مجموعة كبيرة نادرة . ولم ينسوا الأطفال فأنشأوا لهم « حديقة حيوانات صغيرة » تضم بعض الحيوانات الأليفة ليلعب معها الأطفال ويركبونها « ولا يصرح للبالغين بدخولها إلا إذا صحبهم أطفالهم !! » .

الشارع الخامس Fifth Avenue

أظن أن هذا الشارع هو أشهر بقعة فى كل الدنيا فمن هو الذى لم يسمع عنه فهو الذى يقسم نيويورك وشوارعها إلى شرق وغرب وهو الذى على

ضفتيه أعلا ناطحات السحاب . وأنت إذ تسير في الشارع الخامس يهرك ما تراه في حوانيته من البضائع ، يهرك جمالها وأناقتها وحسن ترتيبها كما يهرك غلو ثمنها ، إن لهم مهارة لا تجارى في إبراز محاسن البضائع . وأنت لا تتعب أبداً من التطلع إلى محتويات الحوانيت فإذا عدت في اليوم التالي لتشاهدها خيل إليك أنك تراها للمرة الأولى . وصدقني أنها متعة وأي متعة أن تشاهد هذه البضائع وهذه الملابس والجواهر الحقيقية والمزيفة وهذه الأثاثات والعطور وأدوات الزينة : كل شيء جميل وبديع (واللى ما يشتري يتفرج) . ومع أن البضائع هناك غالية وأغلى من أى مكان آخر إلا أنها ممتازة جداً . ولا يمكنك أن تقنع الناس بأنك زرت نيويورك حقاً إلا إذا كنت قد اشتريت هدية من الشارع الخامس .

برودواى وميدان التيمز Broadway and Times Square

قد يكون غرضك من زيارة نيويورك علمياً بحثاً أو صناعياً أو طيباً أو أى غرض آخر ولكنك سوف تجد نفسك مدفوعاً لزيارة برودواى وميدان التيمز بل وتكرار زيارتهما ، فهما مركز الاستمتاع والاسترخاء وشهرتهما طبقت الأفاق حتى أصبحت نيويورك تسمى مدينة ميدان التيمز

City of Times Square

ولكن لا تذهب هناك إلا ليلاً — وأستدرك فأقول إنه لا يوجد ليل في هذه البقعة ، فماتكاد الشمس تبدأ في المغيب حتى تنار الأضواء الشديدة المختلفة الألوان فتحيل الليل إلى نهار أشد تألقاً من الشمس فلا عجب أن سمي برودواى (الطريق الأبيض الكبير) The Great White Way .

وقد كان من حسن حظي أن زرت ميدان التيمز يوم ٤ نوفمبر وهو

يوم انتخاب رئيس الجمهورية الجديد وكانت جموع الناس أخذت تزحف إلى الميدان لتطالع النتائج الأولى منذ الغروب وكانت التنبؤات أن المعركة شديدة بين الجنرال أيزنهاور وادلاى ستيفنسون ولكن أخذت النتيجة تتجه بشدة وسرعة نحو انتخاب الجنرال بشكل لم يكن أحد يتصوره وربما كان سبب ذلك التأييد الذى لاقاه من ناخبي المقاطعات الجنوبية (وبعضهم كان ديمقراطياً) أو ربما لأن الناس ملوا حكم الديمقراطيين طوال عشرين عاماً فرغبوا فى تجربة الجمهوريين وإعطائهم فرصة للحكم : والشعوب بمجموعات غريبة لها نزوات مثل نزوات الأفراد .

* * *

وفى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٢ زرت دار أوبرا نيويورك الشهيرة The Metropolitan Opera House حيث كانت تمثل أوبرا «كارمن» لاعلى المسرح فقط بل كانت تذاع بالتليفزيون أيضاً للمرة الأولى فى تاريخ الأوبرا . وقامت بدور «كارمن» الآنسة ريز ستيفنس وبدور «دون جوزيه» ماريو دل موناكو المغنى الإيطالى الشهير . أما «مايكىلا» فهامت به نادين كونور وقام بدور «اسكامبلو» مصارع الثيران فرانك جواريرا وقاد الموسيقى بهراة فائقة الموسيقى فرينز ريتز .

ومع أن المناظر والملابس كانت نفحة إلا أنى أعتقد أن مناظر وملابس دار الأوبرا المصرية تبهها اللهم إلا منظر منزل اسكامبلو المقابل لحلبة الصراع فقد كان نفحاً جداً . وهنا — كما أظنك تذكر — أن كارمن تموت بطعنة من يد حبيبها السابق دون جوزيه الذى غدرت به .

داني كاي Danny Kaye

كان من حسن حظي أن داني كاي الممثل الكوميدي الموهوب يمثل بنفسه في تياترو بالاس Palace Theatre وقد شغل النصف الأول من البرنامج مجموعة طيبة من الكواكب في الرقص والغناء . أما النصف الثاني فقام به داني كاي وحده . ولم يكن أحد من النظارة يريد أن ينتهي التمثيل كما أنه هو نفسه اندمج معنا قائلاً إنني مستعد للبقاء حتى الصباح وصدقوني إنني أكثركم استمتاعاً بداني كاي !!

ومن المصادفات العجيبة أنه بين الفصول اكتشفت أن جيراني أمريكيان يسكنون الزمالك وتواعدنا على اللقاء بمصر ! حقاً أن الدنيا صغيرة مهما ظهر أنها متسعة .

سبق أن نصحتك بزيارة برودواي في الليل . ولكن لا تظن أنه مكان مقبض بالنهار ، كلا إنه ينبض بالحركة بيعاً وشراء فضلاً عن ازدحام مطاعمه بالأكليين . وقد رأيته أكثر ازدحاماً يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥٢ وهو يوم الشكر Thanksgiving Day ويقام كل عام تخليداً لإقبال المحصول في العام التالي لنزول المهاجرين الأوائل إلى شاطئ أمريكا الشرقي ويمتاز العيد بكثرة الأكل خصوصاً الديكة الرومية وهي هنا ضخمة بل ضخمة جداً وقد علمت أنها أمريكية أصيلة وكانت في الأول وحشية ثم استؤلفت .

وبمناسبة العيد ترتب مخازن محلات ماسي Macey's التجارية العظيمة طابوراً استعراضياً جميلاً يبدأ من ميدان كولومبس إلى برودواي إلى محلاتهم وفيه عدة موسيقات وفتيات رشيقات جميلات يتحلين بالحرير المزخرف في مجموعات كثيرة كما أن هناك تماثيل من البلاستيك والمطاط والبالونات على

أشكال الحيوانات والزحائف وميكى ماوس لتضفى على الاستعراض بهجة وقد استمر مرور الموكب أكثر من ساعتين .

الكاباريهات Night Clubs

أظن لا بد لك وأنت فى نيويورك أن تزور ولو واحداً من علب الليل وقد اخترت (الحى اللاتينى Latin Quarter) ولا يطالبونك بأجر دخول ولكن لا بد لك أن تتناول طعام العشاء هناك ! فالنتيجة واحدة ١١. ولكن كان الاستعراض من الدرجة الأولى ويظهر أنهم بذلوا بسخاء فى اختيار الأشخاص والمناظر والملابس . وكان البرنامج فى تلك الليلة يمثل زوجين شابين أمريكيين يقضيان شهر العسل فى باريس ويتفرجان على مغانيها فرأينا البوليفار واستعراضاته ورقصة الكانكان ورقصة برج إيفل ورقصة غرفة النوم ثم رقصة اسكتلندية .

ولم أكن أعلم أن الأفضل حجز مقعد مقدماً ، بل إنى ذهبت إلى هناك عفو الساعة فأقعدنى رئيس الخدم مع المسترجنكز ولما تبادلنا التعارف أخبرنى أنه من تكساس وأنه أحد مديرى بعض المصارف التى تسلف الشركات الصناعية وألح على أن أزور تكساس وخصوصاً هوستون لأرى أجمل البلاد وكذا أجمل النساء . أما نيويورك فلا تعجبه وسيكون سعيداً بمفارقة غداً وكذلك لم يرفها سيدات جميلات ثم ابتداء العرض وظهرت الجميلات الفاتنات ، فقلت له ما رأيك يا صديقى فى هذا الجمال الطاغى ؟ فتحسس ذقنه قليلاً وأجاب : لا بد إنهن من تكساس ١٢

لم أتمكن من الذهاب إلى هوستون ولا كان فى نيتى زيارتها وإنما أرسلت

لصديق المستر جنكيز ورقة بنكنوت اشتريتها في سان فرنيسكو مكتوب عليها «مائة دولار — امبراطورية تكساس، ولكنها بحجم كبير جداً» (علامة على التفاخر) . وأهل تكساس مشهورون بالتفاخر بمقاطعتهم ويقولون إنها هي أمريكا والباقي ما هي إلا ولايات تابعة لها .

قلت لك تجد في برودواي حوانيت كثيرة ولكن أغلبها يبيع البضائع الرخيصة وكذلك تذكارات وصور نيويورك ، ولا بد أن تشتري منها شيئاً ولو ربطة عنق عليها صور مرسومة باليد تمثل طيوراً أو غايات أو أى شيء تريد ، ثم هناك حوانيت يبيع لعب التسلية . ومن الغرائب وجود مطبعة صغيرة ، أرانى إياها صديق الير عمون المحرر بالأهرام ، تطبع جريدة اسمها «الدلي تريديون» ، وهي ليست جريدة بالمعنى الصحيح ، إذ ليس عليها تاريخ وتقع في صحيفتين وإذا دفعت دولار واحد أعطوك ثلاث نسخ منها ومطبوع عليها أى عنوان ضخّم تريده ، فترسله لأصدقائك للتسلية وقد كتبت العنوان كالآتي :

دكتور زكى خالد من مصر Dr. ZAKI KHALED OF EGYPT
يتزوج فتاة أمريكية MARRIES AMERICAN GIRL

وواضح أنها ليست جريدة لأنك بعد أن تتم قراءتها لن تجد أية إشارة عن هذا العنوان ، ومع أنى أرسلتها لبعض الأصدقاء مكتوب عليها عناوينهم بالعربية ، ومع أنه لم يكن قد مضى علىّ في أمريكا إلا ثلاثة أسابيع ولم يكن معقولاً أن يتزوج أى إنسان في هذا الزمن القصير ، وهذا كله ما جعل عائلتي تفهم النكتة ، إلا أن أحد الأصدقاء — ساعه الله وأكمل عليه النباهة — صدق الخبر وراح يذيع بين أصدقائى أنى تزوجت أول فتاة قابلتها وأنه آسف

لذلك ولم يكن يظن أنى سأفعل ذلك . هذا مع العلم أنه تعلم في إنجلترا ويزعم أنه يفهم الإنكليزية ويفهم النكتة .

هل تعجب إذن أيها القارئ إن أخبرتك أن بعض من كانوا في انتظارى بمطار القاهرة الدولى كانوا يحملون فى الطائرة التى أقلتى لمصر ليروا من هى تلك الحسنة الأمريكية التى تزوجتها بمجرد وصولى إلى هناك ؟ سامحه الله مرة أخرى .

عيد ميلاد نيويورك المئوى الثالث

Tricentenary of New York

بحلول سنة ١٩٥٣ يكون قد مرّ ثلاثمائة عام على إنشاء نيويورك ، وقد أقيمت احتفالات كبيرة فى كل مكان ، وفى الحق لا يمكن لإنسان أن يتصور أن هذه الفخامة والضخامة وليدة ثلاثمائة عام فقط ؛ لقد قفز عدد السكان من ثمانية آلاف إلى ثمانية ملايين أى زادوا عشرة آلاف ضعف ما كانوا عليه سنة ١٦٥٣ . ولاداعى لذكر أى إحصائيات أخرى فالصناعات والمخازن والخوانيت وطرق المواصلات والملاهى وكل شئ قد زاد تبعاً لذلك وبنسبة هائلة . فهل تعجب بعد ذلك إن وجدت — عند وصولك إليها — أنها مدينة مسرعة ساخبة وأن كل من فيها يجرى وهو مشغول بنفسه ولا يجد متسعاً من الوقت ليضعه فى التحدث إليك أو إرشادك إلى ما تريد .

وقد أقامت جريدة النيويورك تيمس The New-York Times معرضاً للصور يبين أدوار تطور نيويورك خلال هذه الحقبة من تاريخها والحوادث الهامة التى جرت فيها ، وهى مجموعة عظيمة مفيدة .

ولكن لو سألتنى أن أذكر ما هو العامل الفريد فى تقدم هذه المدينة

خصوصاً في الفترة الأخيرة ، لقلت لك هو « المصعد » The Elevator
 ففي عام ١٨٥٣ رغب المستر جوسياميز (Joshia Mezz صاحب
 مصانع السراير) في إنشاء مصعد لرفع بضائعه ، فتطوع للهمة رئيس الميكانيكيين
 عنده المستر « ايليشا أوتس » Eleisha Otis فأنشأ مصعداً وأضاف إليه
 « ماسك أمان » Safety Catch يشتغل إذا انقطعت حبال الرفع فكانت هذه
 أول إضافة تجعل المصاعد آلة أمان خصوصاً بعد أن ركب « أوتس » نفسه
 في المصعد وطلب أن يقطع الحبل فرأى الجمهور المتلهف أن الزنبرك أوقف
 تواء سقوط المصعد . وهنا انتهت الطلبات على أوتس ، ثم تابعت الحوادث :

— في سنة ١٩٠٠ أنشأ « أوتس » أول سلم كهربائية صاعدة نازلة
 (Escalators) التي تعم الآن المخازن وسكك الحديد وكذلك الفنادق .

— في سنة ١٩٠٣ أتم « أوتس » عملاً هاماً إذ أمكن تشغيل مصعد
 كهربائي بدون جنزير وهذا معناه عمل مصعد لأي ارتفاع وبالتالي جعل
إنشاء ناطحات السحاب ممكناً .

— في سنة ١٩١٥ حسن « أوتس » مصاعده فأصبح قيام ووقوف
 المصاعد يتم بيسر دون أي اهتزاز أو اصطدام .

— في سنة ١٩٢٤ اخترع « أوتس » الطريق الآتوماتيكي لتشغيل
 المصاعد فلم يكن هناك ما يعمل العامل سوى ضغط أزرار الأدوار التي يريد
 أن يقف بها وتنتهي مهمته .

ثم تابعت التحسينات حتى أمكن عمل مصاعد سريعة جداً كما هو
 الحال في الأمير ستيت ومبنى روكفلر . كما أن عام ١٩٥٠ شاهد المصاعد التي

لا تحتاج إلى أى عامل بل إن الراكب نفسه يضغط زر الطابق الذى يريده
فيرتفع المصعد ثم يُفتح الباب وبعد خروجه يقفل ثانية .

* * *

لقد أطلت عليك كثيراً ولكن اعذرني أيها القارىء . فإن المصعد هو
العامل الأهم في سرعة تقدم نيويورك وما بالك بالجزيرة الصغيرة المسماة
« مانهاتن » Manhattan فهي محدودة المساحة جداً ولذا فالاتجاه الطبيعي
الوحيد للامتداد هو إلى أعلا . . . إلى السماء . وهل يمكن أن يتم ذلك
بدون مصاعد ؟ لذا فإن أكبر ضربة يمكن أن تصوب لها (إلى مانهاتن) هي
إضراب عمال المصاعد أو انقطاع التيار الكهربائي ، وأيضاً أى عطل في
نظام التليفونات البديع .

السينيراما

The Cinerama.

سأحدثك عن السينيراما ، أعجوبة القرن العشرين ، كما شاهدتها في نيويورك في مسرح يقع في بردواى ويتكالب على مشاهدتها الناس ، عليك أن تحجز مكانك قبل الموعد بأسابيع . وهناك ترى — للمرة الأولى — المناظر السينمائية مجسمة تجسيميا حقيقياً وتسمع الأصوات والأنغام كأنها حواليك لا أمامك فقط .

ولكن فلنبداً القصة من أولها : فالفكرة نتيجة أبحاث طويلة مفضية مدى خمسة عشر عاماً قام بها المخترع الشهير « فريد والدر » Fred Waller شيطان التصوير الذى اخترع عدة أشياء مختلفة منها جهاز التزحلق على الماء Water Ski وكاميرا تأخذ صوراً تشمل حيز دائرة كاملة (٣٦٠ درجة) وجهاز يأخذ مقاساتك (لتفصيل بدلة) فى مدة خمسين ثانية .

وهو يحدثك ويقول : إن النظر هو مسألة تجريبية فى أساسه وعدسة العين ترسم صورة غير متقنة على الشبكية Retina والمنح هو فى الواقع الجهاز الذى يكمل التفاصيل التى يعلم (بالخبرة) أنها لا بد أن تكون موجودة ويعطيك مثلاً على ذلك فيقول : إن شركة بارامونت للسينما كانت تريد أخذ منظر شابين متعلقين بصارى سفينة تغرق فعملت نموذجاً لسفينة وألصقت بالصارى جسمين صغيرين . وأدهشنى بعد ذلك أن كان كل من يقابلنى يستغرب كيف أمكننى صنع شخصين يتحركان هكذا حركات استغاثة إذ الواقع أنهما لم يتحركا بل لم يكونا يشبهان أى انسان ، بل أكثر من ذلك

كانا قطعيتين من الطين وانما هو الخيال الذى جعل المشاهدين يتصورون كل هذه الحركات .

ويقول د والزر ، إن تجسيم الأشياء هو حقيقة بالنسبة للأشياء القريبة جداً منا والتي لا يزيد بعدها عن عشرين قدماً فقط . واللذين فقدوا إحدى أعينهم لا يمكنهم تجسيم الأشياء إذ يلزم لذلك وجود العينين معاً ومع ذلك فان تدريب المخ على الأبعاد والمناظر يجعلهم قادرين على القيام بكل ما يفعله غيرهم تماماً .

وقد انتهى من تفكيره هذا إلى رأى الآتى : لو أننا صنعنا كاميرا وبروجكترات Cameras and Projectors يمكن بواسطتها تسجيل صورة ما تراه عيني انسان (تسجيلاً مكرراً) فان المخ يتم الباقى ، فيرى الناظر إلى مثل هذه الصورة نفسه وقد أصبح فى وسطها كأنما هو الكاميرا .

ولكن كيف يمكن إخراج صورة كهذه ، لا بد أن تكون الستار (الشاشة) مساحتها مئات الیاردات . وتصادف عند هذه المشكلة أن طلب أحد المعماريين من د والزر ، أن يخرج له صورة على ستار مقوس وما كاد يسمع ذلك حتى قفز الحل إلى رأسه وعرف أن عدم توفيقه فيما سبق كان لأنه استعمل ستاراً مسطحاً بينما عين الإنسان تنظر إلى ستار مقعر .

واشتغل على هذا الأساس حتى وصل إلى الاختراع الحالى وهو يطابق ما يحدث فعلاً ، فمثلاً عند ما ننظر إلى شئ فإننا لا نرى ما أمامنا فحسب ، بل كذلك كل شئ حتى زوايا العينين وكذلك عندما ننصت لا نسمع ما أمامنا فقط بل كل ما حولنا وما وراءنا .

كاميرا السينيراما

إن الصورة التي تأخذها كاميرا السينيراما تكاد تكون نصف دائرة وهي بالضبط 1٤٦° درجة في العرض وخمسة وخمسين درجة في الارتفاع أى أنها تقرب من مدى عين الإنسان الذي هو 1٨٠° عرضاً و ٩٠° ارتفاعاً ولكن لو أخذت صورة واحدة بهذه الأبعاد لكانت مشوشة غير واضحة ولذلك تستعمل ثلاث كاميرات كل منها لها عدسة ٢٧ ملليمتر (فهي ليست أكبر من عدسة عين الإنسان) وموضوعة على زاوية قدرها ٤٨° وكل منها تأخذ ثلث الصورة ، فالتى في الوسط تأخذ صورة ما أمامها والتي في اليسار تأخذ الصورة اليمنى والتي في اليمين تأخذ الصورة اليسرى .

ستار السينيراما

هذا الستار عرضه ٥١ قدماً وطوله ٢٥ قدماً ولأجل مزج الثلاث صور تستعمل ثلاث بروجكتورات تشتغل عكس طريقة أخذ الصور تماماً وتظهر واضحة تماماً . والستار ليس قطعة واحدة مسطحة بل مكون من ١١٠٠ قطعة طولية مركبة بحيث تساعد في تجسيم الصورة (على طريقة ستائر فينيسيا) .

الصوت في السينيراما

هذا أيضاً اختراع جديد مثل الصورة المجسمة فهو أيضاً د صوت مجسم ليزيد المنظر تأثيراً . فتراهم وقت تصوير المناظر يضعون خمسة ميكروفونات أخرى لتلتقط الأصوات التي تصدر من الناس أو الحيوانات أو الآلات أو القطارات التي تكون مقتربة من المناظر والتي سوف تدخل فيه تدريجياً . وكل واحد من هذه الميكروفونات يسجل الأصوات التي في منطقته . وفي

وقت العرض ترى خمسة آلات متكلمة خلف المسرح (التياترو) لتخرج الأصوات التي أخذت مع الصورة ثم آلة متكلمة في كل جانب وأخرى في الخلف لإعادة الأصوات التي كانت بعيدة عن الصورة وبهذا ترى الأصوات قبل وصولها لمجال المنظر المصور ثم معه ثم بعد أن تغادره .

ماذا رأينا ؟

بذلت كل جهد لما كنت في نيويورك لأحصل على مقعد وأشهد هذا الاختراع العجيب الذي يبرز ظهور السينما الناطقة فهو كالفرق بين مشاهدة صورة الشخص ومقابلة الشخص نفسه ، وكان البرنامج حافلاً وابتدأت المشاهد : —

١ — القطار الروسى . وكان المنظر حقيقياً بدرجة أننا أمسكنا بأيدي مقاعدنا والقطار يصعد بنا ثم يهبط وكأننا راكبين فيه ، بل لقد صرخت بعض السيدات خوفاً من السقوط !!

٢ — ثم رأينا باليه في إيطاليا ويخيل إليك أنك في الصف الأول من التياترو .

٣ — الجوندولا في الجراندي قنال بفينيسيا وخيل لنا أن ماء القنال يلطم مقاعدنا واستمتعنا بصوت الجندولى الرخيم .

٤ — مناظر ورقصات وأغانى من اسكتلندا .

٥ — التوريادور ومصارعة الثيران وكان الثور يكاد ينطحنا نحن عند ما يهرب منه المصارع .

٦ — مناظر فيينا الريفية ورقصهم بملابسهم الوطنية .

٧ — الفصل الثاني من أوبرا عايدة مأخوذة من مسرح إسكالا بميلانو بإيطاليا ولم أستمع بجمال عائدة كما استمتعت هذه المرة .

٨ — مناظر فلوريدا وحدائقها وأزهارها ثم السباق والترحلق على الماء Water Ski .

٩ — جمال أمريكا : وهنا أخذنا الطيار من نيويورك حتى كاليفورنيا ماراً بكل البلاد من الشرق إلى الغرب فرأينا جمال البلاد والطبيعة مجسماً وكانت المناظر كأننا فيها والطيران على مقربة من الأرض حتى كنا نصرخ خشية أن نصطدم بجمال الروكي وثلوجها .

ويخيل لى أن أصعب ما فى هذا البرنامج كان أخذ الصور داخل مسرح الإسكالا ولكن المؤلف تغلب على كل الصعوبات من حيث الأضواء والأصوات ليأخذنا فى دار فردى Verdi وبوتشيني Puccini وماسكانى Mascagni وشليابين Chaliapin .

لقد أطلت عليك فى الوصف ولكن كان لابد من ذلك لأشرح لك نظريتها وأرجو أن يسعدك الحظ بمشاهدتها بنفسك إذ هى ثورة على السينما القديمة التى أصبحت كأنما تنظر من ثقب المفتاح فلا ترى إلا ما هو أمامك مباشرة ، أما السينيراما فتتنقل لك صورة لكل ما حواليك فيصبح المنظر طبيعياً تماماً ، كما أن الصوت يأتى من جميع الجهات لا من جهة واحدة كما هو الحال فى الراديو والسينما العادية والتلفزيون .

بل إنى أقول إنك ترى فى السينيراما أكثر مما لو كنت تشاهد المنظر بعينيك وإن كان يظهر ذلك غريباً ولكنك سوف توافقنى إن أسعدك الحظ بمشاهدتها وأرجو أن يكون ذلك قريباً .

مرصد هايدن

Hayden's Planetarium

عند ما تكون في نيويورك لا تنس زيارة متحف التاريخ الطبيعي فهو متعة وثقافة ومثى انتهت منه فاعطف على درته الغالية « مرصد هايدن » العجيب . وقد افتتح في عام ١٩٣٥ وكان الثالث بين مثيلاته الستة ، إذ سبقه مرصد « أدلر » بشيكاغو ومرصد « لوس أنجيلوس » ، إلا أنى أعتقد أنه أحسنها جميعاً من حيث اكتمال العدد والأجهزة واشتماله على متحف فلكي عظيم وأنت ترى في هذا المتحف العجيب (١) رسوماً فلكية تبين حركات القمر والمريخ وكسوف الشمس الخ ، (٢) مجموعة من النيازك فريدة في أشكالها وأحجامها ، (٣) مجموعة من الساعات الشمسية والبوصلات والآلات الفلكية الأخرى العديدة . وتحتوى هذه المجموعة العديد من الآلات التي اكتشفت على مر الدهور ابتداء من أجهزة الصينيين القدماء ، إلى الأجهزة الدقيقة التي كانت تستعمل في فرنسا وألمانيا في العصور الوسطى ، إلى البوصلات الدقيقة جداً التي جعلت الملاحة البحرية كما هي الآن . وقد وجدت من بينها مجموعة من الاسطرلاب Astrolab هذه الآلة التي كان يستعملها العرب في قياس أبعاد الكواكب والتي حل محلها الآن السكستانت The Sextant في قياس الزوايا . ثم مجموعة أخرى كبيرة من الساعات الرملية ومجموعة أخرى من الآلات القديمة والحديثة لقياس الاتجاهات ولقياس الزمن ، (٤) ثم هناك ألواح زجاجية مضاءة من الخلف ومرسوم

عليها الظواهر الفلكية التي أمكن تصويرها في مختلف مراصد العالم وتشمل: صور الشمس والكواكب والسيارات والنيازك الهابطة وتجمعات الكواكب والبقع الغازية والشمسية الخ وترى بينها صورة مرصد جيور (بالهند) الذي أسس في القرن الثامن عشر ، بل ترى مرصد بكين (الصين) وربما كان هو أقدم المراصد . ثم ترى صورة توضح لك اكتشاف السير إسحق نيوتن أن أشعة الشمس مركبة من أطيايف ذات ألوان متعددة The Spectrum وبعض هذه الصور تظهر لك مجسمة فترك الشيء كأنك تنظر إليه هو لا إلى صورته .

ولكن لندع كل هذا ولندخل إلى المرصد نفسه حيث الصالة الكبيرة التي تسع ٧٥٠ متفرجا والتي لها قبة تختلف عن كل القباب ، فهي ليست للزينة بل بنيت على أساس خاص لغرض علمي خاص .

هذه القبة الخارجية هي نصف كرة تماماً يبلغ قطرها ٨١ قدماً ، أما سمكها من المسلح فحوالي ثلاث بوصات غير أن سمك حزامها يبلغ إثني عشر بوصة ، وهذا الحزام مركب على قوائم من الصلب تدعم البناء جميعه ، وهذه القبة تحمل بدورها القبة الداخلية وقبة العرض ، التي يبلغ قطرها ٧٥ قدماً ووزنها خمسة عشر طناً من الصلب والمواد الأخرى . هذه القبة الداخلية شكلها كروى في القمة ثم تنزل تدريجياً إلى شكل مباني مدينة نيويورك New York Sky Line الذي يرتفع عن أرضية الغرفة بحوالي تسعة أقدام . والغرض من هذه القبة الداخلية أن تؤدي وظيفة شاشة العرض للجهاز المرصد . وقد بنيت بحيث لا يحدث داخلها تردد لصدى صوت المحاضر ، بل يمتص الصوت امتصاصاً تاماً .

المقاعد

وقد تعجب لأنى أصف لك المقاعد البالغ عددها ٧٣٣ ولكن صدقنى أنهم قد أعطوا هذه المقاعد من الدراسة والبحث أكثر من أى شىء آخر حتى يضمنوا أن يكون الجالسين مستريحين إلى أقصى الدرجات وبهذا يركزون اهتمامهم كلية إلى المعلومات الفنية التى سوف تلقى عليهم . والمقاعد من الخشب المثبت فى الأرض وهى مرتبة فى شكل نصف دائرة إلا أن هذه الفوتيلات لها ظهر مجوف يسمح للجالس أن يحرك أكتافه فى جميع الاتجاهات مع بقاءه مستريحاً مسترخياً ، وإمعاناً فى الراحة يمكن للجالس إمالة هذا الظهر إلى الخلف بمعدل عشر درجات .

الصالـة والقبة

والآن لندخل إلى الصالة : هنا ترى معلقاً فيها من أعلا نماذج للجهاز الشمسى فى منطقة عرضها أربعون قدماً تشمل نماذج الشمس والكواكب التى تحيط بها ومنها الأرض وأنت إذ تنظر إليها تخيل لك أنك تنظر إلى العالم بأسره . والشمس هى الكوكب (الكرة) الكبرى المدلاة من السقف وعلى أبعاد مختلفة منها تتدلى الكواكب الأخرى وأقربها عطارد Mercury ثم المريخ Mars (ولعلك تذكر الضجة التى قامت بشأن سكانه ومحاولة الوصول إليه) ثم المشتري Jupiter أكبر الكواكب وأضخمها بل هو أكبر منها كلها مجتمعة ثم زحل Saturn بحلقاته الجميلة المحيطة به .

وترى هذه المجموعة العجيبة تدور حول الشمس وكذلك يدور كل منها حول نفسه كما هو الحال فى الطبيعة تماماً بل إن سرعة دورانها والتفافها يمثل الحقيقة تماماً وترى القمر (مثل الكرة الصغيرة) يدور حول الأرض

كما أن هناك قرين صغيرين يدوران حول المريخ ويمكنك أن ترى أربعاً من أقمار المشتري الإحدى عشر تدور حوله وكذلك ترى خمسة أقمار تدور حول زحل .

وحتى تصبح الصورة مطابقة للحقيقة تماماً فإن نموذج الشمس هو الوحيد المضىء أما النماذج الباقية فتراها مضيئة في النصف المقابل للشمس فقط (أى الجزء الذى يمثل نهارها) .

وأنت إذ تستمر في تتبع حركات الكواكب ترى كيف يولد القمر ثم كيف يزداد حتى يكتمل ثم تفهم كيفية خسوفه عند ما تظله الأرض وكيف يحدث كسوف الشمس عند ما يقع القمر بينهما وبين الأرض تماماً .

ولم يكن في الإمكان (نظراً لأن مقاس سقف الغرفة محدود) أن تظهر الكواكب السيارة البعيدة مثل : نبتون, Neptune وبلوتو Pluto ويورانوس Uranus

العرض

يبدأ المحاضر في شرح الكواكب التي وصفها لك فيما سبق ثم يستدرج إلى الموضوع الأصلي فترى الأضواء وقد أخذت في الخفوت والليل قادم عليها وترى الغرفة وكأنما قد تحولت إلى ساحة مكشوفة تظهر لك أبنية مدينة نيويورك وسماها الرائق وقد تألقت فيه الكواكب ولا تدري كيف اختفت الجدران ، لكن المنظر الجميل الأخاذ يسحرك بجلاله وروقه كما أنك تسمع موسيقى رقيقة هادئة تأتلك من أبعاد صحيحة كأنها أنشودة هذه العوالم السحيقة وترى الملايين من الكواكب البراقة كالجواهر منظومة ومشورة فلا تصدق إلا أن هذه هي السماء الحقيقية يهرك ليها الصافي وكواكبها المتألقة .

ثم يأخذ المحاضر في كلمته ، والآن وقد جاء المساء فسأشرح لكم الكواكب ودورتها ، . ويبدأ يريك دورة الشمس والقمر والكواكب فتفهم كيف يبدأ القمر هلالاً ثم يتدرج حتى يصير قرصاً مضيئاً كبيراً وتفهم ، للمرة الأولى ، حركة الكواكب السيارة وهبوط النيازك إلى آخر القصة .

وتستمر المحاضرة أربعين دقيقة نتعلم فيها ما لم نكن نعلم ونحن مسحورون مأخوذون بهذا الجمال ثم يقول لنا حضرته إن الليل كاد ينتهى والصبح يطلع فتنب علينا تباشير الفجر ويبتدىء ظهور الضوء ثم تأخذ الشمس في الطلوع طاردة أمامها ما تبقى من ظلام الليل .

كيف يتم كل ذلك ؟

والآن سأصف لك الجهاز العجيب الذى يجعل كل ذلك ممكناً . هو آلة غريبة الشكل طولها ١٢ قدماً ولها كرة فى كل من طرفيها وتظنها بروجكتور Projector واحد ولكنها فى الحقيقة مكونة من عدة آلات تلقى على شاشة العرض (القبة) الكواكب الثابتة والقمر وكذلك الكواكب السيارة . وإحدى الكرتين لكواكب نصف الكرة الأرضية الشمالى والآخر للنصف الجنوبى — وشرائح الفانوس الزجاجية مرتبة بحيث تعطى صورة واحدة متسلسلة .

والآلة بكل محتوياتها مركبة بحيث يمكنها أن تدور دورة مستقلة على أى واحد من ثلاث محاور : فيمكنها (أولاً) أن تدور على محور مواز لمحور الأرض بين القطبين ، وبهذا ترى صورة السماء كما تظهر فى دوران الأرض اليومى ، خلال الأربع وعشرين ساعة. (وثانياً) يمكن أن تدور على محور عمودى على اتجاه دوران الأرض حول الشمس وهذه الحركة كفيلة

بأن تدير القطب الشمالى للسماء فى الدائرة التى يتمها خلال ستة وعشرين ألف عام . وبما أنه يمكن أن يديرها إلى الأمام أو إلى الخلف فيمكن للحاضر أن يرى صورة ترتيب نجوم السماء فى أى سنة ماضية أو سنة لاحقة وفى الواقع قد رأيت فى نيويورك وفى مرصد « أدلر » بشيكاغو محاولة ناجحة لإظهار صورة السماء وقت مولد السيد المسيح عليه السلام .

(والثالث) محور مستعرض شرقا وغرب وهذا يريك السماء فى خطوط العرض المختلفة فيمكنك أن ترى السماء فى أرض شمس نصف الليل Land of Midnight Sun حيث تظهر الشمس فى منتصف الليل . وكذلك صورة السماء كما ترى فى القطب الشمالى وكيف تتحرك الشمس والكواكب هناك . كما أنك إذا نزلت إلى القطب الجنوبى لرأيت سحب المجلان Magellanic Clouds والمظلة Canopus والصليب الجنوبى The Southern Cross .

ويمكن تغيير سرعة الآلة كما تشاء ولذا يمكنك أن تشاهد حبة كبيرة من الزمن فى وقت قصير جداً .

وقد أدخل على المرصد والجهاز عدة إضافات جعلت فى الإمكان مشاهدة كسوف الشمس الكلى والجزئى . وكذلك العواصف الرعدية مع كل ما يصحبها من سحب وبرق . ثم يمكن الإنسان مشاهدة ما سوف تلاقيه فى (رحلة إلى القمر) و (نهاية العالم) و (المریخ العجيب) و (لماذا يتغير الطقس) الخ . وترى أهمية هذه المواضيع عندما أخبرك أن هذا المرصد أصبح مركزاً تعليمياً هاماً لا لطلبة المدارس والجامعات فقط بل كذلك للطيارين والملاحين والبحارة الذين يحضرون فى جماعات لتلقى محاضرات منظمة مدرسة فى شتى المواضيع الفلكية والملاحية .

الخلاصة

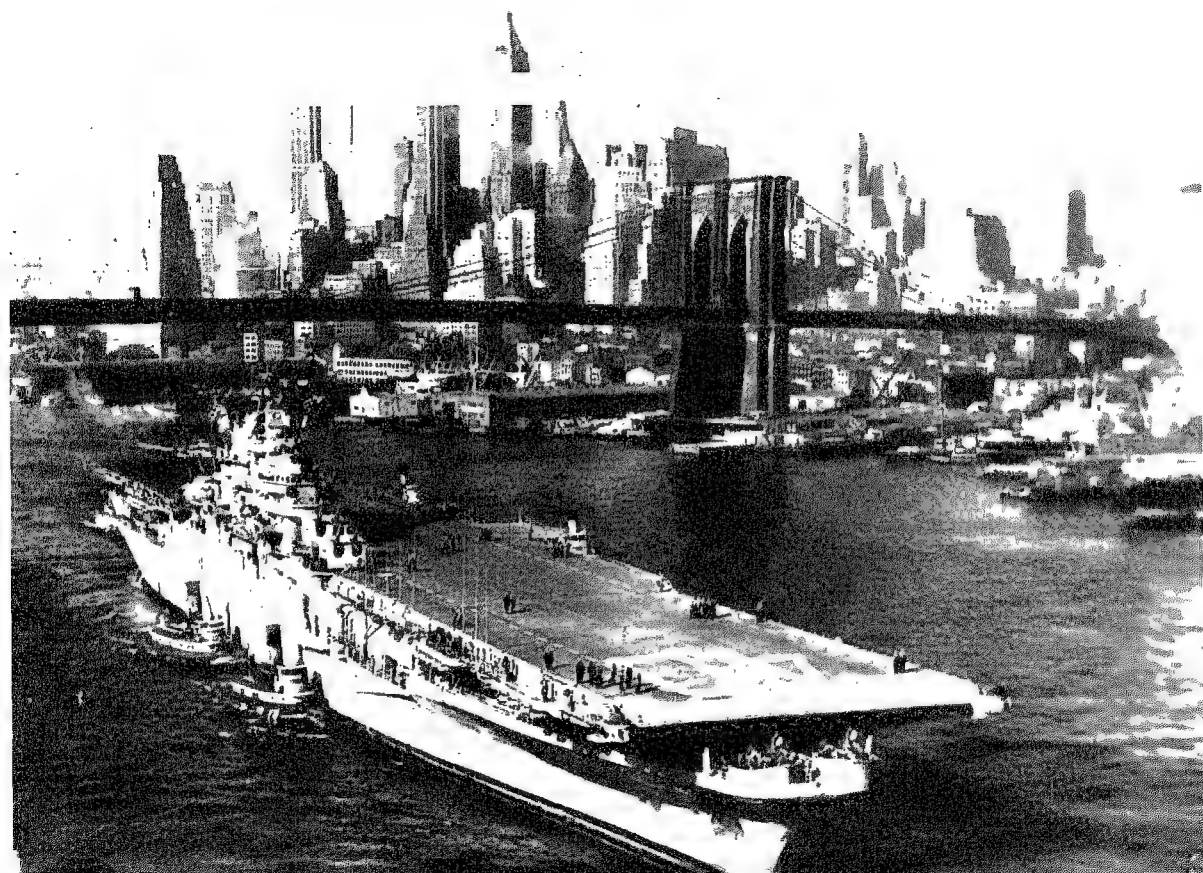
إن هذا المرصد هو تياترو (مسرح) خشبته العالم بأسره ومثلوه هم هذه الأجسام المتألقة التي تسبح في اللانهاية . وفي هذه القاعة ، وبواسطة جهاز يحتوى عدة أزرار ومفاتيح ومرايا ، يمكن للمحاضر أن يرينا العجب من تجمعات وتحركات هذه الكواكب التي قد تصل إلى الألفين عدداً كأنما هو يتحكم بآلته في الكون . وكان كل منا وهو جالس في هذه القاعة يشاهد الكواكب جميعاً ومنها أرضنا ويشهد دورانها وكيف تحصل على الضوء وعلى الدفء ، ويطوف بالعوالم اللانهاية في صورة جميلة أخاذة ثم يعود إلى حيث كان — كل ذلك في مدى ساعة من الزمان .

وأحسن ما أختتم به هذا الشرح هو ما قاله المستر «شارلس هايدن» الذي كانت هبته المالية هي الأساس في إنشاء المرصد . قال « إنى أعتقد أن هذا المرصد ليس مكاناً للتعليم والتثقيف فحسب ، بل إنه يريك بصورة واضحة ضخامة هذا الكون وعظمته وأنه لا بد أن هناك قوة تفوق الإنسان بمراحل ، قوة عظيمة تلك التي ترتب كل هذه المعجزات ، » .



ميناء نيويورك وتري الباخرة « الولايات المتحدة »
كبرى عابرات المحيط

منظر عام لاجاني مدينة نيويورك ↑





شارع برودوای باللیل وكذلك جزء من « میدان التیمز »



دار اوبرا المتروپولیتان بنیویورک
اثناء تمثیل اوبرا « کارمن »



احد مناظر المهرجان الذي تنظمه محلات متاجر « ماسي » بمناسبة عيد الشكر في شهر نوفمبر من كل عام



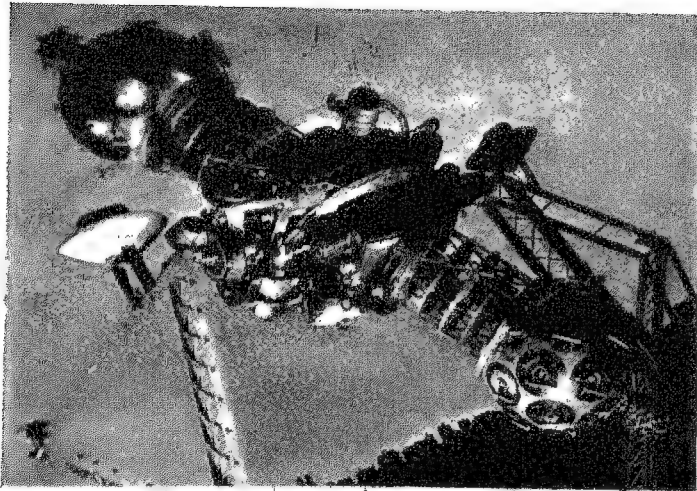
قاعة الجمعية العمومية. بهيئة الأمم المتحدة أثناء إحدى الجلسات



منظر « روكفلر بلازا » وترى اعلام جميع الدول والنافورة واحد
مداخل البناية



مدخل مرصد « بلانيتريوم » هايدن بنيويورك



الجهان العجيب الذي يظهر
الكواكب ودورانها في السموات

26.—The planetarium machine at the Hayden Planetarium, New York City. (Photograph, Courtesy American Museum of Natural History.)



ساعة المعاصرات في المرصد وترى الكواكب والنجوم كما

تظهر أثناء العظيمة.



منظر شلالات نياجرا من جهة كندا



بحيرة روتشستر وقد تجمدت
مياها ويرى البط البري المستأنس

ديترويت

DETROIT

كانت مدينة ديترويت ضمن برنامج زيارتي قبل أن أغادر مصر حيث تلقيت دعوة كريمة من شركة بارك ودافيس (Parke, Davies & Company) لتحضير الأدوية ، عندما علموا بعزمي على زيارة الولايات المتحدة ، هذا فضلاً عن أني كنت أتوق لزيارة مصانع فورد للسيارات التي طارت شهرتها في جميع أنحاء العالم .

وعند نزولي من الطائرة قابلني منظران عجيبان أولهما الأرض المغطاة بالثلوج (وكنّا في شهر ديسمبر) وثانيهما موديلات ١٩٥٣ للسيارات وخاصة سيارة دودج المعروضة في وسط صالة المطار كالعروس الجميلة وقصدت إلى فندق « شيراتون — كاديلاك » أنغم فنادق المدينة وله ٢٩ طابقاً ومئات الغرف في كل منها راديو وجهاز تليفزيون عدا الحمام والأثاث الفاخر .

وديترويت مدينة تجمع بين الجمال والصناعة : أسسها سنة ١٧٠١ « انطوان دي لاموت كاديلاك » A. de la Motte Cadillac وتبادل الحكم فيها الفرنسيون ثم البريطانيون وأخيراً الأمريكيان ومنذ نصف قرن وهي مركز صناعة السيارات . وتنتج اليوم ٩٦٪ من سيارات أمريكا كما أنها مصدر هام للمركبات الصيدلية ولعمل البويات والثلاجات الكهربائية وآلات الطباعة والأفران الخ وصارت رابع مدينة في أمريكا وعدد سكانها ١,٨٧٥,٠٠٠ نسمة .

مصانع فورد Ford Assembly Plant

إذا زرت مصانع فورد فكأنك زرت جميع مصانع السيارات الأخرى

وإن كان هذا أكبرها . وبعد ان تقيد اسمك وعنوانك تركب أوتوبيس الشركة إلى المصنع نفسه وهنا تجد أن الحديد الخام يدخل الأفران ومعه بقايا الحديد (النفاية) الخردة ويصهر الجميع إلى درجة حرارة ٣٥٠٠ ° فيحول إلى قطع صلب ضخمة ثم أنت تتبعها من مكان إلى مكان ومن فرن إلى أخرى وترى كيف تتحول إلى أجزاء السيارة المختلفة ، ثم ترى كيف تضم تلك الأجزاء بعضها إلى بعضها حتى « تولد » سيارة في الطرف الآخر من المصنع وفي الواقع تولد سيارة فوردد كل ٥٥ ثانية .

وهناك مصانع لفوردد موجودة في أنحاء مختلفة من الولايات المتحدة ولكن مصنع ديترويت هو أكبرها .

نهر ديترويت Detroit River

هذا أشبه بالبوغاز منه بالنهر ، إذ هو يصل بين البحيرات الكبرى العليا والسفلى وعرضه نصف ميل وعمقه خمسون قدماً ولكنه ينقل بضائع ومنتجات قاريتين ويقال إن البواخر الكبيرة التي (تشبه عابرات المحيط) والتي تمر به تنقل بضائع أكثر مما ينقل عبر قناة بناما والسويس مجتمعين بل إن مجموع الأشخاص الذين يدخلون ويخرجون من ديترويت سنوياً يبلغون خمسة عشر مليوناً .

سباق اليخوت Yacht Regatta

وهذا يقودنى أن أقول لك كلمة عن سباق اليخوت بعد أن شاهدت مكانه يوم أن تغديت مع أطباء شركة بارك ودافيس في نادى اليخوت Yacht Club وأكلنا سمكا طازجاً من البحيرة .

وقد أصبحت ديترويت شهيرة بحفلاتها السنوية (Regatta) ، حيث يتهاافت الهواة على مشاهدة السباق آتين من جميع أنحاء أميركا ومن أوروبا . والسباق يكون بين جزيرة بل Belle Isle والشاطئ الأمريكى حيث تكون مياه نهر ديترويت هادئة والرياح مواتية للسباق الذى يشهده الملايين وتخرج ديترويت بأجمعها (تاركة أعمالها) لمشاهدة السباق فى نهاية الأسبوع وتلبس المنطقة كلها أحلى زيتها ويبلغ الحماس أقصاه .

الصناعات الكيماوية والصيرلية

وهذه تأتى بعد صناعة السيارات مباشرة ويساعدها أن ديترويت مبنية على مقربة رواسب ملحقة من المحيطات تساعد على نمو وتنويع هذه الصناعات . وقد أنشئت أول كلية للصيدلة فى أميركا فى ديترويت سنة ١٨٦٨ .

شركة بارك و دافيس The Parke, Davies Company

شعرت بسرور زائد لزيارة هذه المؤسسة العظيمة لا لأنهم دعونى فقط بل لأنى كنت أظن أن هذه المؤسسة بريطانية الأصل منذ أن كنت أدرس الطب فى إنجلترا ، وكانت كل مطبوعاتها تصل مصر من لندن حتى كانت الحرب العالمية الثانية فبدأت المطبوعات تصل من أميركا ولك أن تتصور دهشتى إذ أعلم أنها أسست أولا وقبل كل شئ فى ديترويت فى عام ١٨٦٢ وأن فرع الشركة فى بريطانيا لا يقاس بجانب المؤسسة الأصلية .

وقد استمتعت بزيارة المعامل والتحدث إلى الأطباء الفطاحل الذين يقومون عليها ولكن ما هزنى أكثر هو قسم المباحث الطبية وما يقومون به مما يزن ما تقوم به أكبر الجامعات .

وقد اتفقت معهم بواسطة الدكتور « يوجين بين » ، على أن نجرب

« الكلوروميستين ، أقراصاً ومرهما في علاج التراكوما بمصر وأن نجرب .
« الكاموفورم ، ' في علاج الدسنتاريا الأملية عند رجوعي ومقارنة النتائج
بنتائج المركبات الأخرى .

✽ ✽ ✽

مسرح شوبرت The Schubert Theater

قال لي صديقي المستر « باور » : لماذا لا تذهب الليلة لتشاهد مسرحية
الأربع أعمدة (The Four Posters) ويقصد بالأربع أعمدة أعمدة السرير
(على الطراز القديم) وهي مسرحية عن حياة زوجين عاشا معاً ٣٥ سنة ،
وقام بتمثيلها « جيسيك تاندى » ، و « هيوم كرونين » ، وهما زوجان في الحياة .
الحقيقة (ولا يظهر على المسرح غيرهما ، ويجرى الحوار بينهما فتري المشاكل
الزوجية والانفعالات النفسية ومتاعب الأولاد في هذه الحقبة الطويلة .
وصدقتى عندما أقول لك إن كلا منا سوف يجد صورة من حياته الزوجية
على المسرح في موقف أو أكثر من مواقف هذه المسرحية التي أرجو أن
تترجم للعربية يوماً ما .

شيكاغو

CHICAGO

كنت أسمع في كل مكان أن شيكاغو مدينة تزار فيها الرياح ولكن كان لابد لي من زيارتها لأعلم أن الحقيقة أشد مما سمعت ، فقد وصلتها يوم السبت ١٣ ديسمبر وبعد أن وضعت عفشى في غرفتي بفندق « اليرتون » ، قلت فلأخرج لمشاهدة واجهات الدكاكين في شارع « ميشيجان » حيث يقع الفندق ولكنى ما أن خرجت حتى وجدت الهواء يصفر فدمعت عيناى وعطس أنفى وكدت أطير من شدة الرياح ، فعدت سريعاً إلى قواعدى . وأصبح صباح الأحد فكان الحال أسوأ ، فالسواء مغبرة والثلج يغطي الأديم فجلست إلى المدفأة أقطع الوقت بقراءة نسخة الأحد من جريدة « الشيكاجو تريبيون » ، وهى طويلة ومنوعة ولكن ما أن انتصف النهار حتى تولانى القلق والضجر فإني لم آت لأجلس داخل الفنادق . قلت لنفسى فليكن ما يكون ولا أخرج للطريق وعليه قصدت إلى مرصد « أدلر » (Adler's Planetarium) وهو يشبه مرصد « هايدن » بنيويورك (الذى سبق لى وصفه) وإن كان هذا الأخير أكبر وأحسن . وقد أقيم مرصد « أدلر » وقت إقامة المعرض الدولى بشيكاجو وأحدث ضجة كبرى إذ كان الأول من نوعه . وكانت المحاضرة فى ذلك اليوم على ظهور (نجمة بيت لحم) وقت مولد السيد المسيح عليه السلام وذلك بمناسبة اقتراب أعياد الميلاد .

وهناك مجموعة من آلات الرصد لفت نظرى منها استرولاب عربى وآخر مغربى من القرن السادس عشر وكان يستعمله العرب فى مراقبة حركة النجوم والقمر والشمس ووقت شروقها وغروبها والساعات بالنهار وكذا معرفة خطوط العرض . وقطر كل من الآلتين نحو عشرين سنتيمتراً .

بعد انتهاء المحاضرة خرجنا فوجدت الأرض مغطاة بطبقة كثيفة من الثلج ولكنى كنت مصمما على عدم الاستكانة فذهبت إلى دار الأوبرا وأخذت تذكرة لنفس المساء حيث مثلت رواية (دون جوان يذهب إلى جهنم) وهى من تأليف جورج برناردشو وكانت فى الأصل مكلمة لرواية الرجل والرجل الاسمى Man & Superman ولم تمثل إلا أخيراً فى أمريكا. وأدى دور دون جوان «شارل بوايه» ودور الشيطان «فنسنت برايس» ودور التمثال «سير سيدريك هاردويك» ودور دوننا أنا مثله «اجنس مورهد». فإذا رفعت الستار وجدت أربعة كراسى وأمامها أربع طاوولات ويجلس على كل منها أحد الممثلين ثم يبدأون الحوار حتى نهاية القصة. والقصة تتلخص فى أنه فى زمن مضى يحاول «دون جوان» تقيل «أنا» التى تصرخ ويأتى أبوها وهو ضابط عجوز على صوتها ويتبارز الخصمان فيموت الأب ويهرب «دون جوان» من المدينة ثم بعد زمن طويل يزور «دون جوان» التمثال الذى أقامته البلد لتخليد الضابط ويدعوه لزيارته فى جهنم (بينما الضابط فى الجنة طبعاً) ويدور حوار طريف بين الجميع يجمع بين الفلسفة والأدب الرفيع ويحاول المؤلف أن يقنعك أنه لم يجد جديد على الانسان الذى لم يتقدم فى شيء قط سوى آلات القتال والدمار وترى أن «دوننا أنا» ماتت فى سن ٧٧ فهى أكبر من أيها ثم هى تدهش لأنها فى جهنم وتقول لو كنت علمت أن هذا سيكون مصيرى لتزوجت إحدى عشر وأنجبت واحداً بدلاً من أنى تزوجت واحداً وأنجبت أحد عشر. وتنتهى القصة بأن يتمنى «دون جوان» أن يذهب إلى الجنة بينما يصر الجنرال على البقاء فى جهنم حيث أن المكان الآخر (الجنة) ممل ثقيل على النفس وليس به ولا حتى امرأة جميلة واحدة !! قضيت اليوم التالى فى شيكاغو متفرجاً على المدينة طويلاً وعرضاً بواسطة

أوتويستات الخط السنجابى The Gray Line .

وابتدأنا من الجهة التي يسمونها الحلقة The Loop وهو المركز التجارى الرئيسى ، تم ذهبنا إلى حى البنوك والمال وأحد البنوك تذهب إليه بسيارتك وتصرف الشيك دون مغادرة عربتك على طريقة (Drive-in) ، ثم مررنا بشارع دى طابقين ، وهو أول شارع من نوعه صمم بهذه الطريقة ، وتمر القطارات فى الدور الأعلى وبعد شارع ميشيجان ، (حيث البضائع الغالية) ، مررنا فوق نهر شيكاغو ووصلنا إلى قسم الأبراج وأنظفها برج « رجلس » (Wrigley's Tower) مصنع لبان المضغ ويغسل مرتين كل عام لىبقى أبيض نظيفاً وتتكلف كل غسلة ٥٠٠٠ دولار . ثم زرنا رصيف البحرية الممتد فى بحيرة ميشيجان ورأينا هناك بعض غواصات تستعمل للتمرين ثم شاهدنا شواطئ الاستحمام على طول البحيرة .

ثم زرنا التذكار الأهلئ The National Memorial الذى أقيم بعد الحرب العالمية الأولى وأضيف إليه صور بعد الحرب الثانية . وترى فى الداخل وتحت القبة الجميلة أربع تماثيل : للحرية والعدالة والطهارة والأخوة .

وكل الذى ذكرته لك هو النصف الشمالى للدينة وقد مررنا فى طوافنا بعدة تماثيل « لمانز كريستيان أندرسن » الكاتب القصص « وشكسبير » و « شيللى » و « جوته » و « لنكولن » ، كما أن هناك بناء هو صورة طبق الأصل لكنيسة وستمنستر (بلندن) وإن كان فى سدس الحجم الأصلى .

أما فى القسم الجنوبى فقد زرنا مصلحة البريد وأهم ما لفت نظرنا استعمال طائرات الهليكوبتر فى استحضر البريد من المطار ثم فى توزيعه على الضواحي القريبة وتنزل هذه الطائرات فوق سطح بناء المصلحة . ثم زرنا جامعة شيكاغو ومعهد مباحث السرطان وبعدها زرنا متحف العلوم والصنائع ، وهذا متحف عظيم حقاً ، إذ يريك صناعة البلاستيك وتطبيقها

فى شتى مطالب الحياة وكذلك صناعتى الزجاج والاليومنيوم ثم وجدت كل الآلات الزراعية وكيف تستعمل ، وجهازاً مصغراً لمصلحة التليفون ويشعله ويشرحه لك أحد موظفيها . ثم هناك « منجم خم مكتمل » تنزل اليه وترى كل العمليات كما سبق ورأيتها فى اسكتلندا .

وقد رأيت فى المكان الذى سبق أن أقيم فيه مهرجان شيكاغو منذ بضع سنوات تمثالا يمثل « أبونا الزمن » Father Time وهو فى الحقيقة مجموعة تماثيل تريك الشباب والصحة والقوة والجمال والعجز وقد قال شاعر فيلسوف يصف ذلك « أن الزمن لا يمضى : الزمن باق — إنما نحن الذين نمضى » .

الجمعية الطبية الأمريكية The American Medical Association

لما علمت أن المركز الرئيسى للجمعية الطبية الأمريكية هو هنا فى شيكاغو طلبت من الدكتور « جرانتج » مدير الصحة أن يهيئ لى زيارتها وهناك قابلنى الدكتور « باور » مدير قسم الثقافة الصحية والدعاية . والبناء ضخيم يضم عدة مكاتب وعدد الأعضاء يربو على ١٦٠ ألف طبيب . وتهتم الجمعية بنشر الثقافة الصحية فى نشرات أنيقة ملأى بالصور فى مختلف المواضيع ، ثم هى تستعين أيضاً بالراديو وأحياناً بالتليفزيون بل إنها دفعت مبلغاً كبيراً للممثل « شارلس لوتون » ليقوم بالقاء البرنامج الصحى . وهناك معمل كيمائى بكتلويوجى يقوم ببحث مختلف الأدوية حتى لا يعلن عن دواء فى المجلة إلا إذا كان نفعه مؤكداً .

والجمعية مطبعتها (فى البدروم) وتقوم بطبع المجلة وغيرها من النشرات وكذلك طبع المجلات الأخرى التى تخرجها الأقسام المتخصصة مثل

مجلة الجراحة وأمراض القلب الخ . . . وهناك مجلة لا بد من ذكرها هنا وهي مجلة « طالب الطب ، والغرض منها تقديم طالب الطب إلى المهنة وتعريفه بأغراض الجمعية . ثم هناك مجلة « صحة اليوم ، Today's Health لتعريف الجمهور والأطباء على السواء بالمسائل الصحية العامة . ومن طريف ما يذكر أن عمال مطبعة الجمعية الطبية لا ينتقلون إلى غيرها حتى ولو عرض عليهم مرتبات مغرية ويظهر أنهم يشعرون أنهم في مستوى أعلى من زملائهم في الصحف الأخرى مثلاً وقد سألت رئيسهم في ذلك فقال إننا نبقى هنا لأننا ندرك أننا لا نطبخ إلا كل ما هو حق !!

وبعد زيارة مفيدة تفضل الدكتور « باور ، فدعاني وثلاث زملاء آخرين لتناول الطعام في مطعم « كونجس هولم ، Kunigsholm Restaurant وهو فريد في بابه فهو مبنى نخم يشبه في مدخله وفرشه وسلالمه الرخامية القصور كما أنك يمكنك — بتمن محدود — أن تأخذ ما تشاء من الأطعمة المرصوفة على الترابيزة في وسط المكان عدة مرات . فهناك المشهيات ثم اللحوم ثم الأسماك والخضروات والحلويات والفواكه ، ولم نقدر على كثير منها . وقال الدكتور « باور ، « أنه يبعملها مرة واحدة كل شهر ، وهناك أمر آخر لا مثيل له ، ذلك أنه يوجد بالبدروم مسرح عليه قراقوز Marionettes وهناك اسطوانات لجميع الأوبرات الشهيرة ولك أن تطلب ما تشاء منها وقد طلبنا فعلاً الفصل الثاني من أوبرا عايدة وكان مشهداً ممتعاً وموسيق عظيمة . وهذا المسرح هو لرواد المطعم فقط ولا يتقاضون منهم أجراً .

قضيت اليوم الخامس مع الدكتور « جراننج ، Dr. Granning مدير صحة المدينة فشرح لي نظام العمل الصحي ومقاومة الأمراض وبحشنا كل

المسائل الصحية وعند الظهر صحبنا هو ومساعدته ومدير قسم الثقافة وذهبنا إلى مطعم التراس The Terrace Restaurant وهو من دورين وتقوم بالخدمة فيه فتيات يونانيات جميلات بلباسهن الوطنى وقد أكلت لحماً ضأن وأرز أعلى الطريقة المصرية وكان لذيذاً وبعد الانتهاء يقدمون لك كارت بوستال عليه صورة المطعم لترسله لأصدقائك ويدفعون هم أجر البريد .

فى المساء ذهبت إلى مسرح الممثلين المتحدین United Artists حيث كان يعرض فيلم « قابل القبطان كيد » ويمثله « شارلس لوتون » ومعه « بد أبوت ولوكوستلو » Abbott & Costello وكان المقرر أن يحضرا هذه الليلة وفعلوا حضرا الساعة الثامنة مساء وهما فى الطبيعة كما فى الأفلام تماماً وأخذوا يتبادلان النكت ثم ابتداءً أبوت (الطويل) يفاخر ببلده قائلا « تصور إني فى الصباح تركت الميدان الذى أمام منزلنا خالياً ولما عدت مساء كانت هناك عمارة من خمسين طابقاً ، فرد كوستيلو (القصير) وهل هذا شئ عظيم ! إني صباح اليوم خرجت لأركب التاكسى ووضعت رجلى اليمنى فى الداخل وكانت النافورة فى وسط الميدان وقبل أن أضع الرجل اليسرى رأيت مكان النافورة عمارة من مائة طابق . فقال له الآخر « يا شيخ بلاش تنش ، فاستمر يقول وليس هذا فقط ، بل كانوا يرمون عفش الناس إلى الشارع لأنهم تأخروا فى دفع الأجرة ! ! وكان رد الأول قلباً ساخناً على قفا كوستيلو ! ألم أقل لك إنهما كانا كما تراهما فى الأفلام تماماً .

فى اليوم السادس والأخير زرت صباحاً شركة ومعرض « انترناشيونال هارڤستر » (International Harvester) للآلات الزراعية ، وكنت شاهدت بعضها فى متحف العلوم والصناعات ، وقد شرحها لى مستر « كايزر »

ووعده بارسال الكتالوجات لمصر . وبعد ذلك قصدت مع مستر «سالازار» إلى جنوب شيكاغو حيث معامل «أرمور» Armour Laboratories وهي شركة كبيرة جداً في شمال وجنوب أمريكا مختصة بتربية الحيوانات وذبحها وتقطيعها وتجهيزها وتبريدها للأكل وتشتم رائحة الذبح قبل أن تصل للمكان بمراحل .

وكان غرضي هو الاطلاع على المستحضرات الطبية التي يجهزونها مثل الجمالوبيين والكورتيزون الفيرين . وفي الحق إنهم يستفيدون من كل البقايا . وقد أعجبت بنوع خاص بعملية إزالة الفص الأمامي والخلفي Anterior and Posterior Pituitary للغدة النخامية في الفأر الأبيض ثم تجربة الأدوية الجديدة عليه .

والمستر «سالازار» أصله من كوبا ولذا نصحتني أن أزور فرع الشركة الموجود في كوبا قائلاً إنك سوف تتمتع بمباهج هافانا فإنها «باريس الصغيرة» وهي قريبة من ميامي التي سوف تزورها . ولكني لا أظن أنه سوف يبق معي أي دولارات لزيارة أي باريس مهما صغرت .

كاليفورنيا CALIFORNIA

لو أنك كنت من أهل بلد معتدل المناخ (بل معتدل جداً) كعصر
ثم طوح بك فجأة — وفي الخريف وبدء الشتاء — إلى الولايات المتحدة
وبقيت في مقاطعاتها الشرقية والشمالية شهرين كاملين معرضاً كل يوم للرياح
الباردة والأمطار الهائلة والثلوج النازلة حيث لا ترتفع درجة الحرارة عن
٣٠° ف وهى فى الغالب تحت الصفر بعشرين درجة أو تزيد ولو أنك
وجدت نفسك فى آخر شهر ديسمبر فى بلد مقبض مثل أوماها (بولاية
نبراسكا) حيث اجتمعت عناصر الطبيعة التى ذكرتها مع خلو المدينة من
وسائل الترويح أو الترفية — حتى الأفلام شاهدها قبل ذلك بشهر كامل فى
مكان آخر — فإذا أضفت إلى ذلك أن جميع من لاقيت يمتدح لك مقاطعة
كاليفورنيا ومناخها ومناظرها الخلابة وسماحة ورقة أهلها . لو تصورت كل
ذلك لو ضحك لك شعورى فى ذلك الصباح من يوم الثلاثين من شهر ديسمبر
وأنا أدعو الله أن يوفقنى لايجاد مكان فى الطائرة المسافرة غرباً . حقاً لقد
كان أشهى الأصوات وأكثرها موسيقية صوت الأنسة الموظفة بشركة
الطيران وهى تبشرنى بإمكان السفر الساعة الحادية عشر صباحاً بالطائرة
الكبيرة « عابرة القارات » Trans-continental التى تسافر من نيويورك إلى
سان فرانسيسكو .

وكانت الرحلة غرباً لذيدة حقاً وفى منتهى الراحة ، ولما وصلنا مدينة
« دنفر » (Denver) توقفنا قليلاً وقدمنا عقارب ساعاتنا ساعة واحدة .
وتلطف القبطان فهبط حتى صار على مسافة قليلة من الأرض فتعنا النظر

برؤية جبال الروكى وتلوجها والأخاديد الكثيرة بينها وهكذا رأينا ما كنا سوف نراه لو ركبنا القطار واقتصدنا كثيراً من الوقت وهو يقدر بالفرق بين تسع ساعات بالطائرة وأربعين بالقطار .

ولما وصلنا مدينة « سولت ليك » ، البحيرة الملحاء Salt Lake City هبت علينا نسائم المناخ المعتدل للمرة الأولى منذ شهرين فأمكننا أن نخرج إلى عراء المطار وأن نتفرج عليه وكنا قبلاً نهرع إلى الداخل كلها توقفنا . ومن هذه المدينة ركب إلى جوارى المستر « جيمس هاموند » نائب رئيس الشركة الأهلية للصناعات وهو من أهالى سان فرانسيسكو وأدلى إلى بمعلومات كثيرة مفيدة عن هذه المدينة أعطتني فكرة صحيحة عنها .

سان فرانسيسكو SAN FRANCISCO

وصلناها في أول المساء وكان هناك مطر خفيف ولكن من ذا الذي يهتم بذلك ما دامت الحرارة هي ٦٥ - ٧٥° ف . ومن العجيب أن زميلتي المس « لايمور » شكت من البرد فقلت لها يا سيدتي إذهبي إلى روتشستر أو شيكاغو أو أوماها لترى ما هو البرد الحقيقي !!

وكننت قد قررت أن أمضي في سان فرانسيسكو عشرة أيام فقط ولكن هذه العشرة امتدت إلى ثلاث أسابيع وحتى هذه قصرت عن أن أرى كل ما كنت أحب أن أراه في الطب والإصلاح ومتعة الطبيعة ، ولكن للبرنامج أحكام . وكلم شعرت بالأسف لفراق الأصدقاء العديدين الذين تعرفت إليهم هناك .

ولا أدري كيف أصف لك كل شيء . ولذا سأقتصر على الآم وأترك غيره وإلا لما اتسع المقام لكل ما في ذاكرتي .

وتقع مدينة سان فرانسيسكو في منتصف الساحل الباسيفيكي ، بل هي المركز الرئيسي لكل هذه المنطقة وتحوطها مئات المصانع وتوكيلات الشركات وفروع الإدارات الرئيسية للحكومة المركزية . ويبلغ تعداد سكان منطقة خليج سان فرانسيسكو ثلاثة ملايين ومائتي ألف نسمة كما أن صافي الدخل يتعدى الخمسة بلايين دولار أي أن دخل الفرد الواحد يزيد على ١٦٠٠ دولار سنوياً .

وتتصل المدينة بثلاث خطوط حديدية تخترق أمريكا شرقاً وشمالاً وجنوباً كما أن هناك أربع شركات جوية تصل إليها . أما المواصلات

البحرية فهناك خمسون خطاً ملاحياً يصل إلى الميناء وبذلك تكون هي الميناء الثانية في أمريكا من حيث ضخامة الملاحة البحرية . أما الصناعات فتجد كل شيء هنا من صناعة السيارات إلى التعدين إلى صناعة الزيت وتكريره إلى صناعة حفظ الأغذية على منوال واسع . ويكفي هذا في بيان غنى المنطقة ، فلا تقتصر هنا على شرح بعض المناظر البهيجة إذ قد ذكرت لك — في فصول أخرى — ما شاهدته من تقدم في فروع الطب وما شاهدته في زيارتي لسجن « سان كوينتن » وسجن جزيرة « الكالتراز » .

منتزه الباب الذهبي Golden Gate Park

إنى أبدأ بوصف هذا المنتزه لإعتقادي أنه عمل فريد حقاً ، فهو قطعة أرض من الرمال الخشنة المتحركة على شاطئ المحيط أحاطها جون ما كلارن (John Mc Laren) إلى حديقة فيحاء مساحتها ١٠١٣ فداناً تحوى أكثر من خمسة آلاف نوع من الأشجار والأزهار البديعة فوق ما أنشئ فيها من أشياء أخرى أهمها :

- (١) منازل للخيل حيث يمكن استئجارها للركوب في طرقات المنتزه .
- (٢) متحف للعلوم والفنون Science Museum وكذا مرصد للنجوم مثل مرصد « هايدن » « وادلر » .
- (٣) أحواض لأنواع الأسماك النادرة في المحيط .

(٤) مسرح خلوى كبير حيث تقام حفلات موسيقية كل يوم أحد يؤمها الناس مجاناً . وقد هذبت الأشجار الموجودة بين المقاعد بشكل يسمح بنشر غطاء عليها لوقاية الجالسين في الأيام المطيرة .

(٥) حديقة يابانية بها تمثال كبير لبوذا وكذلك كبرى خشبية وتنسيقات يابانية .

وفوق ذلك خصص د ماكلارن ، جزءاً من المنتزه لجلوس الجماهير في نهاية الاسبوع حيث يطعمون ويلهون ويلعبون .

وقد تعلق مكلارن بالمنتزه الذى قضى في تنسيقه ثلاثين عاماً والذى أصبح جزءاً من نفسه وحياته حتى أنه رفض أن يحال على المعاش ولما اضطر إلى ذلك رفض أن يسلم رسوم مواسير الرى وتصريف المياه حتى أجبر على ذلك جبراً .

ارسالية السلام Mission Dolores

بنى هذا المعبد منذ ١٧٥ عاماً قبل إعلان الاستقلال بخمسة أيام وكان الذى بناه أحد الآباء الفرنسيين ومن هذا الاسم اشتقت المدينة اسمها وكان اسمها أصلاً د يرباينا ، Yerba Buena (لما كانت تحت حكم الأسبان ، ومعناه بالأسبانية د النبات الطيب ،) واشتقت اسم دولوريس (الآلام) من البحيرة المجاورة (Loggio Dolores) والمكان يحتوى على كنيسة ومقبرة. تضم رفات بعض الآباء الأول . أما سقفها فمصنوع من الخشب الأحمر (Red Wood) ومرسوط بالجلد الخام ومدهون هو والجدران بالألوان المشتقة من الزهور النباتية الطبيعية ، وقام بكل ذلك الهنود الحمر أنفسهم . وأنت إذ تزور المكان تشعر أنك تعيش في الأيام الأولى للعصر الإسباني بكاليفورنيا .

أسطول السمك Fishermen's Wharf

لابد لك أن تزور هذه المنطقة لتشاهد عملية صيد الأسماك إذ ترى كل

أنواع سفن الصيد مرصوة جنباً إلى جنب ابتداء من القوارب الصغيرة إلى المراكب الميكانيكية الضخمة لصيد التونة . فإذا ما زرت المنطقة ليلاً وجدت منظراً مضيئاً بهيجاً ورأيت عربات وعربات عديدة محملة بالأسماك المعروضة للبيع وكلها طبعاً طازجة وأكثرها سرطان البحر ، ينتظر أمرك ليسلق لك في التو ويقدم لك طعاماً شهيماً . وفي الواقع أصبح هذا النوع من السمك (crab) دليلاً على المنطقة حتى إن ماسكات المفاتيح والديبايس التذكارية والولايات كلها تحوى سرطانات صغيرة داخل العلب الزجاجية . ويمكنك شراء كارت بوستال ضخمة جداً مرسوم عليه الأسكلة لترسله لأصدقائك تذكاراً ودليلاً على زيارتك .

وقد تعشيننا في مطعم ترانتينو الشهير Tarantino Restaurant وهو فوق قمة الأسكلة وتشعر وأنت تأكل كأنك جالس في باخرة تسير في المحيط — وقد قدم لنا رئيس الخدم طبقهم المفضل سمك موسى مشوى مع الزبدة وكان من ألد ما أكلت .

عربات الترام Cable Cars

هذه العربات « أتتيكه » بكل معاني الكلمة وهي من علامات الزمن الذي مضى ولكنهم يقون على بعضها للذكرى وتشتغل بطريقة خاصة ويصلها التيار عن طريق أسلاك أرضية ومع أنها قديمة جداً إلا أن لها قدرة عجيبة في صعود مرتفعات المدينة . وقد ركبنا لتجربتها من مبدئها في شارع باول وارتفعت إلى تل نوب Nob Hill ثم أوصلتنا إلى أسكلة السماكين ولما رأيتها للمرة الأولى لم أصدق عيني وظننتني رجعت إلى القاهرة — لا القاهرة اليوم — بل القاهرة منذ عشرين عاماً بعربات ترامها المكشوفة جداً والمزدحمة جداً

يتشعلق بها الركاب معرضين للبرد والأمطار . ولا بد أن للعاطفة شأنًا في الإبقاء عليها حتى الآن بل إنك لترى في كل مكان صور وتماثيل هذه العربات معروضة للبيع كأنما هي الدليل الأكبر على سان فرنسيسكو . وفي الحق إن هذا النوع من العربات لا يوجد في أى مكان آخر .

نوب هل Nob Hill

كانت هنا مساكن عظام المدينة وأغنيائها ولم يبق منها الآن إلا مقر نادى اتحاد الباسفيك Union Pacific Club وفوق قمة التل يوجد فندق مارك هوبكنس Mark Hopkins وأنت إذ تأخذ المصعد فى الفندق تصل إلى الطابق الثامن عشر أى إلى ما يسمى Top of the Mark وهناك يطالعك منظر بديع لكل المدينة وخليجها نهراً وليلاً فلا تنس ذلك .

تل التلغراف Telegraph Hill

لا يخطئ النظر وجود هذا البرج العالى الذى كان يستعمل فى الماضى لمراقبة السفن الداخلة إلى الميناء أما الآن فلا يستعمل إلا فى مشاهدة مناظر المدينة والخليج من أعلا .

بريسيديو Presidio

هذا هو مركز الجيش السادس واحتياطياته وتبلغ مساحة الأرض نحو ١٥٠٠ فدان مغطاة بالأزهار والأشجار كأنما هي متنزه عظيم وقد اختارها الملك شارل الثالث الأسباني مقراً لجيشه ثم ظلت مركزاً للجيش منذ ذلك الوقت وهي تحوى مبنى فخماً جداً يستعمل كنادى الضباط .

المركز الحكومي Civic Center

وهو مبنى كبير بل مجموعة مبان تضم مصالح الحكومة جمعاء (ومن ضمنها أقسام الصحة) وكذلك مبنى البلدية (City Hall) والمسرح Auditorium وتذكار شيوخ الحرب (War Veterans Memorial) .

وهذا المسرح أو المجمع Auditorium يتسع لجلوس نحو تسعة آلاف شخص وفي وسطه صالة اتساعها ١٨٧ × ٢٠٠ قدم تتبعها أربع صالات أخرى أصغر منها ويتصدر القاعة الكبرى أوركسترا هائل عظيم والمكان معد لعقد الاجتماعات الكبرى الأهلية أو الدولية ، وفي أثناء إقامتي بالمدينة أقيم معرض للكلاب حضرته مساء ورأيت فيه مجموعة ضخمة من كل فصائل الكلاب كبيرها وصغيرها يعتنى بها وبتربيتها عناية فائقة .

ومن الطريف أن على كل تذكرة دخول نمره وفي نهاية العرض تسحب النمر جميعاً . وكان من المصادفة أن نمرتي كسبت كلباً صغيراً لطيفاً ولكنى رجوت زميلتي الآنسة «لايمور» أن تتكرم بأخذه وإبقائه عندها حتى زيارتي المقبلة لأمريكا ، إذ كيف يمكننى السفر بالطائرة ومعى «حاضرة الجائزة الصغيرة» ؟

وفكرة إقامة مبنى ومكان اجتماع لتخليد ذكرى أبطال الحرب فكرة صائبة ، فهي خير من إقامة التماثيل ، إذ يمكن الانتفاع بها وفعلا حضرت حفلة موسيقية كلاسيكية تحت إدارة الموسيقار الشهير «أريك لينسدورف» فى هذا المكان وكان البرنامج ممتعاً .

سراى الفنون الجميلة Palace of Fine Arts

هذه درة معمارية جميلة ترى ظلالها منعكسة على مياه الخليج المجاور لها .
وهى البقية الباقية من المعرض الدولى الذى أقيم عام ١٩١٥ ومع نفاستها فقد
أهملت . وهى الآن باقية تنتظر إما إعادة بنائها وإما هدمها . وبالقرب منها
ترى أعمدة بوابة تقود إلى « لاشى » ، وتاريخ إقامتها عجيب ، إذ أنه بعد حريق
سنة ١٩٠٦ الذى دمر المدينة تدميراً رسم أحد الفنانين لوحة بها بوابة رمزاً
إلى البقية الوحيدة التى خلصت من الدمار ، وكان يقصد فوق ذلك أنها هى
باب الأمل لاستعادة المستقبل الزاهر للمدينة ، وكانت الصورة من الروعة
بحيث تقرر تخليدها بنقلها إلى الطبيعة . وبذا كانت هذه هى المرة الوحيدة
التي نقلت فيها صوره إلى الطبيعة بدلا من أن تكون الصورة منقولة عن
الطبيعة .

صخور عجل البحر وشاطئ المحيط Seal Rock and Pacific Coast

ترى على هذه الصخور مئات من هذه الأسماك تقفز وتلعب فى منظر
جميل يراه الذين يطعمون فى مطعم الصخر Cliff House Restaurant فإذا
تدرجت من هنا قبالك شاطئ المحيط الرملى حيث يلعب الكبار والصغار
ولكن قل من يستحم فى الماء أو يتعمق فيه لأنه غير مأمون . وعلى الجانب
الآخر من الطريق ترى مهرجان الألعاب ومدينة الملاهى وهى دائماً مزدحمة
بالمترفين وفيها الألعاب العادية الكثيرة وربما كان أغربها الناقوس الغاطس
Diving Bell حيث ينزل بك ثلاثين قدماً وعندما ترى الأسماك المختلفة فى
القاع وتحس كأنك فى غواصة .

صبراه يونيون Union Square

ذكرت هذا الميدان لأنه يكاد يكون قلب المدينة إذ تقع حوله مكاتب كل شركات الطيران وكثير من الفنادق وأهمها فندق « سانت فرانسيس » الدائم الحركة وفي وسط الميدان حديقة بهيجة غناء ولكن فن المعمار الراقى أمكنه أن يبنى تحت هذه الحديقة جراجاً كبيراً من أربعة طوابق ساعدت كثيراً في حل مشكلة المرور والمواصلات .

المدينة الصينية China Town

الصينيون موجودون بكثرة في كل أنحاء الولايات المتحدة وهناك « مدينة صينية » داخل كل مدينة كبرى مثل نيويورك وشيكاغو وواشنطن ولكنى لم أزر أى واحدة منها مفضلاً زيارة (صينية) سان فرانسيسكو فهي أكبرها جميعها وترى فيها ما لا تراه في غيرها . أليس هذا هو الباب الأول الذى منه يدخلون ؟

وتقع المدينة في مكان محدود بين شوارع بوست وكولمبوس وباول وكيرنى وأنت إذ تسير فيها تنتقل توالاً إلى جو شرقى خالص فالشوارع ضيقة والوجوه صينية والحوانيت تزينها الرسوم الشرقية وكل شيء إما صينى أو يابانى .

وأنصحك أن تزور محل جمبس Gumps للعاديات الغالية من فضة وأحجار كريمة وسن الفيل وصور شرقية . كما أشير عليك بزيارة « مدام بترفلاى » لتشتري أحسن أنواع الملابس الحريرية الشرقية للرجال والنساء مثل الكيمونو للنساء وملابس المندارين للرجال وغيرها . وكذلك محل

« كاثاي » Cathay للتذكريات الأخرى فلا تهمل هذه الزيارة واقتن بعض المشتريات وعند ختام زيارتك تناول طعاماً شهيماً (أو غير شهى) فى إحدى المطاعم التى تملأ المكان . ولو واثاك الحظ وكنت هناك فى يوم احتفالهم بعيدهم لرأيت مهرجانات وموكباً بديعاً يخطف الأبصار بألوان الملابس والعربات والثريات الجميلة .

والجالية الصينية كبيرة جداً وهم يعيشون كأطوع ما يكون لقوانين البلاد بل إنهم قد أنشأوا قضاة ومحاكم خاصة غير رسمية من بينهم ليحاكموا من يحميد عن الصواب ويسووا خلافاتهم الداخلية ولذا تراهم محبوبين من الجميع . غير أن الشيء المؤسف هو أن أغلبهم فقراء ولذا يعيشون مكسدين فى مساكنهم القذرة مما ساعد على انتشار الدرن بينهم . وقد أنشئت أخيراً عمارات صحية جديدة لتفريج أزمة المساكن هذه .

كوبرى الباب الذهبى Golden Gate Bridge :

تصل إلى الكوبرى من طريق البريسيدو وهنا يطالعك منظر الكوبرى الفريد ، فهو أعلا وأطول كوبرى معلق فى العالم ، إذ يبلغ طوله الكلى ٨٩٤٠ قدماً منها ٤٢٠٠ للكوبرى نفسه . أما أبراجه فترتفع إلى ٧٤٦ قدماً . وقد عملت تقديرات دقيقة على مدى اهتزاز ومرجحة الكوبرى عندما تهب عليه أعاصير المحيط . ومنذ عامين وصل الاهتزاز إلى الحد الخطر تقريباً ولذا فهم يدعمونه الآن حتى لا تحدث له أضرار فى المستقبل .

وكوبرى الباب الذهبى هو من أعلام المدينة الشهيرة فوق أن اسمه يذكر بأيام الاندفاع على الذهب Gold Rush منذ عشرات الأعوام .

كوبري سان فرانسيسكو - أوكلاند San Francisco-Oakland Bridge

لا أدري إن كان هذا يسمى كوبرياً واحداً أم الأصح أن يقال إنه مكون من كوبرين بينهما نفق ويبلغ الطول الإجمالي ثمانية أميال ونصف ولا تنقطع حركة السيارات عليه نهراً أو ليلاً . ولكن لو أنك كنت عائداً إلى سان فرانسيسكو (من بركلي) حوالى الساعة السادسة مساءً لطالعك منظر عجيب إذ ترى في مواجهتك آلاف المصاييح ، هى أنوار السيارات العائدة بأصحابها إلى منازلهم بالضواحي . وبعد أن تترك الكوبرى ترى جزيرة الكنز Treasure Island وهى البقية الباقية من السوق الدولى الذى أقيم من عدة سنوات .

مصلحة البوليس بضاحية بركلي Berkeley Police Department

آلة إظهار الكذب Lie-detector instrument

كنت مدعواً ذات يوم لتناول فنجاناً من الشاي بمنزل الدكتور جربودى ، جراح القلب الشهير بجامعة كاليفورنيا ، وهناك قابلت مسز هارلى ستيفنس ، وقد عاشت فى سوريا ومصر حيناً من الوقت ، إذ كان زوجها شيتغل مستشاراً قضائياً لشركة التابلاين لنقل الزيت . وقد تدرج الحديث من موضوع إلى آخر وأبدت رغبتي أن أرى عن كذب كيفية تشغيل جهاز إظهار الكذب (فى تحقيق الجرائم) فقالت السيدة الفاضلة إنها تعرف مدير بوليس بركلي وتعرف الشخص الذى كان أول من جرب هذا الجهاز فى أمريكا . وبالفعل ذهبنا سوياً فى اليوم التالى حيث قابلنا الضابط أديسون فوردنج Lt. Edison Fording الذى شرح لى نظام البوليس البديع الذى

جعل نسبة الجرائم في هذه المنطقة أقل بكثير من غيرها رغماً عن أنها تضم جنسيات عديدة متباينة كما هو الحال في كل الموانئ البحرية .

وجهاز إظهار الكذب (الأصيل) آلة سهلة مبسطة ولا أبغى هنا أن أصف لك دقائقها ويكفيني أن أقول إنها في الحقيقة مكونة من جهازين (الأول) يشبه جهاز قياس ضغط الدم يوضع حول الذراع وتخرج منه ثلاثة أنابيب تذهب أحدها إلى مانومتر والأخرى إلى ذراع يسجل الذبذبات على طبلة ورقية متحركة ويجب أن يبدأ التسجيل عندما يصل الضغط إلى ٩٠ — ١٠٠ ملليمتر زئبق .

والجهاز الثاني يوضع على الصدر وبنفس الطريقة يسجل الإسراع أو الإبطاء في التنفس . ويبدأ الجهاز في تسجيل الضغط والتنفس ويستمر في التسجيل حتى يصير طبيعياً ، ثم تأخذ في إلقاء الأسئلة وهنا تتجلى مهارة السائل في التلميح أو التصريح بأسئلة تتجه نحو الجريمة أو التهمة الموجهة للمستول فيلاحظ ارتفاع في الضغط وسرعة في التنفس .

وقد قاموا بتجربة أماننا على أحد الضباط إذ سئل أن يختار رقماً ما فاختار الرقم ٥ وأراه لنا (دون أن يريه للسائل) وكان كلما سئل هل الرقم ١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٦ — ٧ أجاب (لا) دائماً ، طرداً وعكساً ، ولكننا لاحظنا أنه كلما اقترب من الرقم ٥ يحدث تغيير يكون أظهر ما يكون عند النطق برقم ٥ .

وقد طلبت من الجمعية الطبية الأمريكية ما نشر عن هذه الآلة فأرسلوا لي مقالات عدة ولا بد لي أن أذكر أن هذا الجهاز رغماً عن كل ما قيل لا يمكن إلا أن يكون قرينة إضافية للتحقيقات الجنائية الأخرى ولا يمكن قيام

الاتهام على أساسه هو وحده شأنه في ذلك شأن الكلاب البوليسية التي نستعملها في مصر .

طائرات الهيلوكوبتر The Helicopter

قلت لك في فصل آخر أنى كنت طوال رحلتى أطيّر من مكان إلى آخر في طائرات نفخة مكيفة الهواء والضغط والجلوس فيها أشبه بالجلوس في صالون الفندق المريح ولما وصلت سان فرانسيسكون قيل لى إنك لم تجرب « الشعور بالطيران » حتى الآن ولا يمكن أن تحس به إلا إذا ركبت طائرة الهيلوكوبتر . ومن جهة أخرى أظن أن الزمن لا بد آت - قريباً - عندما يركب كل إنسان طائرته الخاصة يتنقل بها من مكان إلى آخر كما هو الحال في السيارات اليوم . وفي بلاد كمصر ، حيث الأرض خصبة جداً ، لا يمكن تخصيص مساحات واسعة كقطارات هنا وهناك وفى كل مكان إذ أن هذا يعد سفهاً وتبذيراً . ثم إن الهيلوكوبتر تطير أحسن ما تطير فى الأجواء المعتدلة إذ أنها لا ترتفع كثيراً جداً . أضف إلى ذلك أن أسطح المنازل بمصر مسطحة وتصلح لهبوط هذا النوع من الطائرات . ثم فوق كل ذلك هى تجربة جديدة أحب أن أقوم بها .

لكل هذه العوامل طلبت من أصدقائى فى شركة شل بسان فرانسيسكو أن يدبروا لى هذا الأمر . وعليه زرت شركة هيلر The Heller Helicopter Factory والمصنع مكان للأبحاث ولتجميع الأجزاء وقد أنشئ عام ١٩٣٩ عندما وجه المستر ستانلى هيلر اهتمامه لعمل طائرة ارتفاعية رخيصة التكاليف تصلح لنقل البضائع وأدت أبحاثه إلى إيجاد طائرة هيلر ٣٦٠ تصلح لركوب ثلاث أشخاص وقد استخدمت هذه الطائرة فى رسم الخرائط المساحية وتعفير

الزراعات ومحاربة الجراد وتقل الأشخاص وأعمال الإغاثة في نكبات الزلازل والفيضانات الخ . . وسوف يسجل التاريخ عام ١٩٥٠ كالיום الذى أصبحت فيه الهيلوكوبتر كأحدى طائرات الحرب إذا استعملت في نقل الجرحى والجنود والمعدات بين ميادين القتال وكانت الحرب في كوريا هي المحك الذى بين الفائدة العظمى لهذا النوع من الطائرات .

ولا شك أن المستقبل هو للهيلوكوبتر والشيء الذى يعوق انتشارها هو ارتفاع ثمنها الذى يبلغ ثلاثين ألف دولار ومع أن حرب كوريا أكدت فائدتها إلا أن الحكومة الأمريكية في ذلك الوقت استولت على كل المصنوع منها كما أن ذلك عاق تجارب عمل طائرات صغيرة ورخيصة .

وسوف تسألني عن تجربتي ركوبها فأقول لك إننا بعد أن شاهدنا كيفية صنعها وتركيبها ركبت واحدة ووجدتها سهلة جداً في قيادتها ارتفاعاً وانخفاضاً ويميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً إذ يمكنك أن تطير بها إلى أى من الجهات الستة في يسر وسهولة وأغرب من ذلك أنك تطير على أى ارتفاع مهما كان منخفضاً ثم إذا راق لك الأمر تستطيع أن تقف تماماً عند أى ارتفاع أو بجذاء أى نافذة منزل لتكلم أصدقاءك وتتبادل معهم الأحاديث أو الأشياء . فهل تعجب إن قلت لك إنها طائرة المستقبل خصوصاً في مصر ؟ . وقد أراد قائد الطائرة أن يداعبني فكان يميلها يميناً أو يساراً بشدة حتى كنت أشعر أننا سوف نسقط إلى الأرض فرجوته أن يكتفي بالميل يمناً فقط حتى يسبقني هو في السقوط !!

وكان معي صديق مستر بول هارفي (من شركة شل) فركب بدوره وسجلنا كل ذلك بالكاميرا وشكرناهم .

ثم رجعنا للديانة حيث تناولنا عشاءنا في مطعم هندي (The India House Restaurant) وأنت تتناول طعامك الشهى في ضوء الشموع يقدمه لك طلبة هنود من الجامعة وقد لبسوا عماماتهم وملابسهم الوطنية وتناول ما تشاء من الأكل الهندي المملوء بالكري (Curry) .

الجلوب تروترز The Globe Trotters.

نسيت أن أخبرك أنى قضيت صباح يوم الهيلوكوبتر في مستشفى ستانفورد حيث شاهدت عملية فتح القلب وتوسيع صماماته .
ولكن هل تظن أننا اكتفينا بكل هذه المشاعر وهذا الاستمتاع من طب إلى طيران إلى أكل هندي ؟ كلا يا صديق فقد ذهبنا بعد العشاء إلى « سراى البقرة » Cow Palace لنشاهد كرة السلة يلعبها فريق الجلوب تروترز الذى زار القاهرة في العام الماضى ، ولم أتمكن من مشاهدته حينذاك .
وتسألنى ما هى سراى البقرة فأقول لك هى مبنى كبير جداً به مقاعد لأربعة عشر ألف متفرج وأمامه مساحات كبيرة لوقوف السيارات وله أبواب كثيرة . وتتوسط المقاعد ساحة كبرى للألعاب والاستعراضات والحفلات الموسيقية وغيرها وسمى فى الأول سراى معرض الصناعات والزراعات ، وكان أحسن ما عرض فى المرة الأولى البقر الذى يدر لبناً كثيراً فأصر الشعب على اختصار التسمية إلى « سراى البقرة » .
وقد استمتعنا بمشاهدة ألعاب كرة السلة الفنية التى لا مثيل لها خصوصاً من اللاعب ريس « تاتم » Rees Tatum الذى بلغ من طوله أنه يكاد يمسك السلة نفسها (طوله ست أقدام وأربع بوصات ووزنه ١٩٠ رطلا) فهو أطول لاعب قطعاً .

يا له من يوم ويا لها من أمسية !!

مزرعة شل ومعمل الأبحاث

The Shell Farm and Research Laboratories

أصر صديقى مستر بول هارفى على تخصيص يومين لزيارة معاهد نشاط شركة شل ، وقد نشأت فكرة زيارة معهد أبحاث الشركة أثناء زيارة مجلس إدارة المجمع المصرى للثقافة لحقول البترول فى رأس غارب بمصر .

وفى صباح يوم ٨ يناير ركبنا إلى أوكلند حيث معمل الأبحاث . وهو مستوف لكل أغراض الأبحاث الطبيعية والكياوية حتى الميكروسكوب الذرى Electronic Microscope الذى يظهر تكوين ذرات الزيوت بشكل أوضح من الميكروسكوب العادى . وقد بحثت مع الدكتور كتانيو فوائده الزيت الجديد فى منع التآكل وفى الاندماج مع الكربون وبذا يسهل نزول المخلوط عند تغيير الزيت بدلا من التصاقه بالسليندرات كما أخبرونى أن زيت غسيل لا لزوم له وأن المواد التى تضاف لمنع التخثيط لا تمنع شيئا قط .

وبعد الظهر ذهبنا لتناول الطعام فى مطعم « زومبي » Zombee Village وهو ريفى بحرى مثل مطعم « البحار كنت » . ويقوم بالخدمة فيه فتيات صينيات جميلات كما أن الكوكيتيل يأتىك مغطى بأوراق ملونة على شكل شماسى وفى النهاية يقدم لك مع الحلوى بسكويات مثل البتي فور تجدد داخله ورقة بخت وكانت ورقى مكتوب فيها « لا تتسرع » . سوف يدق الحظ على بابك قريباً .

وفى اليوم التالى سافرنا بالسيارة إلى مودستو Modesto وتبعد مسيرة ساعتين شرق سان فرانسيسكو ، مارين بدلين وتراسى وماتتيكا وكان الطريق جميلا يزدان بالخضرة والأزهار وترعى على جباله قطعان البقر كأنه منظر

من جبال اسكتلندا . وقد سعت بمقابلة الدكاترة « هانسبرى » و « دوسرلند » و « أوفريك » و « كروتزر » وهو إخصائى فى الفيروس (virus) وقد قضينا وقتاً طيباً فى حديث على عن الديدان المفلطحة وعن حشرات النباتات وطرق مقاومتها وعن الفيروسات التى تصيب النباتات وأنواعها وتدرج الحديث إلى أبحاث الفيروس عامة وما هى طبيعتها هل هى نبات أم جماد .

ومساحة المزرعة ثلاثمائة فدان مقسمة إلى أجزاء عديدة يزرع فى كل منها صنف خاص من النبات أو الفاكهة وتجرب عليها المواد التى تعجل النمو وكذلك مواد مقاومة الحشرات . وهناك مزارع للحشرات لدراسة أدوار حياتها واستجابتها للمواد الكيماوية . وهنا سألتهم عن تعليل مقاومة الذباب لمادة د . د . ت فأخبرونى أن أحد أساتذة جامعة الأياما (Alabama) وجد أن الذباب المقاوم عنده « أنزيم » Enzyme فى جلده يعادل حامض الكلوريد الموجود فى ال د . د . ت فيصبح غير فعال وقد قيس مقدار الأنزيم فوجد أنه أربعة أمثال المطلوب للتبادل . أما الجامكسان فيحتوى من الحامض مقداراً كبيراً وبذلك يقتل هذا الذباب المحصن غير متأثر بأنزيم الجلد . ولم ينشر هذا البحث بعد .

الأشجار الحمراء The Red Woods

كنت كلما لاقيت أحداً فى سان فرنيسكو سألنى متى وصلت ؟؟ وحتى إذا قلت منذ يومين فقط قال وهل لم تزر الأشجار الحمراء بعد ؟ كيف ذلك ؟ إنها أبهج وأعظم مناظر المنطقة . وعليه فقد صحبت الدكتور ايليس سوكس Dr. Ellis Sox مدير صحة المدينة ذات صباح وقصدنا إلى هذه المنطقة . وأنت تمر فوق كوبرى الباب الذهبى إلى منطقة خلاصة مكسوة بالخضرة والأشجار

والأزهار فإذا ما وصلت إلى البارك وشاهدت هذه الأشجار الشاهقة سبحت
بحمد الخالق القدير . إنك تشعر بهذه العظمة وتحس بالرهبة .

وقد صدر مرسوم من الرئيس تيودور روزفلت عام ١٩٠٨ يجعلها
تراثاً أهلياً حفظاً لها من الهلاك إذ كان الناس قد أخذوا في قطعها واستعمال
أخشابها في شتى الأغراض . واسم الأشجار العلى هو Sequoia وهى أطول
أشجار العالم قاطبة إذ يبلغ طول بعضها ٣٥٤ قدماً كما أن قطرها يصل إلى
٢٠ قدماً وعمر أكبرها ألبى عام . وهناك نوع آخر منها يوجد في جبال
سييرا نيفادا (Sierra Nevada) وهو أضخم (٣٥ قدماً) في القطر وأقدم
(٣٠٠٠ عاماً) ولكن لا يبلغ ارتفاع الآخر .

ولا أظن أنى شعرت بمثل هذه الرهبة إلا عندما وقفت بين أعمدة معبد
الكرنك في ليلة مقمرة ولكنى تأثرت هنا أكثر ، فهذه الضخامة من صنع
الإله . ولأجل أن أنقل لك صورة أذكر لك بعض الأمثال التى شاهدها :
(١) فهناك عملاقة مجوفة قطرها ١٨ قدماً يمكن لسبعة عشر شخصاً أن
يدخلوا ويقفوا معاً داخل تجويفها .

(٢) ثم هناك أخرى اسمها « المعبد » The Temple تمر بسيارتك
داخل تجويفها وتخرج من الجهة الأخرى وهى تجربة فذة حقاً .

(٣) فى سنة ١٩٣٥ قطعت إحدى الأشجار وبحساب حلقاتها وجد أن
عمرها ألف عام وترى مكتوباً على قطاعها الآتى :

مركز الدائرة ٩٥٩ بعد الميلاد .

١٩٣٠ قطعت الشجرة .

١٧٧٦ إعلان الاستقلال .

١٤٩٢ اكتشاف أمريكا .

١٢١٥ إمضاء الماچنا كارتا (Magna Carta) .

١٠٩٩ معركة هاستنجز (Hastings) .

(٤) هناك أعجوبة أخرى : سقطت شجرة عمرها ألف عام وبعد ذلك
تما على طرفها فرع جديد يبلغ من العمر ١٥٠٠ عاما (جديداً) قبل أن يقطع
لأخذ خشبه ولا يزال موجوداً على الأرض في حالة حسنة جداً .

ونظراً للظلال لا يمكن أن تنمو الأزهار بوفرة ولكن هناك بعضها
متناثراً علاوة على وجود أنواع قليلة من الأشجار الأخرى كما أن المكان
خاص بالطيور المتنوعة وبيعض الغزلان . ثم هناك مجرى الماء الذى يخترق
البارك (المتنزه) البالغ ٧٤ فداناً وعلى المجرى كبارى خشبية كثيرة وترى
المياه غاصة بالأسماك خصوصاً « السالمون » و « التراوث » . ولا يجوز لأحد
أن يصيد شيئاً منها كما يمنع اقتطاف الأزهار وإن كان من المسموح به تناول
الأطعمة فى أمكنة خاصة هذا فضلاً عن وجود مطعم خاص عند الباب ملحق
به حانوت لبيع التذكارات وخاصة المصنوعة من هذا الخشب النادر الأحمر
الذى له لمعة وبهاء خاصين .

وفى أثناء اجتماع مندوبى دول العالم لإنشاء جمعية الأمم المتحدة اقترح
مندوب بريطانيا عقد إحدى الجلسات فى هذا المكان (وقد نفذ الاقتراح)
قائلاً لعلنا يأسادة نرى عظم الطبيعة ونرى الإنسان على حقيقته وكما هو ضئيل
بالنسبة لغيره من الكائنات .

لقد زرت أمكنة خلوية كثيرة وجلست على مقاعد فى الحدائق والمتنزهات

فى الشرق والغرب ولكنى فى ظلال هؤلاء العالقة شعرت بتطور روحانى
جديد وارتفاع عن فساد الناس وصغائر الأمور .



Frozen Vegetables and Dried Fruits. الخضروات المجمدة والفواكه المجففة.

يتم كل واحد منا - كصرى - أن يطلع على تقدم الزراعة وعلى
الصناعات الزراعية أينما كان فإياك إذا وجد نفسه فى كاليفورنيا جنة
المزارعين والمركز الأول فى مثل هذه الأبحاث.

وقد صحبى فى زيارتى المستر لوترينى مفتش الأغذية بوزارة الصحة وكان
أول ما زرنا مصنع تجميد الخضروات ولا داعى لشرح كل العمليات ويكفى
أن أخبرك أن الخضروات منتقاة أصلاً ثم يعاد اختيارها وبعد ذلك تغسل
عدة مرات وتقطع ثم تغلى وبعد ذلك توضع فى صناديق من الورق المقوى
وهذه بدورها توضع فى المجمدات Freezers لمدة ٨ - ١٠ ساعات وأغلب
العمليات تتم ميكانيكياً .

بعد ذلك زرنا مصنعاً لتجفيف الفاكهة يمتلكه ثلاثة إخوة من أصل
إيطالى كما يمتلكون بستاناً للفاكهة مساحته ٧٠٠ فدان . وفى المصنع يفرز
المشمش والبرقوق ويقسم إلى طوائف حسب الحجم ثم يرص على صوانى
وهذه تدخل فى أفران يمر بها هواء ساخن وبهذه الطريقة تخرج الرطوبة
بعكس طريق دخولها وقت النمو أى من العنقود فضلاً عن أن الجلد لا يتجدد
وهذه الطريقة تفوق التجفيف فى الشمس التى تحدث كثيراً من التخمر
(وفقدان المادة السكرية) وتلف الفواكه . وقد تكرم المستر « سام »

(أحد الشركاء) بإهدائي صندوقاً من القراصيا ولكنى شكرته معتذراً بأن إرساله لمصر سوف يفوق ثمنه فعرض أن يرسله هو ولكن كان هذا كرماً فائقاً فكررت اعتذارى وله الشكر على كل حال .

والمنطقة التى تحيط سان جوزيه حيث توجد هذه المصانع (وينطقونها سان نوزيه) جميلة جداً وقد دهشت إذ وجدت فيها متحفاً للآثار المصرية ولكن ضيق الوقت منعنى من زيارته .

وإنك عند ما تزور هذه المنطقة من كاليفورنيا سوف توافق على أنه ولو أن زمن البحث عن الذهب (كمعدن) قد ولى إلا أن خيرات الأرض — ماتحتها وما فوقها — يفوق فى قيمته الذهب الابريز . فهل تعجب بعد ذلك عند ما تسمع أهل كاليفورنيا يتباهون ويقولون (لو أن كولمبوس جاء إلى أمريكا من الجهة الغربية لما اهتم أحد باستكشاف الجهة الشرقية) !!

* * *

سان فرنسيسكو (فى الليل)

ربما تكون قد لاحظت أن كل ما وصفته لك كان يتم نهاراً ولعلك تسأل كيف تبدو هذه المدينة الساحرة ليلاً . وفى الحق أنى لم أجد الناس يتألقون فى مأكلهم ولطوهم ومشربهم مستمتعين كما رأيتهم فى هذه المدينة .

المطاعم

أولها وأهمها « كليف هاوس » ، Cliff House . هو من معالم سان فرنسيسكو كما إنه قد يكون أقدم مطاعمها إذ أسس سنة ١٨٥٨ ثم أعيد

بناؤه وترتيبه عدة مرات . وهو مقام على حافة المحيط فوق صخور الشاطئ .
 ذو طابقين وبه عدة صالات كبيرة للطعام واجتماع الهيئات فهناك : الغرفة
 البحرية وغرفة غروب الشمس الخ . وسواء كنت تتناول طعام إفطارك أو
 غذائك أو عشائك فإنك تشاهد من نوافذ المطعم منظرأً خلابةً لشاطئ المحيط
 الرملي ومنتزه الباب الذهبي وطاحونة الهواء الهولندية كما سوف ترى صخور
 سباع البحر وتراها وهي تقفز وتلاعب أمواج المحيط المتكسرة .

وتصادف — في المرة الأولى التي طعمت فيها هنا — إن كان النذل
 فرنسي الأصل خدم في الإسكندرية فيما سبق ، فراح يحدثني عن ذكرياته
 بمصر وألح في أن أكل طبقهم المفضل : الابلوني (Apalone) وهو حيوان
 صدفى بحرى كبير يوجد ملتصقا بالصخور ذو لحم صلب . وهم لذلك يدقونه
 طويلا قبل طبخه حتى يسهل تناوله وهضمه .

والجلوس في هذا المطعم متعة والمنظر بهيج والطعام لذيذ ولذلك فإنك
 سوف تعود ثم تعود اليه طالما أنت في سان فرنسيسكو .

ويلحق بالمطعم حانوت كبير لبيع اللعب والتذكارات والطرائف وتجذب في
 مدخل الدار تمثالا لبحار — من صنع يده — يكاد ينطق بالحياة كما أن سيدة
 أمريكية عجوز أنشأت في جانب صغير داراً سمته منزل العرائس
 Dolls' House جمعت فيه أثاثات وطرائف (مصغرة طبعا) من جميع أنحاء
 العالم ومن بينها مصر .

ثانيهما — مطعم ظلال سان فرنسيسكو The Shadows : هذا مطعم
 ألماني تتناول فيه الأطباق الخاصة بهم تحت أضواء الشموع وأنت تتناول
 طعامك في جو بهيمى فذ في مطعم ارتفع فوق تل التلغراف Telegraph Hill

ومن هنا تشاهد منظراً فريداً يجمع بين كوبرى الباب الذهبى وكوبرى بركلى ولا يمكنك أن تراهما هكذا من أى مكان آخر .

ثالثها — مطعم عمر بن الخيام : هذا مطعم أرمنى شهير فى كل أنحاء العالم وقد تمتعت فيه بأكلة كباب و(محشو ورق عنب) ومخلل لم أذق مثله فى مصر نفسها. والجدران محلاة برسوم من ربايعات عمر بن الخيام مما يضفى جواً شرقياً فريداً على المكان فوق أن مقاعده غاية فى الراحة والاسترخاء ثم هم يقدمون لك كوكتيل اسمه «الربايعات» ويهدونك طريقة عمله حتى تصنعه فى منزلك وقد وجدت من الجميع ترحيباً خاصاً بى كمصرى وأكرمنى وأكرم ضيوفى المستر جورج مريديكان صاحبه وهو شخصية مريحة يحبه الأمريكان لما أداه لهم فى الحرب العالمية الثانية من خدمات ، إذ طاف ميادين القتال عامة « يعلم ، الجنود كيف يطبخون نفس المواد التى تصرف لهم بطريقة «تجعلها» أكثر اشتهاً ، ولم يكتف بذلك بل ألف كتابا بتعاليمه . وبذلك امتنعت الشكاوى من الجنود .

رابعها — المطعم اليابانى Yamato Sukiyaki Restaurant : هذا مطعم يابانى ممتاز تراه دائماً مكتظاً بالطاعمين فان لم تكن قد حجزت مكانا قبل حضورك فعليك بالانتظار حتى يخلو مكان . والطعام هنا ألد ما يكون ولكن ليس هذا كل شئ . بل هناك طريقة تقديمه : فإنهم يدخلونك غرفة خاصة (ومعك ضيوفك) فتخلع نعليك وتلبس شبشباً يابانياً وتجلس على مقعد واطئ (شلته) وأمامك طاولة واطئة (مثل طبلية زمان) وتسترخى وعندما تختار طعامك من القائمة تأتيك الخادمة اليابانية الجميلة لابسة الكيمونو وتحضر معها أجزاء الطعام والغلاية الكهربائية وتطهى طعامك أمامك فى مدى ١٥ — ٢٠ دقيقة على أمل أن ترى بنفسك الإناقة والنظافة وأن يحرك ذلك

شهيتك للأكل . ثم هناك الشاي الياباني الأخضر تشربه بدلاً من الماء . ألم أقل لك إن هذه ولا شك تجربة فذة فلا تنس هذا المكان وهو موجود في شارع كالفورنيا ؟ ويمكنك أن تشتري مجموعة من أكياس الشاي يحتوى كل منها قدرًا يكفي لعمل فنجان واحد .

خامسها — مطعم نادى الدومينو The Domino Club : هذا مطعم غريب يقع في شارع جانبي بالقرب من ميدان يونيون وما أن تدخله حتى ترى كل الجدران محلاة بصور زيتية لفتيات جميلات (عرايا في الغالب) في أوضاع مختلفة كثير منها مثير . ثم هناك صورة زوجة الفنان — ونسيت أن أخبرك أن فنانا هو وزوجته هما اللذان رسما كل هذه الصور — مرسومة على الزجاج ويضيئونها من الخلف فتراها تكاد تكون مجسمة . ثم هناك الأرغول الذى تلعب عليه فتاة أنيقة لك أن تطلب منها ماتشاء من الموسيقى ، وقد أمتعنا تلك الليلة بأنغام أقاصيص هوفمان Tales of Hoffmann ، وكذلك افتتاحية أوبرا حلاق أشييليه ouverture Barbier de Séville .

مطعم البحار كنت Skipper Kent : هذا مطعم غريب أنشأه البحار كنت الذى جاب البحار السبعة وجعله شبيهاً بمشارب الهنود في الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا فترى جدرانه وسقفه من أعواد البامبو كما أنها محلاة بالحبال والقوارب والسكاكين وشتى الآلات التى يستعملها البحارة في رحلاتهم . وتقدم أنواع عجيبة من الطعام مطبوخة على طريقة تلك البلاد كما أن الشراب المفضل هو الروم القوى لمن يمكنه أن يتناوله .

وقد حاول الكثيرون تقليده ولكن هذا المطعم هو أحسنها جميعاً بلا شك .

فندق فيرمونت The Fairmont Hotel : لا أبغى هنا أن أصف لك

هذا الفندق كفندق ولو أن هذا يستحق التنويه قطعاً فهو مبنى في أعلا بقعة Nob Hill كما أنه يشبه في مدخله ورخامه وعواميده وطاقفه وأثاثاته ومراياه القصور الملكية الأوروبية . ولكنى أنوه لك هنا بمطاعمه — نعم مطاعمه العديدة — فهناك مطعم السادة Squires' Room وهو مخصص للرجال فقط أى لمن يريد وبحث شئون الأعمال أثناء تناول الطعام مستعملاً اللغة التي يريدها والتعبيرات المبهمة « وغير المبهمة » ١١

ثم هناك المطعم الاسبانى والمطعم المكسيكى المؤثث كأنه قطعة من المكسيك القديمة . هذا عدا المطاعم الأخرى على الطريقة الأمريكية .

ولكن لا بد لى أن أصف لك البار الدائر Merry-go-round Bar فهذا يحتوى على مرتفع فى وسط الغرفة الفسيحة عليه مقاعد مريحة وترايزات يتوسطها البار نفسه . وأنت إذ تجلس وتطلب ماتريد من الشراب ترى مكانك يدور ويلف آلياً ببطء وتمتع نظرك بمناظر مرسومة على الجدران بالزيت رسماً متقناً وتمثل مناظر من باريس : البوليفار ، والجندرمه والأوباش ، والمقاهى ، فإذا أمعنت فى تناول الكوكتيل فأغلب الظن أنك تصبح لا تدري أيها الذى يدور أنت أم البار أم الجدران أم أنكم ثابتون وبازيس هى التى تتحرك أمامكم لتفرجوا عليها .

مطعم سايللى Sabilli's Restaurant (Sea-food) : كان صديقى الدكتور « جون شاوب » John Schauppe الجراح بالجامعة قد دعانى لتناول الغذاء فى النادى البوهيمى Bohemian Club وهو أشهر نوادى سان فرانسيسكو إذ أن خطط كاليفورنيا كلها فيما يختص بالسياسة وانتخابات الرئاسة تتم هنا . وهو نادى نفهم جداً وبه لوحات فنية بديعة وترى فيه الطنافس الغالية وأغلاها الكبرى التى مسطحها ١٠ × ٢٠ متراً (قطعة واحدة) .

ودعاني في اليوم التالي (السبت) وكان آخر أيام إقامتي بسان فرانسيسكو إلى منزلهم الصيق على جزيرة كورنث Corinth Island . وهي بالقرب من نادى كاليفورنيا لليخوت ، وهو مكان بديع بل خيالى جداً فى جماله ومناظره . وأزهاره ، وعند ما حل المساء قال سأخذك لتأكل عند أكبر الإخصائيين فى الأطعمة البحرية Sea-foods . وكان محققاً للغاية فى ذلك فلم أتلذذ بمثل هذا الجبرى ولا هذه الأسماك ثم هم يعطونك دليلاً مطبوعاً بتفاصيل عمل هذه الأطعمة (يا للتحدى) وهناك شيء آخر فسواء طلبت شراباً أم لم تطلب فإن هذه الدار تصر على أن تقدم لك — تكريماً لك ومفاخرة منها — شيئاً من نبيذ كاليفورنيا خصوصاً عندما يعرفون أنك أجنبي عن البلاد .

ملاهى سان فرانسيسكو

هذه مدينة مرحة لاشك فى ذلك . ولن أخبرك عن السينمات فهى لاتعد وإنما أخبرك أنى شاهدت استعراضية أو كلاهما فى مسرح « جبرى » Geary وكذلك رواية « أنا كاميرا » I am a camera فى مسرح « كوران » Curran . ويأتى إلى هذه المدينة فنانون من جميع أنحاء أمريكا وكذلك من أوروبا . فثلاً المغنية « إديث بياف » وهى فرنسية ومعروفة فى مصر كانت ستحضر إلى هناك . ويلقى الجميع ترحيباً وإقبالاً عظيماً .

المدينة المحرمة (Forbidden City night club)

وهو ملهى صاحبه وكل كواكبه صينيون وصينيات جميلات والاستعراض كان جيداً . ثم إن هناك سيدة تأخذ لك صورة فوتوغرافية وبعد عشرة دقائق بالضبط تكون قد أحضرتها لك مكبرة ثم مصغرة (على

علبة كبريت) وعليها توقيع صاحب الملهى بالانكليزية والصينية مع كلمة
ترحيب . كل ذلك بثلاث دولارات — يابلاش .

القرية الاسبانية Spanish Village

هذا كاباريه اسباني تلبس فيه الارستات ملابس فوسفورية تضيء
عندما تطفأ الأنوار وتعطى لأجساد الراقصات تأثيراً خاصاً ١١

المسرح التسعينى The Gay nineties

هنا يقلدون فى الرقص والغناء باريس فى عام ١٨٩٠ ويشترك جميع
الحضور مع الكواكب فى الإنشاد وهذا الملهى وكذلك سابقه من بقايا
البربارى كوست Barbary Coast الذى أغلق أخيراً .

يكفى مشاهدة ذلك وإلا طارت الدولارات وعندئذ لن أتمكن من
تكلمة الرحلة .

لوس انجيلوس

LOS ANGELES

هل يمكن لأى زائر للولايات المتحدة ألا يضمن برنامج زيارة لوس انجيلوس وهوليوود . إنه قد رأى فى بلده الأفلام الأمريكية وشاهد كواكب السينما فكيف يمكنه أن يقاوم الرغبة فى زيارة هذه الاستديوهات ومقابلة أحد الكواكب . ثم هل يصدق إخوانك أنك حقاً زرت أمريكا إن لم تقص عليهم شيئاً من أخبار هوليوود وكواكبها ؟

وعليه فقد طرت من سان فرانسيسكو إليها صباح الأحد ١٨ يناير وما أن أُلقيت بعفشى فى الفندق حتى سارعت إلى شارع ولشير Wiltcher Boulevard فشاهدت الحوانيت الفخمة والبضائع الأنيقة . ولكن أين السيدات الجميلات وأين الكواكب ؟ إلى أبعد عنهن فلا أرى أحداً ولكن ربما كانوا قد ذهبوا بعيداً لقضاء عطلة الويك إند !!

ولكن لنبدأ من البداية : فقاطعة لوس انجيلوس أصبحت إمبراطورية تفوق كثيراً من الولايات بسكانها البالغين أربعة ملايين نسمة وهى تحوى جزائر اللهو المتناثرة على طول الباسفيك والشاطئ نفسه والصحارى الجميلة وسلاسل الجبال . أما الصناعة وخصوصاً الزيوت وتقطيرها ، أما الزراعات وخاصة الفواكه والمواالح ، أما صناعات الراديو فحدث عنها ولا حرج . وهل أذكر لك صناعة الأفلام والسينما ؟ لا ... فأنت تعلم أن هذه هى عاصمة الدنيا فى هذا المضمار .

وقد تelfنت الدكتور أوهل Dr. Uhl مدير صحة المدينة ولما قابلته فى

اليوم التالي وأخبرته أني أريد مشاهدة الاستديوهات فقط (لأنى سبق وشاهدت الأعمال الصحية فى جهات أخرى) أحسست أنه شعر بنجبة أمل . ولأجل أن أرضيه زرت مراكز مقاومة الدرن والأمراض السرية ثم ذهبت لمستشفى كاليفورنيا حيث قابلت الدكتور كوستيلو وصحبه وتفرجت على جهاز الكوبالت لمعالجة السرطان وخصوصاً سرطان الرئة وقد وصفت ذلك فى باب آخر .

وفى اليوم التالى ذهبت مع الدكتور بوللى (مساعدته) إلى مدينة كلفر Culver City حيث توجد استديوهات مترو جولدين ماير وكانوا فى انتظارنا وقد قضينا اليوم فى مشاهدة هذه الاستديوهات العجيبة التى تشغل خمسمائة فدان وبها ثلاثون استديو يمكن تشغيلها جميعاً فى وقت واحد وقد رأينا مناظر عجيبة فهناك شارع مدينة إيطالية وأخرى ألمانية بمنازلها ، أو على الأقل واجهاتها وأرصفاتها وأشجارها ، وتبدو حقيقية جداً ، ثم رأينا جزء السفينة الذى استعمل فى فيلم مغامرة بليموث Plymouth adventure (سبسر تراسى) وكذلك الحوض (الصغير) الذى تستعمله استرويليامز فى أفلامها والذى يجعلنا نتخيلها تسبح المسافات الطويلة تحت الماء . أما منظر نهر التيمز فالجزء الذى عامته فى فيلم (البنت التى تساوى مليون دولار) The Million Dollar Girl لا يزيد عن ١٠٠ قدم طولاً وعليه كوبرى خشبى بسيط .

وشاهدنا أيضاً خيولاً من المطاط السميك مركبة على أجهزة ميكانيكية تجعلها تظهر كأنها تقفز أو تجرى ، ويجلس على هذه « حضرات الأبطال » ، أما الجرى السريع الجرى فى الخلاء فيقوم به أشخاص آخرون .

ورأينا كثيراً من الحيل التى تستعمل فى إحداث الأصوات المختلفة

والمناظر الخلابة المختلفة ، فمثلا كان هناك جزء من غرفة تمثل كابين قبطان سفينة بأثاثها ومن وراء الشباك ظهر رسم مياه وبه صور بواخر ، فيخيل إليك أنك في باخرة حقيقية في وسط المحيط !!

ولكن ما أعجبت به أكثر من غيره كان « المخازن الضخمة، فهي عبارة عن مبنى ذى عشرة طوابق مלאى بل مكدسة بكل أنواع الملابس والمفروشات والأواني والستائر والآلات والأسلحة التي تمثل كل العصور وجميع البلدان حتى البدائية جداً وهي مجموعة ثمينة جداً لا أظن أن لها نظيراً في أى مكان آخر .

وقد كان من حسن حظي أن قابلت المستر سبنسر تراسى والآنسة جين سيمونز Jean Simmons وكنا يمثلان فيلماً عنوانه (السنوات الخوالى Years Ago) أو على الأقل كان هذا اسمه حينذاك وقد تلطفت الآنسة سيمونز فأعربت عن رغبتها في الظهور في فيلم تؤخذ مناظره وتدور حوادثه في مصر .

وفي نهاية الزيارة شاهدنا فيلم Above and Beyond يمثلته روبرت تيلور عن القاء القنبلة الذرية فوق اليابان في الحرب الأخيرة وكان قد تم إخراجها حديثاً .

وكنت أود أخذ بعض الصور التذكارية لهذه الزيارة ولكن التصوير ممنوع قطعاً داخل الاستديوهات ، ولا توجد استثناءات .

ولم يكن هناك داع لزيارة استديوهات أخرى مثل وارنر أو كولومبيا فكلها سواء . غير أنى كنت أحب زيارة استديوهات ميكي ماوس ومقابلة مستر والت ديزنى Walt Disney ومعاونيه ولكنهم كانوا في أجازة حينذاك .

وقد أصر صديق الطيب على زيارة مقبرة هوليوود في طريق عودتنا فشاهدنا المقابر الفخمة المقامة لرودف فالتينو وجون جلبرت وغيرهم من كان اسمهم على كل لسان رحمهم الله جميعاً .

بوليفار هوليوود Hollywood Boulevard

هذا هو الشارع الرئيسي في هوليوود ويأخذك إلى مساكن الكواكب . كما أن به الفيلات المشهورة في كل أنحاء العالم . وفي شهر ديسمبر من كل سنة يلبس هذا الطريق الطويل حلة بهيجة من الألوان والثريات ويسير فيه « ساتاكوز » راكباً زحافة ذات طابقين وتحيط به الكواكب الجميلات . ويلقى بطرود الهدايا لكل من على جانبي الطريق .

طبس هوليوود Hollywood Rose Bowl

هذا مسرح صيني على شكل طبق يسع نحو عشرين ألف متفرج وتقدم فيه رقصات الباليه والأوبرات والاستعراضات الموسيقية منذ عام ١٩٢٢ وبالقرب منه امفتياتر الحجاج حيث تمثل كل صيف رواية السيد المسيح عليه السلام .

مسرح جرومان Grumann's Theatre

هذا أشهر مسرح ، إذ فيه يقام العرض الأول لكل فيلم ويؤمه كواكب السينما (وأظننا شاهدنا ذلك مراراً على الشاشة) والغريب أن أرضية (بلاط) المدخل محفور عليها إمضاءات الكواكب وكذلك بصمة أرجلهم أو أيديهم . أو مسدساتهم أو أى شئ آخر يميزهم ، هذا بالإضافة إلى أن البناء نفسه على

الطراز الصينى وقد اخذت لى مع صديقى « عبد الخالق » صورة فى مدخله بين إمضاءى « لانا تيرنر » و « أوليفيادى هافيلاند » .

بيفرلى هيلز Beverley Hills

هذه هى مدينة الدور الفخمة بل القصور الشائخة حيث يسكن كواكب السينما والراديو . وأنت إذ تتطلع إليها تشعر أن هؤلاء هم حقاً الملوك والملكات فى العالم . ومن العجيب أن تجد بين هذه الدور مباني جامعة كاليفورنيا (فرع لوس انجليس) ولم أدر الحكمة فى وضعها هنا اللهم إلا إذا كانوا يريدون أن يدللوا على أن العلم والفن يسيران جنباً إلى جنب .

مزرعة ويل روجرز Will Roger's Ranch

وسرنا فى طريق بوليفار غروب الشمس Sunset Boulevard الذى خُلد اسمه فى فيلم بنفس العنوان شاهدناه فى العام الماضى بمصر ويمثل كوكباً عجوزاً تريد أن تعود للظهور من جديد فى الأفلام متحدة السن ومتحدة شباب الكواكب الأخرى وطبعاً تلاقى الفشل .

ووصلنا إلى المزرعة ويتوسطها المنزل والاسطبلات وقد ترك كل شئ كما كان يوم مات الممثل الهزلى الشهير فى حادث سيارة . وتستعمل المزرعة فى أخذ بعض مناظر لعبة البولو فى الأفلام . وقد أخذت لى صورة بملابس رعاة البقر بجوار المنزل .

ومن المزرعة قصدنا إلى شاطئ الباسيفيكي حيث يوجد كورنيش جميل يوصلك إلى نادى الهواء الجميل Bel-Air Club وهناك تجد مجموعة كبيرة من البجع الذى يقولون عنه إن منقاره يسع أكلاً أكبر مما تتسع له معدته .

سانتا مونيكا Santa Monica

هذه البقعة هي الشاطئ المفضل لهوليوود ، ففيها الفنادق الفخمة الكثيرة وأنت إذ تسير على الشاطئ بأشجاره ونخيله ترى ماء المحيط المتألق الذي يكاد يشع بالصحة والنشاط فإذا تطلعت الى أبعد وجدت شاطئاً أبهج وأنظف وأظلم وقيل لك إن هذا شاطئ خاص مقصور على الكواكب من سكان المنطقة . ومع هذا لا يكتفون به بل تراهم ينشئون حمامات سباحة خاصة داخل قصورهم . ألم أقل لك إنهم ملوك وملكات العصر الحديث .

وترى أمام الشاطئ وعلى مسافة ٢٢ ميلاً منه جزيرة كاتالينا Catalina Island الجميلة تصل اليها بمعدية سريعة ولا تنس أن تأخذ لك بدلة بحر ماركة كاتالينا .

* * *

هناك شيء يلفت نظرك في لوس انجيلوس ويجعلها تختلف عن بقية مدن أمريكا وذلك أنها تمتد وتتسع في كل الجهات الجانية بدلاً من ارتفاعها الى أعلا وقد ساعد نموها على أن تصبح شاغلة مساحة كبرى من الأرض . كما أن اعتدال مناخها وقلة الأمطار وانعدام الثلوج جعلها ملجأ يهرع اليه كل من ينشد الصحة ، ولذا نجد هنا نسبة كبيرة من متقدمي السن بين السكان .

* * *

سبوان الخيل في سانتا أنيتا Santa Anita Race Track

أشار عليّ أصدقائي بسان فرانسيسكو أن لا أنس زيارة ميدان السباق حتى ولو لم يكن في نيتي المراهنة . فقصدته مع مستر كارل توتم ومستر نوبل

(من شركة شل) ودخلنا إلى الترف كلوب . ولا يصرح بدخوله إلا للأعضاء وأخص أصدقائهم . وهم يختمون طرف ذراعك المقدم بحبر غير ظاهر إلا عند تعريضه للأشعة البنفسجية ويطلب منك في كل المداخل أن تثبت أنك «مختوم» حتى لا يندس الأغراب بين الضيوف .

وميدان السباق جميل جداً مزروع وسطه بالأزهار المتنوعة كما أن منظر الجبل في المواجهة يزيده حسناً . فضلاً عن تهذيبه بعد كل سباق . أما اعلان السباق نفسه فيتم بنفخ الأبواق من حملتها اللابسين الملابس الفخمة .
جلسنا تناول الطعام في التراس الكبير فراعنى إلا أن قرأت اسم «خالد» KHALED مطبوعاً أمام كثير من خيول السباق وبالاستفهام قيل لى إن «خالد» حصان عربى شهير وهو أب لهذه الخيول التى سوف تجرى ...
يا للصادقة العجيبة .

وكان لابد لى أن أراهن على «عائلى» ويتبعنى أصدقائى بجمالة ولكن تبين أن الأبناء كعادتهم فيهم الكثير من العقوق ! فلم يكسب أحدهم ولا سباقاً واحداً وخسرنا دولاراتنا ولذا ألزمنى صديقاى أن أقوم بدفع شراهم ذلك المساء «ليغرقوا أحزانهم وخسائرهم» وأصروا على الذهاب إلى مطعم الميناء الضائع The Lost Harbour Restaurant حتى ينسجم اسم المكان مع واقع الحال .

سان دييجو SAN DIEGO.

سوف أصدقك القول فأقرر أنى لم أكن أفكر فى زيارة هذه المدينة قبل أن أصل الى واشنطن وهناك أخبرنى الدكتور فيليبس أن بهذه المدينة مستشفى للبحرية كامل العدد والعدد ويحسن أن أزوره كما أن الكابتن هامبرجر — الذى كان ملحقاً بحرياً بسفارة أمريكا بمصر — نصحنى أن أشاهد هذه القاعدة البحرية الجوية العظيمة خصوصاً وأن عديله الكابتن فروست يقيم هناك . وعندئذ خطرت لى فكرة زيارتها وقلت لنفسى لماذا لا أضيف الى مشاهدة كل هذه المنشآت زيارة الغواصات من الداخل وربما أسعدنى الحظ ففخرت بها المياه . إن هذه فرصة وهذه تجربة قل أن تسنح لى مرة أخرى .

وقد زرت المستشفى البحرى يوم وصولى من لوس انجليس وقد وصفته لك فى فصل ذكرياتى الطيبة .

وفى صباح اليوم التالى أخذونى بسيارة الى الشاطئ حيث وجدت لنشاً بانتظارى ومعه المذكرة الآتية :

قيادة الأسطول الأول

أسطول الباسيفيكي للولايات المتحدة
سفينة القومندان

مذكرة

من : الكابتن فروست

إلى : دكتور خالد

بعد انتهاء زيارتك لقاعدة الغواصات الساعة ١١,٣٠ صباحاً أترك
السفينة « سبرسى » وخذ اللنش .

وسأقابلك على الرصيف ونذهب لتناول الغذاء مع الفيس أميرالاي
أوفست Vice-Admiral Oefst

بكل احترام

ل . ه . فروست

Capt. L. H. Frost.

وعليه فقد أوصلى اللنش إلى السفينة الحربية حيث قابلت القبطان
فيلر Capt. Feller قائد أسطول الغواصات وبعد تناول القهوة والحديث
وأخذ صورة تذكارية صحبني الدكتور جوزيف فوجل Dr. Joseph Vogel
قومندان طبي البحرية إلى الغواصات ونزلت إلى داخل أحدها فما راعني
إلا أنها مملأى بالآلات الكثيرة المختلفة فهذه للأوكسجين والتهوية وتلك
للغوص والآخرى للارتفاع الخ الخ . وقد شرحوا لي نظريتها شرحاً وافياً
وفي الواقع أن الآلات لم تترك إلا فراغاً ضئيلاً للضباط والجنود وقد
وجدتها مزودة باستعداد طبي كامل لجميع الاسعافات . ثم غصنا وكم هو شعور
عجيب أن تمخر تحت الماء وأعجب منه أن تطل من المنظار (البيريسكوب)
Periscope ويمكنك أن تحركه في مدى دائرة كاملة ثم بتحريك اللولب
تقرب الأشياء البعيدة حتى تصير تفاصيلها واضحة لك وهكذا كنا نرى جميع
السفن في الميناء واضحة وضوحاً تاماً ومستعدة لأن نصوب قنابلنا عليها ونحن
واثقون من إصابة الهدف !!

وبعد أن عدنا تفرجت على غيرها من الغواصات ومنها واحدة فوقها

مكان مغطى يسع ٤٩ جندياً وهى معدة لحمل جنود الكوماندو ونقلهم إلى أى شاطئ غير مطروق (ليقوموا بالغزو) وقد أخذت لنا صورة تذكارية مع قبطان الغواصة .

وبعد ذلك ركبت اللنش (حسب التعليمات) وقابلت الكابتن فروست وذهبنا إلى ميس الضباط حيث تعرفت إليهم ورأس المائدة الغيس أميرال Oefst وفى أثناء الطعام — الذى استغرق ساعتين — شرحت لهؤلاء الأبطال سر حركة الثورة المصرية وإصلاحاتها وكانوا فى أشد اللفتة للوقوف على كل التفاصيل . وفى النهاية طلبوا منى أن أرسل تحياتهم وأطيب تمنياتهم للجنرال نجيب وحضرات أعوانه (وقد فعلت ذلك فى نفس اليوم) .

وبعد الغذاء أخذنى الكابتن فى رحلة تفتيشية حيث تفرجت على الأنواع العديدة من طائرات القتال بين اقتضاضية ومحاربة وإسعاف وناقلة جنود وغيرها فكان يوماً عظيماً وتجربة فذة لا تنسى .

فندق الكورونادو Coronado Hotel

فى الليلة التالية دعانى الدكتور «مونرو» والدكتور «جون ستيكلويس» الجراح أن أكون خامسهم فى الذهاب إلى مرقص خيرى يقام فى هذا الفندق العجيب القديم وهو مبنى على جزيرة ونصل إليها بركوب المعديا بدون مغادرة السيارة (كما هو الحال بين بور سعيد وبور فؤاد) ، والفندق قصر نفخ جداً وكانت الحفلة ناجحة . أما السيدات فقد كان جمالهن يفوق الوصف إذ جمع بين الجمال الأمريكى والمكسيكى الساخن وبقينا فى سرور وجور حتى لاحت تباشير الصباح دون أن يبدو من أحد الرغبة فى مغادرة المكان .

طفت في صباح اليوم التالي لأشاهد بعض مناظر سان دييجو وأهمها متنزه بالبو Balboa Park وفيه أوركول هائل ومقاعد للحفلات التي تقام كل يوم أحد في الهواء الطلق. ثم شاهدت بيت زواج رامونا Ramona الذي خلدهته الكاتبة «هيلين جاكسون»، ثم حديقة حيوانات المدينة وهي وإن كانت كبيرة في المساحة إلا أن محتوياتها محدودة جداً اللهم إلا الطاووس الأبيض الموجود بكثرة هائلة في كل ركن من الحديقة. وكذلك مجموعة من السيد قشطه (فرس البحر) من كل الأعمار.

وقد حدثتك عن الميناء وهي ليست حربية فقط بل تجارية نشيطة ولا بد لي أن أصف لك منطقة «لايولا» La Jolla في شمال المدينة وهي مقر عظماء المدينة وفنانينها ومناظرها خلابة جداً ثم تجد الصخور بطول الشاطئ مع كثير من الأخاديد ويلهو الناس ويلعبون هنا وهناك. وكان من حظي أن قضيت آخر أيامي في سان دييجو في هذه البقعة وتغذينا في مطعم أتوني Anthony's Sea-Food Restaurant وهو مكان فريد والجلوس فيه مريح وممتع إذ تتناول ألد ما كولات البحار وأنت جالس في الفراشة المطلة على المحيط الهادى.

قلت لك أنى لم أكن أفكر في زيارة سان دييجو فهل تعلم أنه يؤمها سنوياً نحو نصف مليون زائر للبتعة أو للعمل وتعد هذه المدينة من أولى المدن التي أسست في الولايات المتحدة بل هي قطعاً أولى مدن هذه المنطقة كما أن إرسالها الدينية كانت أول إرسالية دخلت الولايات المتحدة وهي فوق ذلك تعد أكبر مصدر لصيد وتجهيز سمك التونة.

تيجوانا

TIJUAHANA.

قلت لنفسي ما دمت وصلت الى هذا الطرف من أمريكا فلماذا لا تزور
تيجوانا وتقول لقد زرنا المكسيك أيضا . وقد تفضل الدكتوران منرو
وستيلكويست وزوجاتهما بالذهاب معي عبر الحدود وهو أمر سهل ويسير
ودخلنا المكسيك ولم يكن غرضنا زيارة الكباريات وما إليها (خصوصا معنا
سيدات) بل زرنا الحوانيت وهي كثيرة وعجيبة ، واشترت منها بعض الحلوى
الفضية والجلدية الجميلة صنع المكسيك وهنا يمكنك أن تفتاح ، مع البائع
تماما مثلما تفعل في الغورية ، أو خان الخليلي ، بمصر وبعدها قصدنا إلى
نادي الهاي لى ، Hai-Alai (هكذا تُنطق) حيث تعشينا وتفرجنا على
اللعبة وهي لعبة البيلوت باسك ، التي جاءت إلى مصر منذ أعوام عديدة
(ولم تعش عندنا طويلا) .

ولعبة البيلوت باسك لعبة اسبانية قديمة موجودة في أنحاء كثيرة من
العالم . ويسمى ميدان اللعب « الكونشا » وطوله ١٨٠ قدما وكل من عرضه
وارتفاعه ٤٠ قدما وهو محاط بثلاث جدران : الأولى (الأمامية) تسمى
فروتيس Frontis وتقع على يمين المشاهدين والخلفية اسمها ريبوت على
يسارهم والجانبية تصل بين الاثنين .

والجدار الأيمن مبنى من الجرانيت (حجر الصوان) وسمكه ١٢ بوصة
وهو متين جداً وسبب هذه التقوية أن يصمد لضربات الكرة فلا ينكسر
إذ أن هذه الكرات صلبة كالحديد . وتسمى الكرة « بيلوتا » Pelota وهي
مصنوعة من عدة لفات من المطاط فوقها قماش وفوق ذلك لفتين من جلد الماعز .

ويسمى المضرب سستا Cesta ويختلف مقاسه لكل لاعب . والمهارة في اللعب تتوقف على التقاط الكرة وصدّها بحيث يصعب على الخصم تلقفها . ويمكن لعبها أفراداً أو أزواجاً وهناك قواعد شديدة تمنع الغش وتمنع اختلاط اللاعبين بالمشاهدين منعاً لكل شبهة . ويقامر الحاضرون أحياناً بمبالغ طائلة . ونظراً لخطورة اللعبة فإن اتحاد البيلوت باسك يؤمن على اللاعبين ويضمن لهم معاشاً دسماً عند اعتزالهم اللعب .

مصارعة الثيران

كنت أمني النفس أن تتاح لي فرصة مشاهدة مصارعة الثيران الذي يقام عصر كل يوم أحد في تيجوانا حتى تتم المتعة . ولكن في ذلك اليوم كان على أن أختار بين أن أذهب وحدي جنوباً لمشاهدة الصراع وبين أن أذهب مع الشلة ، شمالاً للغداء في لا يولا على شاطئ المحيط والسبب أنه كان معنا زوجتين رقيقتين أبتا أن تشاهدا دماء الثور (أو البطل) تسيل أنهاراً يأسيداني إذأ ما بالكن تجرحن قلوبنا ولا تأخذكن الشفقة علينا ، فرضخت لحكم الأغلبية ولم آسف أبداً على هذا الاختيار فقد قضينا عصرية ممتعة وأمسية لذيدة تناولنا فيها طعاماً صينياً لذيداً من صنع إحدى السيدتين ثم قضينا الليل في حديث وغناء ورقص جزيرة هاواي Hawai من السيدتين بالملابس الوطنية المزركشة فكان ليلاً بهيجاً وخيراً ختام لزيارة سان دييجو .

نيو أورليانز

NEW ORLEANS.

سأعطيك أيها القارئ وصفاً قصيراً ، بل قصيراً جداً ، يتناسب مع الوقت الذى أمضيته فى زيارتها وهو لا يتعدى بضع ساعات وفى الحقى إلى أكرهت إكراهاً — وإكراهاً محبباً — أن أمضى النهار من صباحه إلى عصره فى انتظار تدير مكان لى فى الطائرة المسافرة إلى ميامى . فانهزت الفرصة وقصدت إلى لوكاندة (روزفلت) Roosevelt Hotel الفخمة الجميلة حيث اغتسلت وغيرت ملابسى إذ كنت قد قضيت الليل بطوله فى الطائرة من لوس انجيلوس إلى نيو أورليانز ولم تتوقف إلا فترة قصيرة فى مدينة دالاس (بولاية تكساس) Dallas (Texas)

وفى جولة قصيرة كهذه وزمن محدود لا يجديك إلا الرحلات المنتظمة والدليل العارف الذين تقدمهما فى كل مدينة شركة أتوبيس الخط السنجاني . Gray Line Bus Company فطفنا المكان وكان أول المناظر المربع القديم، Vieux Carré وهو يمثل الحى الفرنسى القديم . وكان هو فى الماضى، كل المدينة كما كان محوطاً بسور عال إمعاناً فى تأمينها (تذكر أسوار القاهرة فى قديم الزمان) والمربع يمتد من شارع القنال إلى شارع الاسبلاناد ومن النهر (الميسيسيبي) إلى شارع الرامبارت . وهذا الشارع الأخير وهو الحد الغربى للمربع — يستمد اسمه من صفوف أشجار البلوط التى كانت تحمى المدينة .

وأنت تقضى فى التفرج على هذه البقعة من المدينة الأصلية ساعتين كاملتين إذ أنها تحوى نحواً من عشرين شارعاً داخلياً كما أنك تجد بها المنازل القديمة

بيلكوناتها وشبابيكها الغربية وكذلك تراها جميعاً مزينة بالحدائد التي تظنها منسوجة نسجاً يشبه الدنتلا . وأنت تشعر في طوافك أنك لست في أمريكا بل قد انتقلت إلى مدينة فرنسية من مدن القرن الماضي بمنازلها ومطاعمها وحاناتها كما أن الكنائس متناثرة في كل مكان ثم لا تنس أن تزور « حارة القرصان ، Pirates Alley » وكذلك السجن الذي كان معداً لمن يقبض عليه منهم وقد كان هذا القسم عامراً في عصور القرصنة . كما لا تنس زيارة معاصر القصب وأمكنة تخمير العسل وعمل الروم والمشروبات منه . وأهم ميدان في المدينة القديمة هو ميدان جاكسون Jackson Square وترى بالقرب منه مقابر فوق الأرض (Above-ground Burial Vaults) يرجع تاريخ ساكنيها إلى القرن الثامن عشر .

وبعد ذلك انتقلنا إلى شاطئ « ومصب النهر العظيم » المسيسيبي « وأرصفته Mississippi River الكثيرة وهنا ترى التجارة والنقل في حركة دائمة وبخاصة الآلاف المؤلفة من بالات القطن كما أن أطنان الموز الواردة من جنوب أمريكا تملأ حيزاً كبيراً . ثم يأخذك الدليل عائداً إلى المدينة الجديدة ماراً بك في شارع النخيل المزروع على الجانبين والمنتشرة أوراقه على أشكال المراوح ويعود بك إلى شارع القنال .

وفي يوم « الثلاثاء الزبدى » Mardi Gras يقصد المدينة ملايين من الزوار للاحتفال بهذا اليوم الديني المقدس .

ميامي

MIAMI.

عند نهاية شهر يناير سنة ١٩٥٣ كنت قد أمضيت ثلاثة شهور كاملة بالولايات المتحدة في اجتماعات علمية ومقابلات رسمية ومؤتمرات ومحاضرات وارتباطات بمواعيد محددة وما إلى ذلك ، فضلاً عن أن الشهرين الأولين كانا في منطقة محملة بالزوابع والثلوج والأمطار . ولذلك صممت على أن أعطي نفسي إجازة أسبوع أقضيه في مكان لا يعلم به أحد وأخلو فيه لنفسي مسترخياً مستريحاً ويشترط فيه طبعاً أن يكون جوه في اعتدال تام . وهل تتوفر كل هذه الشروط إلا في « ميامي » التي تسمع عنها الثناء في كل أنحاء العالم ؟

وعليه طرت من سان دييجو إلى ميامي في الطائرة الكبيرة المريحة D.C. 6 ، ولم تتوقف إلا في دالاس وفي نيو أورليانز . والرحلة طويلة جداً حتى أن القبطان والملاحين والمضيفات يتغيرون ثلاث مرات خلال الطريق . وشعرنا بشيء من التعب ولكن الرغبة في بلوغ ميامي أنستنا ما نلقيه من وصب . وأخيراً وصلنا قبيل منتصف الليل وقصدت إلى فندق ايفرجليدس Everglades Hotel على شارع ومنتزه خليج « بسكين » Biscayne Bay ولم أشعر بالحاجة للراحة أو النوم بل خرجت لأشاهد المدينة — أو على الأقل — الجزء القريب من الفندق فوجدتها مدينة لا تنام . وإن واثاك الحظ أن تزورها يوماً ما لوافقتني على أنها مدينة السحر والجمال وأنها تعد بحق ملهى وملعب العالم Playground of the World أجمع وأن أمنية الأمانى أن تزورها وليتك تعيش فيها دائماً — إن كانت مالتيك تسمح لك بذلك !! . وقد أنشئت المدينة عام ١٨٩٦ وسكانها الدائمون يبلغون الآن ثلاثمائة

ألف نسمة في مساحة لا تزيد عن ٤٦ ميلاً مربعاً. أما مناخها فاعتدل جداً دافئ شتاء بارد صيفاً ، فلا تزيد الحرارة عن ٨١°ف ولا تنخفض تحت ٦٨°ف على مدار العام ولذا فقد صدق مؤسسها المستر هنرى فلاجلر Henry Flagler عندما وصفها بأنها (مدينة الشباب المستديم) City of Eternal Youth .

وقد نمت المدينة نمواً سريعاً وبها الآن خمسة وسبعون ألف مبنى تبلغ قيمتها ٢٥٠ مليون دولار ، كما أن بها صناعات كثيرة ولكن ربما كانت أروع صناعاتها هى السياحة إذ يزورها سنوياً أكثر من مليونى سائح .

ووجودها على خليج المكسيك Gulf of Mexico ساعد على اعتدال مناخها كما أنه يعدها بأنواع مختلفة من الأسماك وبذلك أصبحت مقصداً لصيد السمك للهواة وللتجارة على السواء كما أن بها ملاعب للتنس والجولف فوق مغانيها ومباهجها الأخرى . إنها مدينة جمعت كل شيء . فإذا كنت راغباً فى ركوب القوارب أو سباقها أو فى الرحلات الهادئة أو فى سباق الخيل أو الكلاب أو صيد السمك أو التنزه فى عرض المحيط أو اليولوت باسك أو فى الكباريهات وعلب الليل الفاخرة أو فى المطاعم والمأكّل العديدة فأنت واجد ما تريده وواجهه بكثرة . أما إذا كنت ترغب أن تسكن المدينة فهناك المدارس بمختلف أنواعها وأماكن العبادة لتثقيف العقل وتهذيب النفس . وسواء كنت من أهل المدينة أو من زائريها فهناك الحوانيت المكدسة بكل أنواع البضائع والهدايا التى تفوق الوصف لا من أمريكا فقط بل من الجنوب ومن الأقطار الأخرى — بضائع لن تجد لها شبيهاً فى أى مكان آخر ...

ثم هناك شاطئ ميامى Miami Beach وهو مقصد الناس على مدار السنة ، تسبح فى مياهه صيفاً أو شتاء . وستدهش عند ما أخبرك أنه حتى

سنة ١٩١٥ لم يكن إلا مجموعة مستنقعات مهمة (فهو بهذا شاطئ من صنع الإنسان لا من صنع الطبيعة) . أما الآن فيه ٣٣ فندقاً وألف شقة للإيجار وآلاف المنازل للسكن وللأعمال حيث يتبادل الإقامة فيها تسعون ألفاً على مدار العام .

وستعجب لنظافة الشاطئ وجماله وسيد ذلك جمال العشرين جزيرة (الصناعية) المقامة على شواطئ ميامي .

والآن دعني أصف لك بعض معالم ميامي نفسها :

١ - بوليفار بيسطين Biscayne Boulevard

هذا من أجمل الأماكن والمتنزهات . يكتظ نهراً وليلاً بالمتنزهين ويحده من جهة شاطئ البحر ومن الجهة الأخرى صف طويل من فنادق ميامي الفخمة مثل « ماك ألستر » و « كولونيال » و « ايفر جلادس » و « الكازار » و « بيسكاين تيراس » الخ . . . وبه تمثال للرئيس روزفلت ومسرح مكشوف لعزف الموسيقى الكلاسيكية .

٢ - مرسى اليخوت Yacht Club Wharf

وأظن أن هذا المكان يؤمه يومياً من الزوار عدد أكثر من أى مكان آخر وتجده فيه كل أنواع اليخوت والقوارب كبيرها وصغيرها فنها ما تخرج به في رحلة بعيدة في المحيط ومنها ما تأخذه لصيد أسماك الأعماق Deep-sea fishing حيث يمكن أن تصيد أياً من الستائة نوع من السمك التي يحتويها الماء في هذه المنطقة . ثم هناك البواخر المعدة للرحلات والطواف بمختلف المناظر وأسف لك اثنتين منها :

الأولى كانت باخرة اسمها « رحلة الغابة » Jungle Cruise مررنا بها (وشاهدنا) متنزه البسكين وشاطئه ثم منظر مدينة ميامي العام (Miami Sky-line) وقلعة دالاس والكبارى الكثيرة التى ترفع (أو تفتح) للبواخر طول النهار ثم اسكالات صيد الأسماك وقواعد القوات البحرية ثم نادى اليخوت الخاصة ووصلنا إلى قرية الهنود الحمر السيمينول Seminole Red Indians ومزرعة التماسيح وهى (نوع خاص يسمى Alligators) كما شاهدنا مصارعة الإنسان لهذه التماسيح ولكنى سأصف لك هذا فيما بعد كما شاهدنا مدينة النسايس وكذلك مزرعة أشجار المنطقة الحارة .

والرحلة الثانية : ركبت السفينة (ذات القاع الزجاجى) Glass-bottom Boat وهى تجربة عجيبة حقاً . وكان الجو صافياً والشمس ساطعة فى ذلك اليوم . وخرجت بنا السفينة إلى عرض المحيط واختار قائدها منطقة غير عميقة فأوقف السفينة فوقها . ومن القاع الزجاجى كنا نرى التركيبات المرجانية لقاع المحيط والأسماك التى تعيش فيه ثم نزل الغواص بلباسه الخاص وأمسك لنا ببعض الأسماك كما استحضر كثيراً من الأصداف والمحار الغريب الشكل ليشتري كل منا ما يروق له ويحتفظ به تذكراً لهذه الرحلة العجيبة وقد اشتريت محاراً كبيراً غريب الشكل مخطط باللونين الأبيض والأسود أعتز به اعتزازاً كبيراً . .

قبيلة السيمينول The Seminole Tribe

والآن سأحدثك عن هؤلاء الهنود فقد زرنا قريتهم ومنازلهم وقضينا وقتاً طويلاً معهم . وهم قوم هادئون يعيشون فى عزلة وفى سلام ومع ذلك

سيد هشك أن تعلم أنهم القبيلة الوحيدة التي لم «تعقد الصلح» مع حكومة الولايات المتحدة حتى الآن ؟

«وسيمينول» معناها رُحَّل أو هاربون . وسموا كذلك لأنهم في سنة ١٧٥٠ انفصلوا عن زملائهم في ولاية جورجيا واستمروا في الرحيل جنوباً حتى وصلوا إلى فلوريدا وكانت حينذاك تحت الحكم الإسباني وكان يقودهم زعيمهم «سى - كوفى» Sea-Coffee أى «بن» (أو قهوة) البحر . وتصادف أن بعض العبيد السود كانوا أيضاً يهربون إلى مجاهل فلوريدا من ظلم أسيادهم فتصادق هؤلاء مع أولئك واختلطوا وتزاوجوا ولذلك فإن أبناء القبيلة الآن هم خليط من الحمر والسود والبيض .

ويزخر تاريخهم بالوقائع الكثيرة ولكن ربما كان أشدها إثارة تاريخ زعيمهم «أوشيولا» Osceola ومعناه الشمس المشرقة وهو من أب إنجليزي وأمه ابنة زعيم القبيلة وتزوج هو ابنة أحد الزعماء .

وقد نشأت عداوته للرجل الأبيض عند ما أسرت زوجته وخطفوها مقيدة بالأغلال فتملكته الأحزان على زوجته الحبيبة وجاؤل عدة مرات أن يخلصها ولكنه أسر هو نفسه في إحدى هذه المحاولات وكان أسره الجنرال تومبسن General Thompson فشعر بالمهانة . ولما أطلقوا سراحه قتل الجنرال وكذا مساعده الملازم سميث . ومنذ تلك الساعة استمرت الحرب بينه وبين الرجل الأبيض وانقاد له ذووه وعشيرته وقلدوه الزعامة نظراً لما لمسوه فيه من شجاعة ومن حيلة فخارب خمس سنوات طوالاً كان يغير على جيوش الولايات المتحدة ويسدد ضرباته إليها ثم يهرب برجاله في الغابات والمستنقعات حيث يستحيل على البيض الدخول فأحبه رجاله وأعجب

به أعداؤه - وعرض عليه البيض معاهدة للصلح عدة مرات وكان يرفض العرض كل مرة قائلاً « إن الرجل الأبيض لا يمكن الثقة به ، ولكن إلحاح أهله وأتباعه المستمر جعله يرضى فى النهاية . فرفع علماً أبيض وسار هو والقط البرى Wild Cat وغيره من الزعماء قاصدين مقابلة الجنرال فرناندز عام ١٨٣٧ فى سانت أوجستين . ولكن « حضرات قادة الجيش » تجاهلوا العلم الأبيض وقبضوا عليهم وسجنوهم فى « قلعة ماريون » Marion Fort وقد هرب اثنان من الزعماء . أما أوشيولا فرفض الهروب قائلاً (إنى لم أفعل ما يشين . إن من أسرونى هم الذين يجب أن يشعروا بالخزى والعار) ومات بعد ذلك بقليل ولما يتجاوز عمره ٣٤ ربيعاً .

ورغمًا من عدم وجود معاهدة صلح فقد فتحت حكومة الولايات المتحدة المدارس الخاصة بهم لتعليم أولادهم ولكنهم ما زالوا يعيشون اليوم على الفطرة كما كانوا يعيشون منذ قرن من الزمان على الصيد والقنص . كما إنهم يصنعون الكثير من التذكارات الجلدية والأقشعة المزخرفة والملابس التى يشتريها السائحون من حانوت كبير ملحق بالقرية .

الليجاتور « تمساح الجنوب » The Alligators

يوجد فى المغاور وبجارى المياه والبحيرات الحلوة فى هذه المنطقة . وفى مزرعة التماسيح ترى منه كل الأعمار وكل المقاسات بعضها لا يتجاوز بوصتين والبعض طوله ١٢ قدماً ويزن حتى ٤٠٠ رطلاً . بعضها عمره أيام أو أسابيع والبعض عمره ٢٢٥ عاماً . ونمو هذا التمساح ببطء جداً لا يتجاوز بوصتين فى العام ١١

والهنود يقدرّون عمر الحيوان بقياس المسافة بين عينيه أما العلماء فيقدرون عمره بقياس عظمة الفك .

وتخرج الحيوانات من فقس البيض في شهرى يونيه ويوليه وتكون في مجموعات من ٢٠ — ٤٠ حيواناً ومن بدء حياتها تكون ذات شراة فظيعة في الأكل فإن لم تجد ما تأكله من الأسماك أكلت أجزاء من بعضها البعض بل إن الكبير كثيراً ما يلتهم صغاره إذا جاع . وقد أصدرت الحكومة قانوناً يمنع بيعها أو نقلها أو حيازتها إلا بترخيص خاص حتى لا تنقرض . وكما سبق أن قلت لك أن من المناظر الطريفة للسياح مشاهدة مصارعة أحد شباب الهنود لتمساح كبير والتغلب عليه .

وهذه الحيوانات تختلف عن التمساح الأصلي ، فبوز التمساح أكثر بروزاً كما أن أسنانه أكبر وفكه الأعلى هو الذى يتحرك بينما الأليجاتور يحرك الفك الأسفل . هذا عدا أن التمساح أكثر وحشية .

ويستعمل جلد الأليجاتور في عمل الأحذية والأحزمة ومختلف الشنط للسيدات وهم أحياناً يستعملون الأليجاتور بجسمه ورأسه ورجليه ويديه في صنع غطاء الشنطة فتكون السيدة كأنها حاملة للحيوان طوال الوقت !!

الفرنجو Flamingo

هذا الطير من زينات مياى والنوع الوردى هو الموجود في الحدائق والمتنزهات وميادين السباق وهو من أجمل طيور المنطقة الحارة ويعيش على أكل الصدفيات والأسماك الصغيرة ويبني عشه على شاطئ المياه الضحلة وأكثر ما يوجد في جزر البهاماس Bahamas بالقرب من جزيرة كوبا .

ولا داعي لأن أعدد لك ما شاهدته من الطيور والأشجار والمزروعات فهي عديدة جميلة متنوعة تسمع تغريدها في كل مكان وترى الأشجار على هيئة تخيل وأوراقه كالمروحة أو موز ضئيل الحجم؛ طول الأصبع أو أزهار على شكل السجق Sausage tree الخ فعليك يا صديقي أن تراها بنفسك وتتمتع بها.

مساحة المحاضرات The Auditorium

هذا مبنى بالقرب من شاطئ المدينة وكان — وقت زيارتي — مشغولاً بمعرض أقامه متحف هنري فورد — لبيان مدى تقدم الصناعة في شتى فروعها ابتداءً من السيارات إلى ماكينات الخياطة إلى ملابس الرجال والنساء وطرق الإنارة وأواني الطبخ والأقفال والتصوير والراديو والتلغراف وأدوات ضبط الوقت الخ.. وفي كل هذه الفروع يريك ما كانت عليه ثم كيف تطورت حتى وصلت إلى درجة الاكتمال الحالي. وفي كل الأقسام ترى عينات الصناعة في كل عصر من عصور تطورها.

شاطئ ميامي Miami Beach

يمكنك أن تسمى هذه البقعة بمجموعة كل ما هو الأفضل والأعلى والأنقى والدرجة القصوى. كل شيء هنا يحاول أن يصل إلى القمة في العظمة، كل عطاء الصناعة والحياة الاجتماعية والأدبية والفنية، كل كواكب المسرح والسينما يجتمعون هنا في الشتاء فترى هذه البقعة وقد أصبحت تحتوى على ثروة من المال والفن لا تعد لها ثروة أى مكان آخر. في هذه الخمسة أميال من شاطئ البحر تظن نفسك ليلاً ونهاراً أنك في حلم لذيق وتصور أن شارعاً واحداً يواجه البحر Ocean Front يحتوى على ١٧٩ فندقاً عدا الشقق السكنية العديدة.

وهى الملجأ الذى يهرع إليه كل هارب من شدائد الطبيعة وأعاصيرها وثلوجها وهى تلقاك مرحة وتقدم لك أحدث وسائل الراحة والاستمتاع والاسترخاء من مآكل ومشارب ومنام فضلاً عن المناظر الزراعية والنباتية والطبيعة البهيجة وميادين السباق البديعة .

ولاتظن أنها جزء من مدينة ميامى . كلا ، إنها مستقلة بإدارتها وبلديتها . وحتى أريك كم هى مستعدة لتلقى زوارها أذكر لك أن بها ٥٥٠٠ مسكناً مفروشاً و ٣٧٠ فندقاً بها ٢٧٠٠٠ غرفة وكذا ١٦٠٠ شقة للتأجير وفى سنة ١٩٥١ لم تزد الحرارة صيفاً عن ٨٥° ف ولم تنخفض شتاءً عن ٧٧° ف كما أن الشمس لم تختف من الأفق إلا أربعة أيام فقط (وهذا مهم جداً فى أمريكا يا صديق) .

ثم أضف إلى هذا أن « شاطئ ميامى » مدينة عجيبة حقاً . ليس بها مطار ولا سكة حديدية ولا مقبرة ولا مصانع كما إنه محرم على الزوج الإقامة بها .

وهناك ثلاث ميادين للعب الجولف وأربعة عشر منتزهاً واثنى عشر مسرحاً ومستشفين على أحدث طراز وثلاث بنوك وخمسة عشر كنيسة وأربع مدارس عامة واثنى عشرة مدرسة خاصة !!

أما الاستمتاع فحدث عنه ولا حرج فهنا كل الألعاب الرياضية وغير الرياضية نهاراً فى الاستحمام والتنس والجولف وسباق الخيل وصيد الأسماك . وليلا فى التياترات والكباريهات وسباق الكلاب وكل ما يمكنك أن تتخيله وتتنبأ به من استمتاع برىء أو « غير برىء » .

ولكن لا بد لى أن أذكر لك كلمة عن الاستحمام والسباحة فى البحر فهو منعش مجدد للنشاط وهو لذيذ فى آخر يناير وأول فبراير (تصور هذا) !!

والشاطيء معتنى به أشد العناية وتزال الأعشاب التي يطردها البحر أولاً بأول . وحتى إذا لم يكن معك ملابس الاستحمام (في يومك الأول مثلاً) فهناك محل « كوك » في الشارع الخامس يؤجر لك الملابس والمنشفة وغرفة لخلع ملابسك مقابل دولار ونصف . ولكني أؤكد لك أن مشاهدتك بدل البحر والمناشف المرسوم عليها خريطة فلوريدا والتلافيح الحريرية الجميلة والقمصان الملونة البهيجة لابد أن تغريك بشراء ما يلزمك منها (وما لا يلزمك) وكذلك شراء هدايا لعائلتك إذ أنك تجد آخر مبتكرات الشواطئ معروضة هنا قبل ظهورها في أى مكان آخر بمدة طويلة .

إذن فلنذهب إلى الشاطئ، ونغطف في مياه المحيط وتتحدى الشتاء وإنك لو اجد أن الماء طازج منعش كما أن نظرك سيقع على مجموعة جميلة من مختلف الألوان . ولكن لا تظن يا صديقي أنك ستجد كل من على الشاطئ في قوام عروس البحر — كلا . أخشى أن أقول إن العكس هو الأصح — وهل أنت من السذاجة أن تعتقد أن ملوك وملكات المال لا بد أن يكونوا على قدر كبير من الرشاقة أو الجمال ؟ إن الله في حكمته يوزع النعم والمواهب بتسطاس .

وهناك أمر آخر لا بد لي من ذكره ألا كون صادقاً في إبراز صورة صحيحة . ذلك هو أن الطقس ليس « بديعاً دائماً » . إذ أن من بين السبعة أيام التي قضيتها هنا كان يومان منها عاصفين مطيرين لا يمكن السباحة فيهما . وأذكر أني كنت شاهدت فيلماً في سان فرانسيسكو عن أحد أهالي كاليفورنيا الذي ذهب إلى ميامي ليستمتع بجودا في لذيذ ولكنه وجد الجو ممطراً عاصفاً فعاد بالخبية وزادت خيبته أنه أفلس تماماً . وكنت أظن الفيلم دعاية من كاليفورنيا ضد فلوريدا ولكني الآن أظن أن به شيئاً من الحقيقة (الخلو مايكلش) .

ثم حصل يوم ٣١ يناير خسوف كلي للقمر استمر ساعة كاملة وترتب عليه إلغاء رحلة ليلية قربية في البحر . كما أن الطرقات كانت مظلمة فلم يستطع المحبون أن يستمتعوا بضوء القمر .

ولكن صدقني — رغماً عن كل ذلك — أنك عندما تسير على شاطئ المحيط Ocean Front وترى كل هذه الدوحات تحمل ثمرات الكوكا المكورة وقد تحملت وارتبطت بحبال الثريات الكهربائية مختلفة الألوان تشعر أنك في أرض الخيال وأن ما تراه حلم وليس حقيقة .

* * *

The Coral Reef Gables
and Sunset Islands.

الرفوف المرجانية وجزائر غروب الشمس

هذه كلها جزائر صناعية تتصل بشاطئ ميامي بواسطة العديد من الكبارى البيضاء التي تراها مفتوحة مقفولة باستمرار لتسمح لبواخر النزهة بالمرور تحتها .

وفي هذه الجزائر تشاهد أنخم الفيلات والقصور التي يسكنها العظماء والأغنياء الذين اختاروا هذه المنطقة لإقامتهم الدائمة أو المؤقتة وترى معظم المباني على الطراز الايطالي أو الأسباني أو الفرنسي أو المغربي أما حدائقها وأزهارها فحدث عن إبداعها ولا حرج .

* * *

التبضع

إنك تجد في ميامي وفي شاطئ ميامي أحسن البضائع وأجملها في كل

الولايات المتحدة وكذلك بضائع جنوب أمريكا وخاصة الأرجنتين وجواتيمالا وكوبا منسقة تنسيقاً بديعاً تدعوك لحيازتها لك ولأحبائك ومهما قدرت لها من ميزانيتك فلا بد أنك سوف تتجاوز هذا القدر متى بدأت في الشراء .

كم من الزمن سوف تبقى في ميامي وشاطئ ميامي ؟

إنك يا صديق سوف ترسم رحلتك إلى هذه البقعة الجميلة شاعراً أن لبدنك عليك حق إراحته من البرد والعواصف وتكون قد ملأت حافظتك بالدولارات ولكنى — عن خبرة — أقدم لك ثلاث نصائح :

أولاً — حدد يوم ذهابك ولكن لا تحدد يوم رجوعك — وأغلب الظن أنه سيكون مبكراً عن اليوم الذى تظنه وهو على كل حال سوف يتوقف على سرعة ذوبان مدخرك من الدولار .

ثانياً — اقطع تذكرة عودتك بالقطار أو الطائرة مقدماً حتى تضمن أنك سوف يمكنك العودة لبلدك .

ثالثاً — اشتر ما تريد شراءه لنفسك أو لأحبائك فى اليومين الأولين وإلا فلن يبق معك شيء لهذا الغرض عند نهاية إقامتك .

وسوف يكلفك الفندق ما بين ١٢ و ٤٠ دولاراً فى اليوم للنوم فقط أما فى شاطئ ميامي فالأجرة تزيد عشرة أو عشرين دولاراً عن ذلك . أما إذا أردت أن تحجز جناحاً فسيرتفع الأجر إلى رقم خيالى . وقد صدق البحار عند ما قال لى (لا أدري كيف يمكن أن يأتى النوم للإنسان وهو يعلم أن هذا النوم سوف يكلفه مائة دولار كل ليلة ١١٤)

ثم هناك المسارح القانونية ، وغير القانونية ، وسباق الخيل وسباق

الكلاب والملاهي والمطاعم والمباهج وسوف تجد أن جميع من حولك يشعرون أنك حضرت لبلدهم ومعك دولارات كثيرة بقصد صرفها والجميع يرحبون بمساعدتك على التخلص منها ١١

ألم أقل لك إنك ستجد نفسك مضطراً لإعادة النظر في ميزانيتك مدة إقامتك التي قد تقصر إلى نصف أو ثلث المدة السابق تقريرها ؟ ولهذا ترى الناس أحياناً لا يذهبون لفراشهم أبداً . فالحركة هنا دائبة ٢٤ ساعة كل يوم . والكل لا يأسف على ذوبان النقود فالمتعة عظيمة والاستمتاع لا حد له . وبعد ما هي قيمة النقود ؟

من هذا ترى أنك لن تقضى هنا إلا أياماً معدودات (اللهم إلا إن كنت ثرياً) ولكن لا بد أن تقنع أصدقاءك أنك كنت في ميامي حقيقة . الطريقة الوحيدة أن تشتري زجاجة من زيت خاص وتدهن بها وجهك وجسمك وتعرضه لأشعة الشمس حتى تلوحه . وترى في سماء الشاطئ طيارات كثيرة على ارتفاع منخفض تعلن لك عن مزايا كل ماركة من هذه الزيوت . ولكن احذر شدة التعرض للشمس بزيتك هذا وإلا أصبت بحروق خصوصاً في الوجه والأنف واضطرت لقضاء أيامك في معالجة هذه الحروق . وبطبيعة الحال لم أكن أنا شخصياً في حاجة لمثل هذه الدهانات فالبشرة ملوحة بطبيعتها والحمد لله .

يا الله كم هي رحلة ممتعة وأيام سعيدة . .

أطلانتا (ولاية جورجيا)

ATLANTA (Georgia)

وصلت هذه المدينة في اليوم الرابع من شهر فبراير سنة ١٩٥٣ صاعداً لها من مدينة ميامي وكان غرضي الأول منها زيارة الليان وكذا معهد الأمراض المعدية (Communicable Diseases Center) . وقد وصفت لك كل هذا في مكان آخر من الكتاب فلم يبق إلا أن أكتب لك هنا عما لفت نظري عداهما في المدينة نفسها :

وكان أخشى ما أخشاه أن « أعاقب » بعد متعة ميامي بزيارة مدينة مقبضة ولكن الحمد لله تبين أن أطلانتا مدينة لها جمالها وتستأهل بحق أن تسمى « بوابة الجنوب » (Gateway of the South) كما كنت محظوظاً بحجز مكان في فندق بلتيمور Biltmore فهو نفخ يقارن بأحسن الفنادق ، مقام على مساحة أربعة أفدنة ونصف فدان ومخاط بالفراندات والحدائق . أما صالوناته وتخصصاً الصالون الإمبراطوري Empire Hall ، وأما غرف الطعام حيث تقام الاستعراضات الراقصة ساعة العشاء وكان ليلة حضوري استعراض على الثلوج Icecapade ، أما الغرفة الجيورجية Georgian Hall فأفخمها جميعاً وقد عرض فيها في اليوم التالي استعراضات المودات الجديدة Fashion Parade فاجتمع فيها أجمل المانيكان مع أجمل سيدات أطلانتا فكان استعراضاً للجمال والملابس من الطرفين .

قلت لك إن أطلانتا عاصمة ولاية جورجيا تسمى بوابة الجنوب فهل تعجب إذ تعلم أنها ذات مواصلات ضخمة مع كل البلاد بواسطة شبكة من

طرق السيارات وخمسة عشر خطاً حديدياً، وثمانية خطوط جوية تجعلك تصلها مباشرة من أى جهة أخرى من لجهات المملكة .

وهي تقع في حوض جبل البلو ريدج Blue Ridge Mountain وعلى ارتفاع ١٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وبذا تصبح أعلا مدينة من حجمها في أمريكا (ما عدا مدينة دنفر) ، وترتب على ذلك أنها أصبحت مصيفاً لطيفاً .

وقد أسست سنة ١٨٣٧ ولكن لم تسم « أطلانتا » إلا في عام ١٨٤٥ وكانت نقطة استراتيجية هامة في حرب الولايات بين الشمال والجنوب ومركز تجمع جيوش وذخائر الولايات الجنوبية المتحالفة مما جعلها أهم أهداف الجنرال شيرمان عام ١٨٦١ وبعد أن حاصرها عدة أسابيع استولى عليها في سبتمبر سنة ١٨٦٤ وأصدر أمره لجميع سكانها بمغادرتها في خلال خمسة أيام ثم اتخذها مركزاً لمعسكره . وفي نوفمبر من السنة نفسها غادرها ثم دمرها تدميراً .

وما انتهت هذه الحروب والمعارك حتى أخذت أطلانتا تتقدم بخطوات سريعة وجريئة في الإنشاء والتعمير وساعدها على ذلك معرض القطن الذي أقيم عام ١٨٨١ والمعرض الدولي العام الذي أقيم بعد ذلك بأربعة أعوام .

وترى فيها الثقافة منتشرة في كل ركن فهناك سبعة كليات جامعية للبيض وعشرون مدرسة كما أن بها سبعة كليات للزواج وهي في هذا الباب في مقدمة مراكز تعليم الزواج .

وهناك مشاهد كثيرة في أطلانتا جديرة بالزيارة وبزبما كان أشهرها

الجليل الحجرى The Stone Mountain الذى يبعد عن المدينة بحوالى ١٦ ميلاً وربما كان هذا أكبر قطعة واحدة من الجرانيت يحيطه سبعة أميال وارتفاعه ٨٠٠ قدماً . وقد لعب دوراً هاماً فى حملة الأسبان بقيادة دى سوتو De Soto عام ١٥٤٠ فكان هو مركز المراقبة للهنود الحمر وساعدتهم فى محاربة الأسبان والتجسس عليهم ، ويمكن بلوغ القمة لأن ارتفاعه يتدرج إلا أنى لم أتمكن من ذلك نظراً لطول أمطار غزيرة يوم الزيارة فاكثفينا بشراء قطعة من حجر الجبل كتذكار .

ثم هناك منزل العم « ريموس Uncle Remus » ، أو المستر جريل شاندلر هاريس مؤلف قصص الأطفال الممتعة على طريقه هانس كريستيان اندرسن Hans Christian Anderson .

ثم هناك مواقع المعارك الكثيرة فى حرب الشمال مع الجنوب وربما كان أحسن منظر لها السيكلوراما Cyclorama وهو مبنى عظيم فى المنتزه الكبير Grand Park وتمثل تمثيلاً بارزاً موقعة أطلانتا وتبلغ الصورة ٥٠ قدماً ارتفاعاً بدائرة يحيطها ٤٠٠ قدم ووزن المواد التى فيها ١٨ ألف رطل وهى إخراج بديع للمعركة فترى تماثيل الجنود والضباط وأسلحتهم وسكك الحديد والمدافع والموتى والجرحى كل ذلك كأنها حقيقية ثم تتدرج الصورة صاعدة الحائط فتصبح رسماً زيتياً مبنياً باقى أدوار الموقعة ، وتشاهد كل ذلك من مدرج دائرى فى الطابق العلوى .

وهذا الدور العلوى يحتوى على المدافع والبنادق التى كسبها الشمال وكذا المنشورات وأوامر القواد بالقبض على أعدائهم (أحياء أو أمواتاً) ومصادرة ممتلكات الثوار الخ . .

وقد سجلت موقعة أطلانتا تسجيلاً رائعاً بواسطة الكاتبة مارغريت ميتشل
Margaret Mitchel في روايتها "ذهب مع الريح" Gone with the Wind
التي أخرجت كاملة في فيلم طويل ذاع في كل أقطار العالم ولم نر له مثيلاً قط .
ولأقل لك كلبة صغيرة عن هذه الحرب بين الشمال والجنوب ولو أنى
أقر من المبدأ أنى لم أدرس تاريخها دراسة علمية بل أقصر على ما علمته في
المنطقة نفسها .

وأظننى ذكرت لك أنه في اليوم التالى لوصولى إلى نيويورك زارتنى
آنسة مندوبة عن معهد دراسة الشؤون الدولية وألحت أن أخبرها برأى فى
مشكلة الزوج وقد أبيت أن أتكلم عن شىء لم أدرسه واكتفيت بأن قلت لها
إن دينى (الاسلام) يقول "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" . وأن الجميع
سواسية .

وتتلخص مشكلة الزوج — وعدددهم فى الولايات المتحدة يبلغ الآن
١٢ مليوناً — أنهم أتى بهم من أفريقيا الغربية ويعبوا فى الأسواق كعبيد
أرقاء اشتراهم الجنوبيون ليشغلوا دون أجر فى المزارع والمنازل وبنوا ميزانية
اقتصادياتهم على هذا الأساس .

فلما نادى الرئيس لنكولن بإلغاء الرقيق رفض الجنوبيون إطاعة
القانون الجديد فعدتهم الحكومة المركزية ثواراً وأرسلت التجريدة عقب
التجريدة لإخضاعهم وتحرير الزوج . وبذا وقعت المعارك فى نوكسفيل
وشتانوجا وغيرها وكانت موقعة أطلانتا هى الحاسمة والختامية .

وقد أغتيل لنكولن بعد أسبوع من الانتصار فى موقعة أطلانتا وكان

قاتله شمالياً يعطف على الجنوبيين وبعد اغتياله تبين للجنوبيين أن لنكولن كان في الحقيقة هو الصديق المخلص الصدوق لهم أكثر من كل من عداه .

وكان من آثار هذه الحروب أن أعتبر الجنوب كأنه شبه مستعمرة كسبها الشمال في ميدان القتال فأهمل إهمالاً حتى انتهت الحرب العالمية الأولى وبعدها اهتمت به الحكومة المركزية خصوصاً بعد إنشاء مشروع وادي التنيسي . وإنك لتدهش للخطوات الواسعة التي يخطوها في سبيل التقدم الزراعي والصناعي حتى أصبح المنافس الخطير للشمال .

ولم يعد هناك رقيق فالكل أحرار ولكن لا يزال هناك بعض القيود على الزوج في بعض الولايات خصوصاً الجنوبية ولكن المسألة آخذة في الزوال التدريجي مع الزمن . وقد لاحظت في الجهات التي تستخدم زواجاً أن بعض هؤلاء يتعمدون التعالي — بدون مناسبة — إلى حد إساءة الأدب لرؤسائهم — أو يتعمدون الشذوذ في الحديث أو في الكلام إلى حد البذاء وأظن أن هذا رد فعل أو قل إنه مركب النقص .



احتفال زهرة الودج The Dog-wood

الودج وود شجرة صغيرة رفيعة تزهر في أواخر مارس وأوائل شهر أبريل وفي كل عام يقام احتفال كبير لها في أطلانتا عند ما تبلغ قمة الأزهار . وهناك قصة أو خرافة لهذا الاحتفال تقول إنه وقت أن تقرر صلب السيد المسيح عليه السلام كانت هذه الشجرة كبيرة وفي حجم أشجار البلوط وغيرها من أشجار الغابة بل كانت تمتاز بصلابة أخشابها حتى إنها اختيرت لعمل الصليب منها .

وقد أحزن الشجرة حزناً شديداً أن يستعملوها لهذا الغرض القاسى
وأحس السيد المسيح — وهو المشهود له بالرقّة والعطف — وهو مصلوب
عليها بذلك فقال : بالنسبة لهذا الأسى وتلك الشفقة التى ظهرت منك فانك
فى مستقبل الأيام لن تكبرى ليتخذ منك صليب ، ومن يومها وهى تنمو
صغيرة رفيعة معوجة . أما أوراق أزهارها فتنبت على شكل صليب اثنتان
طويلتان واثنتان قصيرتان وفى الدائر الخارجى لكل ورقة زهرة (Dog-wood)
وفى منتصفها توجد نقطة حمراء كأنما هى موضع المسبار وصدته ملوثاً بالدم
كما أن فى وسط الزهرة نفسها تاج من الشوك ! حتى يتذكر المأساة كل
من يراها .

وكما قلت لك كنت فى فبراير فلم أر الزهرة نفسها وإنما رأيت صورتها .

وادی التنیسی

أو الوادی السعید

THE TENNESSEE VALLEY

هل فی إمكان أى زائر للولايات المتحدة أن لا یضمن برنامج رحلته زیارة هذا الوادی العظیم ؟ أؤكد لك إنه مهما كانت حرفتک أو هوایتک ومهما کان مطلبک من رحلتک سواء كنت طیباً أو مزارعاً أو صانعاً أو مهندساً أو إخصائياً اجتماعياً أو کیمائياً أو عالماً طبعياً أو حتى باحثاً عن متعة واستمتاع بالطبیعة فسوف تجد ما تطلب وفوق ما تطلب فی هذا الوادی السعید .

وصلت نوکسفیل مرکز لإدارة مشروعات وادی التنیسی Tennessee Valley Authorities (T.V.A.) یوم السبت ٧ فبرایر وقضیت خمسة أيام متنقلاً بین أطرافه هنا وفی شتانوجا وإنی أزمع أن أخبرک بطرف صغیر بما شاهدت وأعجبت به .

السبب الأساسی لفكرة مشروع وادی التنیسی کان ما لوحظ من أن فیضان النهر یغرق الأرض والزراع ویسبب عن ذلك خسارة سنویة قدرت بنحو مائة ملیون دولار فأوحى ذلك بوجوب عمل سدود أو خزانات تحجز هذه الكمیات الهائلة من المیاء فتحفظ علی الأرض خصوبتها ولا تضر زراعتها ثم تدرج البحث إلى إمكان الاستفادة من هذه الخزانات وما تحجزه من میاء فی « إنتاج » قوی كهربائیة من مساقط المیاء وبذا تصبح فائدتها مزدوجة والیوم تباع هذه الکهرباء لكل المناطق الريفیة ولعمری إنها لقوی هائلة تبلغ ١٨ بلیون کیلوات ساعة سنوياً وبذلك أصبح ٨٠٪ من المزارع

«تشتغل» بالكهرباء ولم تكن هذه النسبة إلا $\frac{3}{4}$ سنة ١٩٣٣ (قبل تنفيذ المشروع) ويدفع المستهلكون نصف الثمن الذى يدفعه غيرهم فى المناطق الأخرى بينما يستهلكون ٧٠٪ أكثر من غيرهم .

وتبع ذلك نمو الزراعة وزرع الغابات فزاد دخل الفرد ٤٠٠٪ (بينما الدخل العام لم يزد إلا ٢٩٠٪) كما أن الصناعة أخذت فى الازدهار وستدهش عند ما تعلم أن أكثر من ٢٨٠٠ مشروعاً صناعياً تمت منذ بدء المشروع إلى الآن . وليس هذا فقط بل نشأت صناعات كيمياوية للمخصبات وأهمها الفوسفات تنتج المصانع هذه المخصبات وقت السلم وتنتج المفرقات وقت الحرب . ولم يقف الأمر عند ذلك بل إن البحيرات الصناعية العديدة التى تم حفرها وعمقها نحو ٩ أقدام ساعدت فى تنظيم وتسهيل الملاحة النهرية التى زادت ثمانية عشر ضعفاً فأحدثت رواجاً عظيماً فى جميع المنطقة . وتحتجز الخزانات المنشأة على النهر نحو ١٥ مليون فدان قدم من المياه .

نهر نورييس Norris Dam

كان هذا أول خزان زرته ويقع على بعد ٢٥ ميلاً شمال غربى نوكسفيل ويحدث بحيرة تمتد ٧٢ ميلاً فى نهر كلينش Clinch River ويرتفع البناء الخرساني بمقدار ٢٦٥ قدماً فوق النهر وبذا يساعد فى إيقاف فيضان نهري التينيسى والميسيسيبى بينما يسهل الملاحة عند هبوط منسوب النهر الأصلي . وبه وحدتان لإنتاج الكهرباء قوة كل منهما ٦٦ ألف حصان وما ينتج منهما يوزع على المزارع والمصانع فى المدن المجاورة .

أما بحيرة نورييس (الصناعية) فمساحتها ٣٥ ألف فدان وطول شاطئها

٧٠٥ ميلا ويحيط بها حدائق ومناظر جبلية بديعة عدا الكباتن العديدة المقامة على شاطئها ولذا يقصدها السياح والأهالى طوال الأسبوع للهو واللعب وصيد الأسماك والاستحمام والنزهة بالقوارب . وهكذا ترى المشروع الأصيل للتغلب على النهر أصبح مشروعا منتجا زراعياً وصناعياً وأيضاً للترفيه والسياحة .

وترتب على ذلك أن مدينة نوكسفيل نفسها أصبحت مركزاً هاماً فى صناعة النسيج وتصدير الدخان ورخام التنيسى المشهور وتربية المواشى وحيوانات الذبح الخ . .

مدينة أوك ريدج Oak Ridge Town

ومن ذا الذى لم يسمع بعد عن « أوك ريدج » : مدينة الذرة التى تصدرت أخبار وصحف العالم أجمع قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية عند إلقاء القنبلة الذرية على اليابان . وتاريخ هذه القرية عجيب جداً بقدر ما هو مختصر .

فقبل سنة ١٩٤٢ لم يسمع بها أحد اللهم إلا أقرب الأقربين : ثم اختارتها لجنة الذرة للغرض العظيم الذى قدر لها أن تقوم به وكان اختيارها بسبب موقعها الخفى فى حوض الجبال وبسبب وجود القوى الكهربائية الهائلة فى هذا المكان وبنيت على أن يسكنها اثنى عشر ألفاً ولكن لم يأت عام ١٩٤٥ حتى كان بها ٧٥ ألفاً : كلهم أقسم على السرية التامة المطلقة فلا يتصل بأى إنسان خارج المنطقة وبذلك أمكن الاحتفاظ بالسريته الرهيب . ومع إنها تشغل مساحة سبعة أميال إلا أن إنشاءها تكلف مائة مليون من

الدولارات . وتجد معامل (أو مصانع) الذرة منفصلة بعضها عن البعض وعن المدينة نفسها .

ومنطقة « أوك ريدج » ، هي المركز الأساسى فى العالم لإنتاج يورانيوم — ٢٣٥ أهم عناصر القنبلة الذرية كما أنها مصدر إنتاج الأيسوتوب المشع Radio-active Isotopes المستعمل فى الأبحاث الذرية فى جميع أنحاء العالم .

والمعامل عديدة فبعضها لتنقية اليورانيوم ٢٣٥ وبعضها لأبحاث نواة الذرة وبعضها لمد الجامعات بحاجياتها . وبعضها لبحث تأثير الإشعاع على الحيوان والنبات وبعضها لتطبيق الأبحاث الذرية على أجهزة الطيران الجديدة الخ . .

متحف الذرة Atomic Energy Museum

هو الأول من نوعه ولا عجب أن يكون هناك متحف فى « مهد الذرة » وأنت تبدأ الزيارة بمشاهدة فيلمين أولهما يريك مختلف مصانع ومعامل الذرة وثانيهما يشرح لك نظرية فلق الذرة . وبعد ذلك يأخذك الدليل فى رحلة لأقسام المتحف فترى كل شىء بالصور وباللغة المبسطة ثم ترى أجهزة قياس الإشعاع Geiger- Miller وتطبيق الإشعاع فى كشف الأمراض وعلاجها وإدارة الآلات والأجهزة وهناك جهاز تدخل فيه قطعة فضية من ذات العشرة سنتيم فتخرج لك « مشعة » وحولها إطار من الألومنيوم عليه اسم المتحف تذكر أن لزيارتك .

ومن المشاهد العجيبة « الأيدى الميكانيكية » ، وهى ضرورية لأن المواد الإشعاعية يجب « التعامل » بها بغاية الاحتراس وأن يكون ذلك داخل

غرف من الزجاج الخاص . وهذه الأيدي يمكن تشغيلها من الخارج وتقوم بعملها بدقة عجيبة فيمكنها مثلاً إخراج سيجارة من العلبة وإشعال الولاعة ثم إشعال السيجارة بكل سهولة وبكل سرعة .

وتخرج من زيارتك للمتحف وقد فهمت — على قدر الإمكان — نظرية الذرة وفلقها واستعمالها ثم ترى إمكانيات تطبيقها في وقت السلم ولأغراض السلم ونرجو أن يكون ذلك قريباً وقريباً جداً .

* * *

شتانوجا Chattanooga

كانت هي المدينة الثالثة التي زرتها إذ فيها خزان شيكاموجا وهو يشبه خزان نوريس ولو أنه أكبر ونظريته واحدة . والمدينة نفسها صغيرة وفيها شارع رئيسي واحد ولا داعي لوصف الخزان وإن كانت المزارع حوله تستأهل ذلك .

ولكن لا بد لي أن أصف لك ما حول المدينة من مناظر طبيعية خلابة .

١ — شلالات روبي Ruby Falls

٢ — وجبل « انظر » Look-out Mountain

شلالات روبي ترتفع ١٩٤٥ قدماً وتنزل تحت الأرض ١١٢٠ قدماً وبها صخور مدلاة جميلة المنظر Stalactites أما الجبل فنحدر انحداراً تدريجياً وعندما تصل إلى قته يقابلك منظر أخاذ جميل لجميع المنطقة المحيطة به ويمكنك طلوعه بالسيارة أو بقطار Funicular railways خاص له أسنان في العجلات . وكان الهنود الحمر يستعملون الجبل للمراقبة ثم استعمله بعدهم

قواد الحرب الأهلية في القرن الماضي . ويمكنك في الأجواء الصافية أن ترى
البلدان المحيطة على بعد أميال وأميال .

* * *

المدينة الصخرية The Rock City

فإذا ما تمتعت بهذا المنظر الخلاب فسر قليلا تلقى « المدينة » الصخرية
التي كانت وما زالت تخب ألباب الزوار منذ جيلين من الزمان والمدينة تشغل
مساحة عشرة أفدنة من الصخور الجيرية الطبيعية المغطاة بالأزهار الياقة
الجميلة الألوان . وكان يسكنها الهنود الشيروكي Cherokee ومعناها : هنود
المغارات وقد بقوا متحصنين فيها مدة قرون عديدة وسموا الجبل شتانوجا
ومعناه « الجبل المدب » . ولما أجلى البيض الهنود واحتلوا الجبل هذبوا
المكان وأصلحوه فأصبح اليوم مقصد المتنزهين ومتعة المتفرجين بما يحويه
من مناظر وأعشاب وأشجار ثم عملت يد الإنسان في تحسين الطبيعة وتهذيب
الطرق حتى أنك اليوم تقضى الساعات تلو الساعات في زيارة المكان ولا تشعر
بميل للرحيل منه وسأصف لك بعضاً منها ولكن لن يغنيك الوصف ولن
يشبعك الصور التي سأنقلها لك ولا بد أن تراه بنفسك :

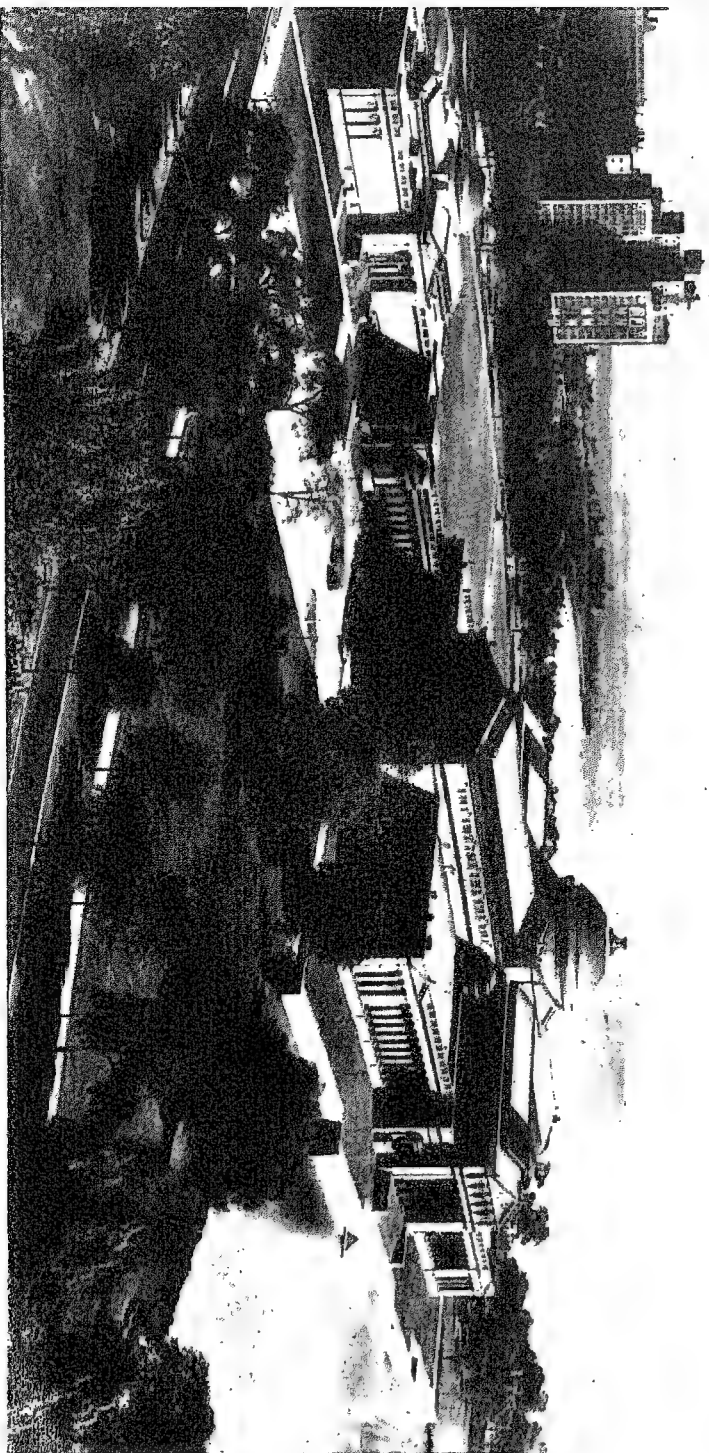
الطريق المسحور The Enchanted Trail طوله ٣٨٠٠ قدم بعرض
أربعة أقدام يمتد داخل أنفاق وفوق كبارى وتقابل فيما تقابل : المدخل
الكبير Grand Corridor وعين الإبرة Needle's eye وحديقة الغزلان
Deer Park (بغزلانها البيضاء) وصخور عش الغراب Mushroom Rock
ومغارة الأقزم Gnome's pass (وترى تماثيلهم يعصرون الحجر) ومغارة
الأسود Lions Den والكوبري الهزاز Swing-along-bridge إلى « منط » ،

المحبين Lovers' leap (وهنا يمكنك رؤية السبع ولايات المحيطة بالجبل إحاطة السوار بالمعصم — ثم تصل إلى مغارة السلاحفة Tortoise Shell Rock وطريق الرجل النحيف Fat Man's Squeeze فإذا أمكنك المرور منه فأنت لست سميئاً وإن لم يمكنك فأرجع من حيث أتيت . وبعدها تصل إلى صخرة ضخمة وزن ألف طن وتقف ثابتة على طرفها وفي النهاية تقابلك صخرة ضخمة على هيئة وجه ساحرة تدخن غليوياً Wicked Stone Witch . ثم هناك المتعة لأطفالك مساكن الملائكة بها تماثيل حيوانات عديدة وكذا الملكة الصغيرة والأقزام السبعة ثم سندرلا وعربتها . . . الخ .

ذكرت لك « منط المحبين » وسأخبرك عن حكاية أصل تسميته ، وأنت في رحلاتك لا بد أنك قابلت هذه « المنطات » ، حيث ينتحر المحبون عند ما يفشلون في حبهم . ولكن حديث هذا المكان شائق بنوع خاص .

وتقول الرواية إن سوتى Sautee شاهد نيكوشى (Nicchochee) ومعناها نجمة الليل Evening Star ابنة زعيم قبيلة الشيروكى Cherokee فأحبها وهام بها من النظرة الأولى ولكن كان بين قبيلته وقبيلة الحبيبة عداوة قديمة وكراهية متأصلة فدفعه حبه وطبيعته المتأججة أن يحاول لقاءها والفوز بها بل إن هذه الموانع كانت هى الدوافع التى زادت لهيب حبه اشتعالا . ولا ندرى كيف كان يلقاها ولا أين كان يبثها غرامه وينشد لها قصائد هيامه ولكن المؤكد أن المخاطر التى كان يتعرض لها هى التى أمالت قلب الحبيبة إليه .

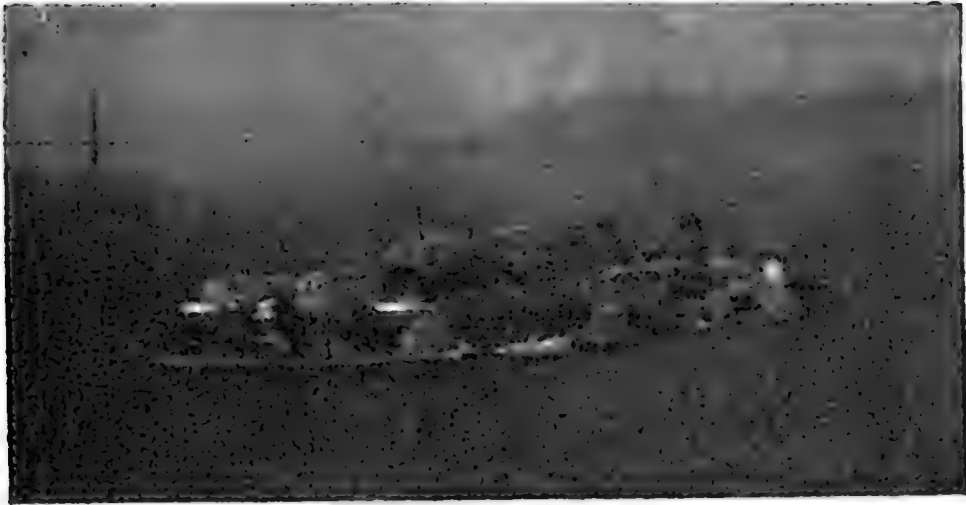
لم يكن هناك أدنى أمل فى استمالة والدها والحصول على رضاه فلم يبق إذن أمام المحبين إلا أن يهربا معاً ولأجل أن تعلم مقدار تضحيتهما التى لا تفوقها



متحف الفنون
والمسارح
شيكاجو



ترام سان فرانسيسكو العجيب



جزيرة الكازار ويرى عليها اليمان



اسطرلابان مغربيان من القرن
السادس هجودان بهرصد ادلر
بشيكلغو





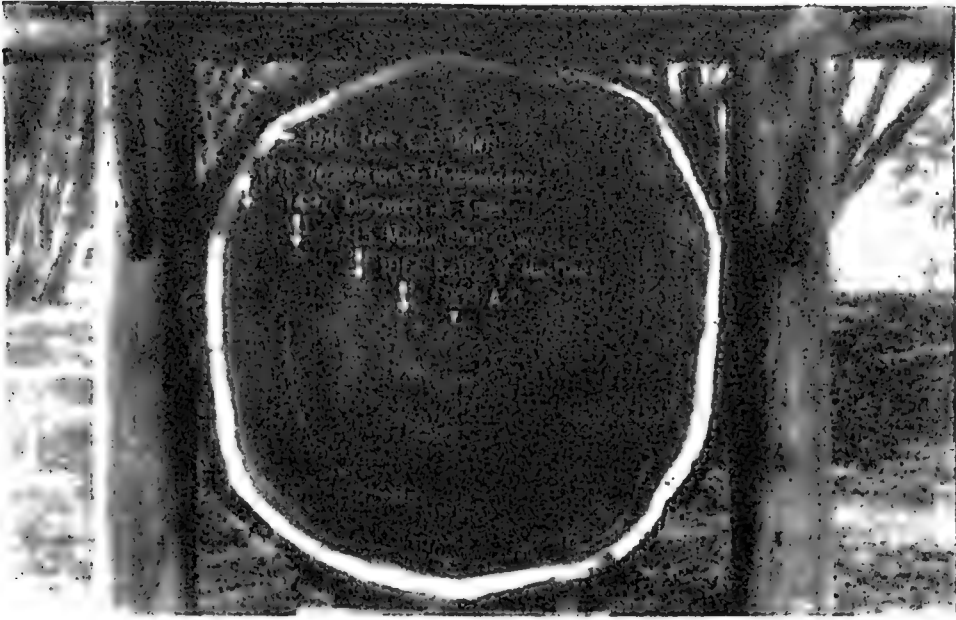
مطعم البحار كنت بمحتوياته
المعجبة



المؤلف وهو ينزل من طائرة
الهليكوبتر



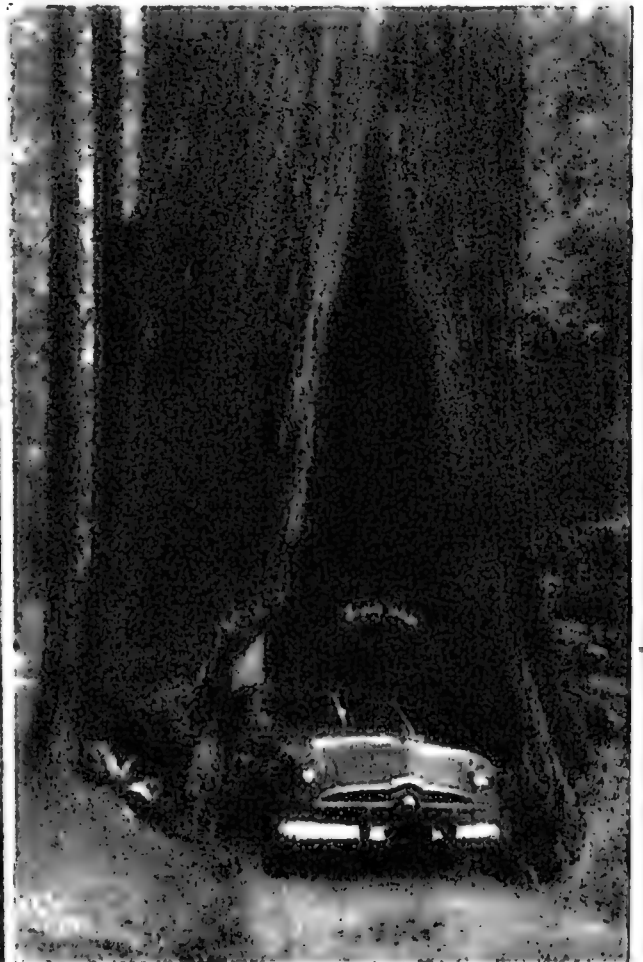
مدخل المدينة الصينية بسان
فرانيسكو



قطاع في شجرة السيكلابين ان عمرها الف عام



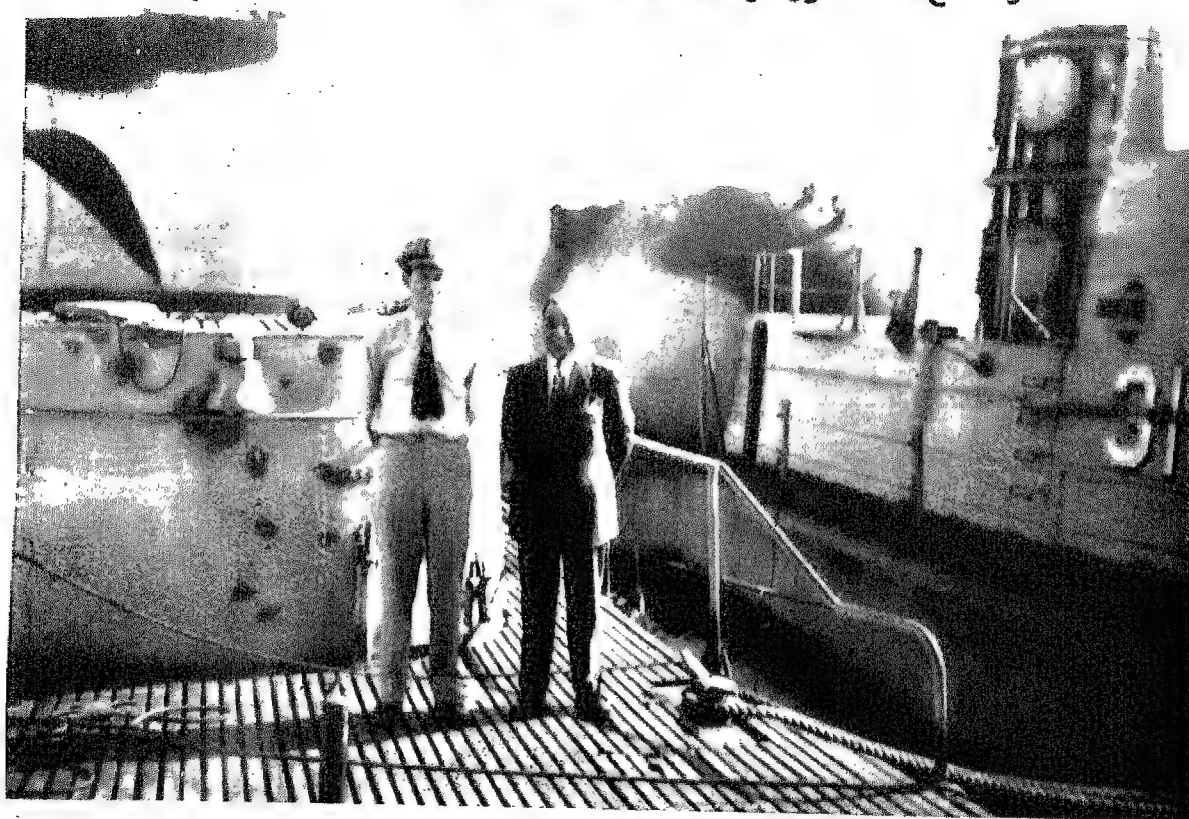
منظر في الحديقة اليابانية بسان فرانسيسكو



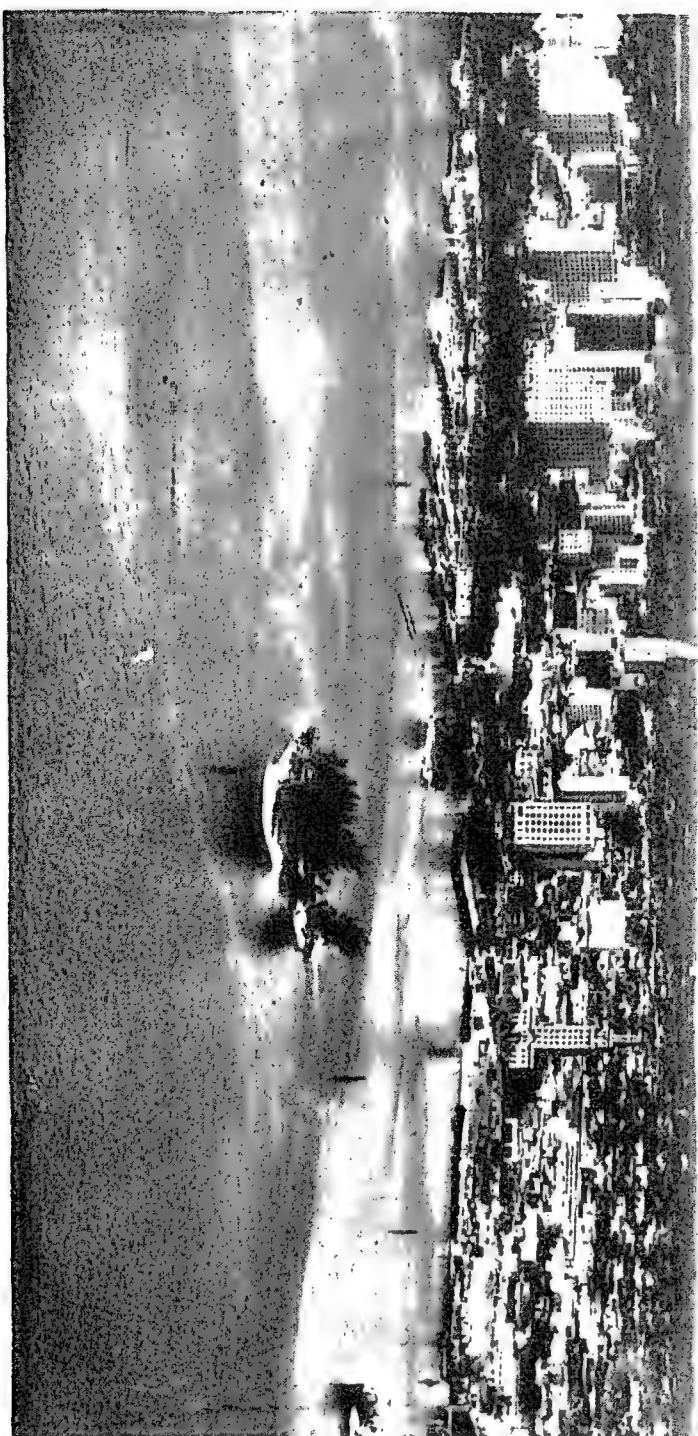
اشجار « الخشب الاحمر » وبداخل تجويفها سيادة



المؤلف مع قائد اسطول الغواصات بميناء سان دييجو



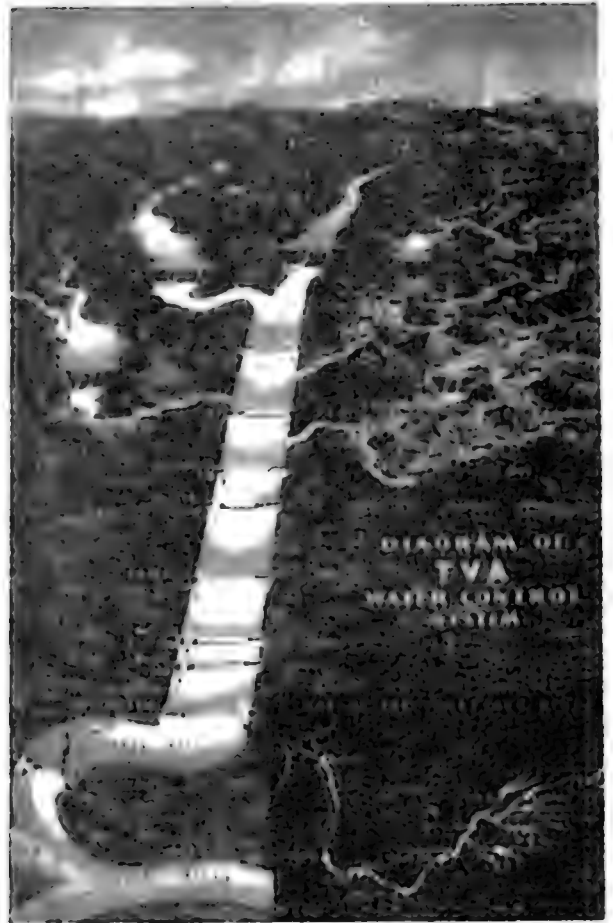
المؤلف مع قائد الغواصة



منظر عام
للمدينة من البحر



الساحرة والفليون



خريطة عامة لشوارع وادي التينيسي



خزان نوريس على نهر التينيسي



الكوبرى الهزاز



الصخرة المعلقة
ووزنها ألف طن



منفذ « العشاق »
بالمدينة الصخرية

تضحية أخبرك أن قبيلة الزوج رفضت قبولهما قطعاً فلم تجد المسكينة حتى حماية قبيلة حبيها . ففر الحبيبان إلى مغاور هذا الجبل العظيم واختبأ فيه متخذين من أزهاره البرية سرير عرسهما ومن صيد البط والطيور أثناء الليل طعاماً لهما .

وأقسم الوالد الحائق لينتقم من المغير وانضم إليه الشباب الحائق على ذلك الذى خطف محبوبتهم وفاز عليهم بجها ورضاها وانطلق الجميع يبحثون عنهما . وكان لابد أن يجدوا « سوقى » فى النهاية وأن تغلب الكثرة على الشجاعة . فقبضوا عليه وسجنوه ثم حاكموه وحكموا عليه بالموت وأن يكون موته بإلقائه وتطويحه من أعلى الجبل . وحكم عليها هى أن تحضر مشهد مصرعه من مبدئه إلى ختامه . وبأنفاس لاهثة وعيون غممتها الدموع شاهدت المسكينة تحضيره وإعداده للبوت ولكنها كأمراة كانت نفورة بشجاعة رجلها وعدم مبالاته بالخطر المائل إذ هو كان كأتما سوف يخوض معركة من المعارك فقد ارتفع صوته ثابثاً ينشد أنشودة القتال وبينما كانت الصخور تردد صدى أغنيته الحزينة قبضت عليه يدان قويتان ورفعته إلى أعلى ثم طوحت به إلى الهاوية .

أما الحبيبة « ناكوشى » فقد انتهزت فرصة انهماك الجميع بمشاهدة المأساة وقفزت بدورها من فوق الجبل منادية « سوقى ! سوقى » .

وهناك فى الوادى السحيق كان الموت قد أسكت كل ما كان ينبض فى الحبيين من حياة وحيوية وحب .

ونزل الوالد الحزين وقلبه مثقل بالأسى وتأنيب الضمير ليدفن الحبيين فى الوادى الجليل .

معالجة الجريمة والاجرام في أمريكا

منازل الحجز

Detention Homes.

أصبحت مسألة « انحراف » الأبناء مشكلة عالمية يضح منها كل الناس ويتلصون لها حلا في كل مكان . وقد أشار على الجميع أن أزور المحترم القاضي فيكتور ويلجالا (The Honorable Judge V. Wylgala) إذ أن خبرته العظيمة مدى تسعة وعشرين عاماً لا تضارع . وكنت متردداً في صواب زيارة مدينة بافالو شتاء للتفرج على شلالات نياجرا إذ أن المناظر والمباهج سوف تكون محدودة جداً في هذا الوقت من السنة ولكني قررت الذهاب لأقابل القاضي الفاضل وقد استمتعت واستفدت من مقابلته فائدة كبرى .

وأنت إذ تحضر جلسته لا تشعر أنك في دار قضاء بل أنه في ذلك اليوم بالذات عقد جلسته في مكتبه ولم تكن هناك رسميات بل شعرنا أننا في جلسة عائلية يترأسها أكبر الأفراد سناً (أو مقاماً) ويبحث المشكلة على هذا الأساس وبنفس هذه الروح .

وقد طار صيت هذا القاضي في طول الولايات المتحدة وعرضها وسمعت اسمه يتردد في كل مكان مصحوباً بالتقدير والثناء بل إن رجل التاكسي عندما قلت له ذلك الصباح خذني إلى شارع ايغل Eagle Str. قال لاشك أنك ذاهب لقاضينا — ألا بلغه سلامي .

وكان هناك ست قضايا أو مشاكل في ذلك اليوم : —

كان الأول ولد تكرر هروبه من المدرسة وأظهر البحث أنه علم أن

والدته أتت به سفاحاً فكان يهرب ليعاقبها ويجعلها تدفع الغرامة .

والثاني كان يهرب لسوء معاملة والدته له . وأبان البحث أن والده توفي من زمن وأن الوالدة الشابة تسمى للابن لاعتقادها أنه العقبة في طريق زواجها مرة ثانية .

والثالثة كانت بنتاً هربت من المنزل لأن والدها دائماً الخصام وأهملاً شأنها فخرجت تبحث عن العطف والحب . وفي العادة تكون هذه هي الخطوة الأولى في سبيل سقوطها أخلاقياً .

والرابع سرق أشياء صغيرة ليشتري بها بعض المتع حيث لم يكن يحصل على نقود من أبويه .

والخامس لا يذهب للمدرسة لأنه ألف فرقة موسيقية ليلية ليتكسب بعض النقود فكان يسهر ليلاً وينام نهاراً .

وسادسها كانت ابنة هربت من المدرسة لشعورها أن زميلاتها يلبسين خيراً منها فيتولاهن الخجل وهذه حولت إلى مدرسة أفقر وهكذا . . . الخ .

وينص قانون « ولاية نيويورك » فيما يختص بانحراف الأولاد على تحريم وضع أى صبي فى سجن أو حبس أو أى مكان آخر يكون فيه شخص بالغ محكوم عليه أو تحت المحاكمة لأى جريمة وأنه لابد من إعداد أمكنة خاصة لحجز هؤلاء الصبيان حتى يأتى وقت محاكمتهم وإن لم توجد فيوضعون تحت رعاية أشخاص أو هيئات يصلحون لهذا الغرض حتى يحل وقت محاكمتهم أو دعوتهم للشهادة .

ولذلك أعدت مقاطعة إيرى Eerie County وسكانها يبلغون ثمانمائة

ألف نسمة منازل حجز خاصة. وبمجرد القبض على أى صبي يقرر الموظفون المختصون هل هو بمن تنطبق عليهم نصوص القانون وفى أى مكان يحجز ؟ وهناك تسعة منازل لهذا الغرض يديرها أشخاص متخصصون فى هذا النوع من العمل وأعدت المنازل إعداداً خاصاً . ويتبين لك أهمية هذا الإعداد لو تذكرت أن الأولاد المقبوض عليهم يكونون عادة فى حالة سيئة من حيث التغذية والنظافة والخوف وعدم الثقة بأحد واضطراب الأعصاب فهم فى حاجة لمن يفهمهم ويعطيهم الحنان والثقة التى تنقصهم ثم يشجعهم على تنظيف أنفسهم وتناول الغذاء والاسترخاء .

وقد زرت بعض هذه المنازل أو المعازل ووجدت أنهم احتاطوا حتى لا يهرب أحد فمع أنه لا توجد قضبان حديدية على النوافذ إلا أن هذه تغلق ولا يفتح إلا جزء صغير فى أعلاها أو أسفلها للتهوية كما أن الأبواب الخارجية تغلق والمفاتيح دائماً مع صاحبة الدار . وكذا ملابسهم الأصلية تحجز عنهم .

وبعد أن يتعود الصبي على الإقامة ويترك فكرة الهرب ينقل إلى دار أخرى يعطى فيها حرية أكبر فى تنقلاته بل ربما أرسل للدرسة مع دوام ملاحظة تفاعلاته وحركاته كما يصرح لوالديه بزيارته .

ولا يزيد عدد أطفال أى منزل عن عشرة وعليهم ترتيب أسرهم وتنظيف غرفهم وإعداد المائدة وغسيل الصحون كما أن عليهم شغل كل وقتهم إما فى الدراسة أو فى بعض الهوايات .

وتدفع الولاية لأصحاب هذه الدور أجراً شهرياً يتراوح بين

٤٧٥ و ٢٢٥ دولاراً علاوة على مبلغ ٢١ دولار عن الصبي يومياً نظير مأكله ورعايته .

الخلاصة : بعد تجربة اثني عشر عاماً يظن القائمون أن هذه الطريقة منتجة جداً ووافية بالغرض المقصود ففضلاً عن توفير ما كان قد يصرف على بناء معاهد كبيرة وصرف مرتبات لموظفين دائمين فإن هذه الدور لها جو « وطعم » المنزل العائلي وتتيح فرصة أكبر لدراسة الطفل ومشاكله وطريقة علاج كل على حدة .

« مدينة الأولاد » بمدينة أوماها

BOYS' TOWN—Omaha (Nebraska)

كان كل صديق أمريكي أقابله في مصر ويعلم مقدار اهتمامي بدراسة سقوط الغلمان الخلقى ووقوعهم في الإجرام يشير على "بوجوب زيارة « مدينة الأولاد »، في مدينة أوماها بولاية نبراسكا إذ هي تجربة ناجحة ليس لها نظير في أى جهة أخرى من العالم . وقد أشتد ميلى هذا بعد مقابلة القاضى ويلجالا في مدينة بفالو ومشاهدة محكمته التى أخبرتك عنها .

ومع أنى وصلت « أوماها » أثناء عطلة عيد الميلاد إلا أنى اطلعت على كل نظام « المدينة » ونشاطها بفضل مديرها الأب المحترم نيقولاس ويجنر Father Nicholas Wegner وحضرات معاونيه وقد وجدت أن كل الأولاد تقريباً يقضون العطلة داخل مدينتهم مفضلين ذلك على الذهاب لعائلاتهم وكانت هذه وحدها أول شهادة حسنة للمدينة علمت بها .

وقصة « مدينة الأولاد » قصة خلاصة مثيرة — قصة رجل آمن بمبدأ وعمل على تحقيقه وكان يثق ثقة لا تتزعزع بالإنسان — ذلك الرجل هو المرحوم الأب فلاناجان The Late Father Flanagan .

وأول ما واثته الفكرة كان عند ما عاد إلى مدينة أوماها الآلاف المؤلفة من العمال الذين عجزوا عن الكسب في المصانع أو المزارع عند ما حلت السنين العجاف فأصبحوا كسالى عاطلين لا يجدون الطعام ولا المأوى ولم يكن هناك ما يمكن عمله لمساعدتهم فأكثرهم لا يحذق أى عمل لأنه لم يتعلم شيئاً جديراً بالذكر في أيام شبابه .

ولما تعمق الأب فلاناجان في دراسة أحوالهم وجد أنهم في شبابههم وصباهم كانوا بدون غائلة ولم يهتم بهم أحد أو يساعدهم وقتما كانوا في أشد الحاجة إلى العطف والحب والمساعدة وأغلب الظن لو كانوا لقوا شيئاً من ذلك لتغيرت صورة حياتهم الحاضرة القائمة إلى أخرى مشرقة منيرة .

وبهذه الفكرة أو هذه العقيدة ابتدأ الرجل تجربته في ديسمبر عام ١٩١٧ وليس معه إلا تسعون دولاراً استأجر بها شقة صغيرة في منزل قديم بمدينة « أوماها » حيث آوى خمسة أولاد ضالين .

ومع الصبر والحلم والرغبة في مساعدة هؤلاء البؤساء ليتعلموا ومن ثم يكسبوا معاشهم أخذ الرجل يسبغ عليهم الحنان والعطف والشفقة حتى يصبحوا مواطنين صالحين وينسجون بأساءهم .

ولقد كرم العالم هذا الرجل الإنسان العظيم - بعد أن رأوا نجاح تجربته العظيمة - ولكن المؤكد أن فرحه جاءه من ابتسامات هؤلاء الأولاد المنبوذين أكثر مما جاءه من أى تكريم آخر .

وتقع « مدينة الأولاد » بالقرب من « أوماها » وعلى بعد ١١ ميلاً منها وهى تتمتع بكل مزايا القرى فنذ عام ١٩٣٦ حينما اعترف بها رسمياً أصبح فيها كل الفروع الحكومية والإدارة والبريد كأى قرية أخرى فى ولاية نبراسكا إلا أنها تختلف عنها جميعاً فى أمر هام جداً فهى لا تقتضى أى ضرائب من سكانها (الأولاد) إذ هم فقراء كما أنها لا تتلقى أية معونة مالية من الحكومة المركزية أو حكومة المقاطعة ولا من الكنيسة وإنما تقوم بمصروفاتها من التبرعات التى تأتىها من المؤسسات أو الأفراد الذين يدينون بالمبدأ الذى قامت عليه أى من أفراد كان حظهم فى الحياة باسماً ولذا يريدون

أن يهيئوا مثيلاً منه هؤلاء الأولاد وفي الحق لقد أدهشتني الرسائل المقدسة التي شاهدها على مكتب الأب «ويجنر» تحمل له العشرات والمئات من الدولارات الواردة له كتبرعات بمناسبة عيد الميلاد والسنة الجديدة .

وهذه التبرعات السخية هي التي جعلت من الممكن أن يستبدل المنزل الصغير بهذه المؤسسة الكبيرة التي تشغل حوالى ألف فدان وأن تقفز الميزانية من التسعين دولاراً المتواضعة إلى مليون دولار هو المصروف السنوى في الوقت الحالى .

حكومة ذاتية

هذه المدينة تكاد تكون المثل الأعلى للقرية — فهي بعيدة عن الصخب وهي ليست مزدحمة فوق أن موقعها على جبل صغير في وسط مناظر جميلة وحوطها أرض خصبة يزرعها الأولاد فيتعلون الطرق الحديثة ويحصلون على الغذاء النباتى والحيوانى الكافى لهم (وزيادة) فهل هناك ظروف مواتية أكثر من ذلك لتنمية كل ما هو خير في هؤلاء الشبان من صحة وجمال ؟

ثم هم يتعلون الحكم الديمقراطى الصالح لا من الكتب (كغيرهم من الصبيان) بل عن خبرة وممارسة فعلية إذ هم يختارون نوابهم وقادتهم اختياراً مبنياً على الخلق القويم والشخصية القوية . وترى في أيام الانتخابات السنوية كل واحد يقوم بالدعاية لنفسه وتوزيع المنشورات والخطب وبالجملة القيام بكل ما يمت لعملية الانتخاب — كما تراه في أى مجتمع آخر — ثم تجمع الأوراق ويفرزا قضاة منهم أنفسهم . ومتى أعلنت النتيجة آمن بها الجميع ورضخوا لها بروح رياضية عظيمة ناسين كل جروح المعركة . وهذه الانتخابات تشمل اختيار العمدة وأعضاء المجلس الذى يدير المؤسسة .

نظام العمل

يجد الولد الشريد الطريد عند ما يصل « المدينة » أنه انتقل إلى جو صحى نظيف فعمدة المدينة يلقاه مرحباً ويدله على مكانه فى غرف النوم ثم يقدم له الغذاء الكافى اللذيذ يتناوله مع بقية زملائه ويتعلم أول ما يتعلم النظام والترتيب والنظافة ثم يلحق قواعد الدراسة والحفظ وتنمية ملكاته وأهمها مصادقة زملائه .

ولا يجبر أى أنسان على دخول المدينة ولا على البقاء فيها بل لو وجد أن الولد لا يستجيب لما يتطلب منه من خلق كريم ومثابرة على الدراسة وإطاعة للنظام فيطلب من أهله أو الأوصياء عليه أن يبادروا باستلامه ونقله إلى جهة أخرى تكون أكثر ملاءمة له .

الحرف والصناعات

إن أغلب سكان هذه المدينة العجيبة كانوا مشردين أو هم من بيئات لا يطاق العيش فيها ولذا أصبح من الضرورى أن يتعلموا صناعة ما تكفل لهم التعيش مستقلين بعد خروجهم من هذا المعهد . هذا بجانب الثقافة العادية . فالمؤسسة بهذا تذهب إلى مدى أبعد من المعاهد الأخرى فى إعداد خريجها للملاقاة مطالب الحياة . وهم فى نفس وقت تدريبهم يقدمون خدمات شتى لمؤسستهم ولزملائهم . فهناك مثلاً المطبعة تقوم بكل أدوار الطباعة من مبدئها إلى منتهىها وهناك الحلاقون والطباخون والزراع كلهم من الأولاد .

أما الصناعة فتشمل الزراعة على أحدث الطرق ويتبعها تربية الحيوان والدواجن وصناعة الألبان ثم صناعة حفظ الأغذية والصناعات الزراعية

كلها وتباع منتجاتها المطلوبة في كل مكان . وكذلك التجارة والحجارة وهي صناعة رائجة جداً والكهرباء بما فيها الراديو والحلاقة وإصلاح الآلات ثم قسم السيراميك (القيشاني) تحت إرشاد أستاذ اسكتلندي قابلته وحدثني أنه يود من صميم قلبه أن يعلم سر تركيب اللون اللازوردى الجميل الذى كان يصنعه قدماء المصريين وكذلك فى العصور الإسلامية وقد أراى الأطباق والتمائيل التى يخرجونها وهى متقنة الصناعة جداً وتكرم فأهدانى طبقاً به رسومات المباني المختلفة للوسسة وفى وسطها رسم التمثال المقام وسط الأبنية ويمثل ولداً كبيراً يحمل آخر أصغر منه ومكتوب على قاعدته « إن حملة لا يتعبنى يا أبى — إنه أخى » He a'int heavy Father. He is my brother هذه هى روح المؤسسة التعاونية .

التعليم

ولكن لا تظن أن التعليم قاصر على الحرف والصناعات . كلا إنه يشمل الثقافة العامة والخاصة فهناك دراسة ابتدائية ينتقل بعدها الولد إلى المرحلة التالية كل ذلك على أيدى أساتذة اختيروا اختياراً خاصاً بالنسبة لخلقهم وروحهم إذ هم مدعوون لتعليم وتهذيب أولاد قسى عليهم الزمان فأصبحوا فى حاجة إلى عناية خاصة . وسيد هشك أن تعلم أن خريجي هذه المدارس يقارنون وأحياناً يفوقون أمثالهم من خريجي المعاهد الأخرى من حيث الفطنة والعلم والتهذيب والأخلاق مما حدا بجامعة نبراسكا أن تعترف بشهادتهم العليا كمستند كاف لدخول الجامعة وإتمام الدراسة .

الرياضة والصحة

إن المثل القائل العقل السليم فى الجسم السليم صحيح لا شك فيه والحاجة

إلى الألعاب الرياضية هي ألزم هؤلاء الأولاد الذين نشأوا في بيئات فقيرة فأنت تراهم وقت وصولهم في هزال وضعف وسوء تغذية فضلاً عن أن حرمانهم من الألعاب في طفولتهم جعلهم ميالين للعزلة والانحراف ولذا تدرس كل حالة على حدة وقت الدخول لتقدير أى الألعاب تصلح للولد بدون إجهاده وكلما تحسنت صحته اندمج في ألعاب أخرى أشد عنفاً . وإنك لتدهش للصحة البادية على وجوه من يكون قد قضى زمناً هناك فترى لهم عضلات قوية وقواماً سمهرياً كما أن نظراتهم تنطق بالذكاء والنشاط والتوثب فلا عجب إن فازوا في المباريات المختلفة لكرة القدم والسباحة والتنس وغيرها مع فرق المعاهد الأخرى .

تشجيع الملاحظات الخاصة

إن من سياسة هذه المؤسسة تشجيع الهوايات إذ هي جزء من النمو الطبيعي لكل فرد وتساعد على صرف جزء من نشاط شبابه الفوار فوق أنها أحياناً تساعد في كسب جزء من معاشه . فبعض الأولاد يميل للتمثيل وهذا يكسبه براعة في الإلقاء والتعبير والبعض يجمع الطوابع فيتعلم التنسيق والترتيب وآخر يميل للآلات الميكانيكية الدقيقة . واعتقادي أن هذا إجراء في منتهى الصواب إذ أنه يشغل عقل الشاب بإيجاد حلول لمسائل جديدة ولو أنك شاهدت حفلاتهم التمثيلية واستمعت لموسيقاهم أو لو شاهدت معرض الصور وطوابع البريد لعجبت للهواهب التي كانت مدفونة في أجسام وعقول هؤلاء الأولاد .

العناية الطبية

أما العناية الطبية فحدث عنها ولا حرج ، فهناك عيادة طبية للأمراض

والجراحة والأسنان مستكملة الاستعداد إذ أن الأولاد في حاجة ماسة إلى العناية الطبية أكثر من الكبار ولا تنس أن كثيراً من الانحرافات العصبية والعقلية تنشأ أول ما تنشأ من وجود مرض دفين .

فلسفة مربية الأولاد

تتلخص الفلسفة في جملة واحدة «لا يوجد أولاد شريريون» (There are no bad boys) هذه هي عقيدة الأب فلاناجان التي أوحى إليه بالقيام بمشروعه الجريء وقد أثبتت التجربة خلال أعوامها التسعة وعشرين صحة هذه العقيدة ومن اليوم الأول استجاب الأولاد للنظام وللقانون فالحلق ما هو إلا انعكاس للعوامل التي تحيط بالشباب وانعكاس لتربيته فإذا أنت أعطيت بيتاً صالحاً وعناية كافية وإذا أنت شغلت عقله النشاط فتأكد أن ما يسمى الولد المشكلة Problem child يصبح شاباً طبيعياً صحيحاً فالتناس يولدون أحراراً متساوين لهم نفس الشهية ونفس الميول وما يلاقونه في شبابه هو الذي يقرر حالتهم في رجولتهم . ومنذ ٢٩ عاماً أنشئت مدينة الأولاد ليجد فيها هؤلاء المشردين البيت والرعاية والعناية التي فقدوها .

وإن صلاحهم واستقامتهم ونجاحهم في الحياة هو لوحة الشرف للمدينة .



وإني أختم هذا الوصف باقتباس ما قلته في إذاعة « صوت أمريكا » تعليقا على هذا الموضوع « إنى لأرجو أن يقوم منا رجل فاضل أو هيئة من الأفاضل لينشئوا في مصرنا العزيزة مؤسسة على هذا المنوال » .

سجن بلا أقفال ولا جدران

لا تفقد الأمل في إنسان

WALLESS PRISON.

No Man should be given up as Lost.

حدثتك في فصل سابق عن تجربة الأب فلاناغان بأنه لا يوجد ولد شرير بطبعه وسأحدثك الآن عن تجربة أخرى لا تقل روعة عن تلك وتدل على أنه لا يجب أن تفقد الأمل في إصلاح شخص مهما كانت فظاعة جرمه . وإن المذنبين هم أناس يجب أن نحاول تقويمهم ، وبطل هذه النظرية هو المستر كينيون سكودر Kenyon Scudder مدير معهد كاليفورنيا للرجال بمدينة شينو (Chino) بالقرب من لوس أنجلوس Los Angeles .

وكان كلما تكلم عن نظريته ودافع عن آرائه هزأ به الجميع وسخروا منه بل كانوا يتهمونهم بالجنون حتى قامت ثورة في سجن سان كوينتين San Quentin (بسان فرنسيسكو) ودل التحقيق على وجود عهد من الرشوة والفساد والسادزم وما إليه وعند ذلك طلب من «سكودر» أن يبدى اقتراحاته وكانت هذه هي الفرصة التي يترقبها ويتمناها ليبرهن على صحة نظرياته . فأصر على عدم الاستعانة بأى واحد من الموظفين القدامى كما أصر على الحصول على مراتب عالية ليختار مجموعة من الرجال المثقفين لمعاونته . وفعلًا كان الخمسون مساعداً الذين اختارهم كمراس (ومعلمين في نفس الوقت) قد قضاوا على الأقل سنتين في دراسة جامعية .

ثم أخذ في محادثة مئات من المسجونين في سجن «سان كوينتين» غير ناظر إلى نوع الجريمة ولا إلى شدتها وإنما كان يبحث عن الأشخاص الذين

يغنون الانتقال إلى سجن آخر بأمل واحد هو أن يعينهم المعهد الجديد على الرجوع للحياة الإنسانية الكريمة .

وفي صباح أحد أيام شهر يوليه عام ١٩٤١ دخل من بوابة سجن « سان كوينتين » أوتويس انتقل إليه ٣٤ مذنباً منهم السارق والمزيف والمتهم بجريمة خلقية بل وكان بينهم اثنان من القتلة . وقد صفر الحراس (استهزاء) لهذه السيارة التي ليس لها قضبان حديدية (للحراسة) ولما وجدوا أن «سكودر» لم يجلب معه «كلبشات» صاح أحد الحراس في وجهه « سوف تطير منك كل المجموعة في الطريق يا صديق » .

ولكن الأوتويس قطع الخمسة مائة ميل متوقفاً في الطريق للتزود بالبزين أو لتناول الطعام أو للاغتسال ووصل لوس انجيلس وكل الأربع والثلاثين مسجوناً عليه لم يحاول أحدهم الهرب فبرهن هؤلاء الرجال — كما برهن الاثنى عشر ألف شخص الذين تبعوهم بعد ذلك — أن «سكودر» كان مصيباً عند ما قال « إن المذنبين هم إناس وأغلبهم سوف يحوز ثقتك » .

وكان يقول للرجال في شينو : « إن مهارة المحاكمة ثم الحجز هو عقاب كاف لما ارتكبتموه وعليكم الآن العمل على كسب حريتكم واستعادتها بأسرع ما يمكنكم » .

وكان يقابل « المستجدين » ويريهم أن الفرار سهل بل سهل جداً خالاً سلاك الشائكة واطئة . ويقول لهم : « لو وضع أحدكم سترته عليها لأمكنه الفرار حتى بدون أن يخدش جلده وهذا لإغراء ولكني أضعه أمامكم عمداً لتتعلموا مقاومة الإغراء » .

وفى كثير من السجون يحاول الموظفون إيجاد فرق للتجسس تأتيهم
بأخبار من يريد الهروب أما د سكودر ، فيحتقر التجسس والجواسيس
ويقول للجميع ، إذا علمت أن زميلك يزعم الهرب فاقنعه أنت نفسك أنه
يضر نفسه ويضرك بعمله هذا .

ولو بحثنا حالة المسجونين لوجدنا أن ٨٠ ٪ منهم لا يحدقون أى صناعة
ولذلك فانهم عند الإفراج عنهم يشتغلون فى أحقر الأعمال ويرجعون ولذلك
فإنك ترى فى شينو فصولا دراسية لمدة أربع ساعات يوميا لتعليم البياض
والزخرفة والبناء واللحام والزراعة وثلاثين نوعاً آخر من الصناعات وتحسب
للشخص ساعات تعليمه كأنها جزء من الأربعين ساعة عمل المكلف بأدائها
رسمياً .

ثم اخترع الرئيس سكودر شيئاً آخر ذلك أنه فى خلال الثلاثين يوماً
السابقة على الإفراج (تحت شرط : بارول Parole) يحاول أن يجعل
السجين يعيش عيشة الرجل الحر ، فى الأمسيات يلتقى بالشريف Sherif
ورجال البوليس حتى يذهب من نفسه الحقد والضغينة التى يحملها لهم ثم
يلتقى مع ضابط البارول Parole officer فى أحاديث طويلة لترتيب عمله
المقبل وطريقة حياته وكذلك يبحث مع باحثة اجتماعية ما سوف يلتقى من
زوجته وأولاده من تفاعلات وهل سيعدونه دخيلاً عليهم غير مرغوب
فيه . ثم هناك مسألة أخرى هامة وإن كانت تبدو تافهة فى الظاهر . تلك هى
أنه منذ سنين أو شهور تعود أن يأكل مع زملائه المساجين فى صوانى من
الصلب ولا ينتقده أحد كيفما التهم طعامه ولذا يخشى عليه — إذا ما خرج —
أن يهاب الدخول إلى مطعم محترم فتكون النتيجة أن يفضل الدخول إلى

بار . ولذلك فإنهم في الأمسيات الثلاث التي تسبق خروجه من « شينو » يدعونه لتناول طعامه في مطعم الموظفين ومع الموظفين . وسوف تراه في الأمسية الأولى ينظر ببلاهة إلى هذه الطاولات بغطائها التنظيف وأدوات المائدة البراقة من فضيات وكوبات وفوط وفي العشاء الثاني يكون أكثر استرخاءً أما في اليوم الثالث فتراه وقد صار طبيعياً جداً .

والآن وبعد انقضاء اثني عشر عاماً فقد تأكد نجاح طريقة « سكودر » ، غير أنه هو نفسه كان يعتقد أن ٦ ٪ فقط من مجموع مسجونى ولاية كاليفورنيا سوف يصلحون لتجربته ولكن تبين أن ثلث المسجونين يصلحون لها . ولم تتعد حوادث الهرب ٢ ٪ . وقد شجع هذا كثيراً من الولايات إلى احتذاء مثال تجربة شينو مثل سجن والكيل Wallkill (الذى وصفته لك) ولكن أغلبية المائة وسبعين ألف سجين أمريكي لا بد أن يقولوا وراء قضبان .

أمرأى خطوة

ولكن ربما كانت أجراً خطوة قام بها سكودر هي سماحه للمسجونين أن يختلطوا بعائلاتهم . والقاعدة العامة هي السماح للعائلات (دون الأطفال) بزيارة المسجونين لمدة ساعة أو اثنتين في كل شهر وأن يكون بين الطرفين فاصل وقضبان وسار « سكودر » ، على هذا المنوال في مبدأ الأمر .

إلا أنه لاحظ أن المسجون الذى تزوره عائلته يصبح أحسن حالا وأطوع بنائاً من غيره فجمع بعض المتطوعين وزرع حديقة في الأرض المقابلة للسجن وأقام في وسطها كشكا وكذلك كاتيتنا وترايزات ومقاعد وكذلك حانوتاً لبيع مصنوعات المساجين . وكانت القضبان الوحيدة في

المكان هي المقامة حول قطعة صغيرة ليلعب داخلها الأطفال الصغار وحتى هذه كانت مدهونة بالألوان الجميلة الزاهية .

وكان يوم أول زيارة لإختلاط يوماً عسيراً على « سكودر » ومعاونه خيفة أن يحدث ما يفسد التجربة ولكن ها قد مضى اثني عشر عاماً تم فيها أكثر من مليون زيارة ولم يقع أى حادث بل أصبحت هذه المغامرة الفذة العامل المساعد الأول في تهذيب السجين وإصلاحه . وما أصدق قول أحدهم لقد مضى على هنا خمسة شهور رأيت فيها زوجتي مرات أكثر مما كنت أراها في عشرة أعوام لو أنى كنت في سجن سان كوينتين ثم كان هناك ابني الذي لم أره من قبل مع أن عمره ست سنوات واضطرت زوجتي إلى جره جراً في المرة الأولى أما الآن فهو يناديني « بابا » ويقول متى تعود للبيت .

ومن هذا ترى أنهم لا زالوا مسجونين ولكنه سجن بالقطاعي أسبوعاً بأسبوع ثم ليست هناك أى اضطرابات أو تمرد خشية إيقاف هذه المقابلات الأسبوعية والمزايا الأخرى .

وما أصدق تعبير زوجة عن رجلها عندما قالت « إن هارى لما كان في سان كوينتين كنت أهرب مقابلته لأنه كان دائماً يلح على أن أطلقه . أما الآن فنحن نتقابل ونبحث في مستقبلنا المشترك الذي سوف نعيشه معا ، ويختم « سكودر » حديثه معك بقوله : سوف يعود السجين يوماً ما للمجتمع . فاذا أسأنا معاملته فعنى ذلك أنه يخرج مملوماً بالمرارة والحقد والكراهية للمجتمع أما إذا وثقنا به وعلبناه وأرشدناه واحتفظنا له بروابطه العائلية فقد كسبناه ولن نخسره مستقبلاً .

سجن والكيل

Walkill Prison

هذا سجن حديث بدون جدران على طريقة تجربة شينو التي أخبرتك عنها وهو خاص بمرتكبي الجريمة الأولى من أهالي ولاية نيويورك، والإقبال عليه شديد جداً وقد تعجب للإقبال على سجن وتعجب أكثر عندما أخبرك أن هناك « قائمة إنتظار » Waiting list مقيد بها أسماء عديدة لأشخاص في سجون أخرى ينتظرون دورهم في دخول « والكيل » ، ولكن دهشتك تذهب لو درست طرقهم في تقويم وإرشاد وتعليم هؤلاء الخاطئين وتعليمهم وتثقيفهم ثم تدريبهم على صناعات مرغوبة . وأكثر نزلاؤه من طلبة المدارس الثانوية (ويسمونهم العالية Higher Schools) الذين ارتكبوا جريمة ولذا فليس لهم دراية بأى صناعة أو لهم دراية بسيطة .

وبمجرد دخول أو قبول الشخص يحادثه المدير ثم المصلح الاجتماعى والقسيس والطبيب وضابط البارول ورقيب المراسلات ومعلم الرياضة البدنية ورئيس الصناعات كل بدوره وبهذه الطريقة ونتيجة لمجموعة هذه الأحاديث يصبح فى الإمكان توجيه السجين إلى خير المهن وأوجه النشاط الأخرى التى تليق له .

ويقع السجن فى ضاحية هيرلى Hurley وتبعد عن مدينة نيويورك نحو ساعتين بالسيارة ويبلغ عدد النزلاء خمسمائة لكل منهم غرفة خاصة لا تقفل ليلاً ولا نهاراً إلا أن أبواب العنابر تقفل الساعة العاشرة مساءً وهناك مساحات كبيرة لكل أنواع النشاط الرياضى كما أنه موجود بستان تفاح ملحق بالسجن .

وبرنامج الدراسة مقسم إلى ثقافى وعملى ويشمل الأول (الثقافى)
الدراسات المدرسية العادية حسب برنامج المدارس العليا وعلوم التجارة
والمحاسبة .

أما البرنامج العملى فيشمل اختيار أى فرع من الفروع الآتية : الزراعة
وإصلاح السيارات (وقد برعوا فيه كثيراً ويتم تصليح جميع سيارات البوليس
هنا) الخبازة — الخبازة — الطبخ — النجارة — الكهرباء — والراديو —
الغسيل والكي — البناء — السباكة (دراسة ابتدائية ودراسة عالية) التبريد
الحياكة — الحدادة — حفظ الأغذية وتخفيف الفواكه — فن المكاتب
والرسم .

وهناك دراسات كاملة لمن يريد التقدم للامتحانات وتشمل العلوم
والرياضيات والتاريخ وآداب اللغة والعلوم والكيمياء الخ . . . وكلها تدرس
علياً وعملياً مع عمل امتحانات ثم هناك مكتبة عظيمة مزودة بكل أنواع
الكتب والمجلات والجرائد اليومية والقواميس ودائرة المعارف ويمكن أخذ
الكتب إلى الغرف لمتابعة الدراسة ليلاً .

فهل تعجب بعد ذلك أن تعلم أن رجال الأعمال يتلهفون على استخدام
الشبان قائلين لأنفسهم ها هو شخص نعلم كل شيء عنه وعن تاريخه وأخلاقه
هؤلاء وكفاءته بشهادة رؤسائه ، الذين خبروه بل عاشروه مدة طويلة . ثم
هو يدرك حالته الخاصة ويتلهف على أن يكون صالحاً وأن يسير سيرة حميدة
خشية أن يكون أول المتهمين إن حصل أى خلل فهو لكل ذلك يفضل شخصاً
آخر لا نعلم عنه شيئاً .

ولكن لا تظن أن سابق وجوده فى السجن معناه أن يتناول عند

خروجه مرتباً أدنى من غيره — كلا — إن مرتبه يتوقف على مقدار كفاءته فقط بدون النظر إلى أى عامل آخر .

ولم أذكر لك أوجه النشاط الرياضى ولا الترفيه ولا حفلات الموسيقى التى يقيمونها من وقت لآخر ولكن أظنك تدرك أنها من أحسن ما يكون ما دام هذا مستوى النزلاء وما دامت هذه هى الروح السائدة .

والزيارات مصرح بها فى حدود خمس مرات شهرياً ويمكن للنزلاء إرسال الخطابات وتلقى الرسائل كما يشاءون كما أن لهم أن يتلقوا طرود الأكل أو الملابس (فى حدود خاصة) من ذويهم وفى بعض الأحيان يسمح المدير للنزيل بالخروج لفترة محدودة لحضور جنازة قريبه أو زيارته فى مرضه الأخير .



نظام البارول The Parole System

فى نهاية طوافى بالسجن والاطلاع على كل أوجه النشاط عدت مع حضرة المدير إلى مكتبه حيث وافانا كبار موظفيه وعقدنا اجتماعاً لبحث كل المسائل التى أريد طرحها عليهم وقد تكلمنا فى شتى المواضيع إلا أنى أريد هنا أن أقصر القول على نظام البارول إذ كنت مهتماً بدراسته لأقارنه بنظام لجنة العناية بعد الإفراج (After-care committee) المعمول به فى بريطانيا . إن حماية المجتمع هى الأساس فى كل الوسائل التى تتخذ مع المجرمين وعليه يجب حجزهم المدة التى يظن أنها كافية لعدم عودتهم للجريمة وبناء على ذلك يصبح العامل الأهم فى تقدير مدة السجن هو الوقت اللازم لمعالجة وإصلاح هذا المجرم .

ولكل سجين أمضى ثلث المدة المحكوم عليه بها — على أن لا يقل هذا الثلث عن عام كامل — له أن يتقدم للجنة البارول وهي تقابله وتحادثه وتطلع على سجله في السجن فإذا ما اقتنعت بصلاحيته أفرجت عنه ومعنى ذلك أن يخرج من السجن على أن يبقى تحت رقابة ضابط البارول . ويترب على ذلك أن على اللجنة أن لا تنظر « هل هذا الرجل يستحق الحرية » بل الأهم أن تبحث « هل هذا الرجل أصبح صالحاً للرجوع إلى المجتمع تحت الرعاية والملاحظة » ؟ وكمن الزمن يجب أن يبقاه تحت المراقبة ؟ وهنا يكون من المهم بحث تاريخه الإجرامى ومقدار إصراره عليه وإلى أى حد نجح السجن فى تغيير نظرته هذه واتجاهاته .

ومن هذا يتبين أن رقابة ضابط البارول إن هى إلا استمرار للعلاج الاصلاحى الذى بدى به فى السجن ولو أن هذا الجزء يتم بينما الشخص يكون موجوداً فى وسط المجتمع لا خلف الجدران .

وبالطبع لا بد للمفرج عنهم تحت هذا النظام أن يرتكبوا بعض الأخطاء ولكنهم لن يعادوا للسجن طالما كان النصح والارشاد كفيلىن بتقويمهم وحل مشاكلهم وتصحيح أخطائهم .

أما إذا انحدر المفرج عنه حتى يصبح خطراً على المجتمع فانه يعاد فوراً للسجن لإعادة دراسة حالته وإصلاحه حتى ولو لم يرتكب جريمة جديدة وهذا عين الصواب إذ ما دمنا نمسك الإفراج عن الشخص الذى نعتقد أنه لم يتغلب بعد على ميوله الإجرامية فكذلك لا يجب أن يسمح لشخص بالبقاء مختلطاً بالمجتمع حالما نشعر أنه على وشك السقوط .

ولا يسمح لشخص تحت هذا النظام أن « يغادر الجدران » قبل أن

يكون قد حصل على وظيفة وله مسكن معروف كما أن عليه أن لا يغادر
وظيفته أو مسكنه أو يتزوج أو يسوق سيارة أو يدخل في تعاقد أو يغادر
الولاية إلا بعلم ورضا ضابط البارول : فأنت ترى من كل ذلك أن هذا
النظام قصد به حماية المجتمع كما قصد به حماية المذنب نفسه من نفسه .

ولما كانت الرقابة هي « روح » نظام البارول فإن اختيار ضابط المراقبة
يتم بعد تدقيق شديد في كفاءات الطالبين فيجب أن يكونوا خريجي الجامعات
وأن يكونوا قد حصلوا على دراسات خاصة في علوم الاجتماع والنفس .
وإصلاح الشواذ وتهذيب الخاطئين وتمنح لهم مرتبات سنوية تبلغ خمسة آلاف
دولار ويكلف الواحد بمراقبة نحو ثمانين شخصاً لا أكثر .

سجن « سنج سنج »

Sing-Sing Prison

هل يمكن لشخص له ارتباط بخدمة السجون (في أى بلد من بلاد العالم) يدعى لزيارة أمريكا ولا يضع سجن « سنج سنج » في رأس قائمة مشاهداته ؟ كلا ! . قد لا يكون هذا أقدم السجون ولا أحسنها (وهو قطعاً ليس أحسنها) ولكنه أشهر سجون أمريكا لدى الأجانب وشكراً لكرسيه الكهربائي والدعاية التي أسبغتها السينما عليه .

وعليه فقد غادرت نيويورك بقطار الضواحي يوم ١٨ نوفمبر إلى « أوسننج » Oesning فوصلتها بعد ساعة وربع وبهذه المناسبة أخبرك رداً على سؤالك أن كلمة سنج سنج هي اشتقاق أو هي تحريف لاسم المدينة « أوسننج » .

وهو مبنى شاهق من الطوب الأحمر وعلى تل مرتفع يقع على شاطئ نهر المهدسون في بقعة جميلة تخب الأنظار ويبلغ عدد نزلاؤه ١٧٠٠ شخصاً من الذكور كلهم من المجرمين العتاه يسكنون غرفاً انفرادية بها ماء جار ومرحاض ويحمل الحراس عصياً غليظة . أما الحراس القائمون على الأبراج الخارجية فمزودون بأحدث الأسلحة الأوتوماتيكية .

والصناعات كثيرة ومتعددة وتشمل النجارة والطباعة وإصلاح الملابس وعمل الأحذية والراديو والكهرباء . ثم هناك صناعة إصلاح السيارات وهي كاملة وتكرم بعض المصانع بإهداء مورتورات الموديلات الجديدة لدراسة ما فيها من تحسينات وتركيبات حتى تكون معلومات الخريجين على آخر طراز .

والعناية الطبية كاملة من حيث العدد والآلات والأطباء كما أن لديهم كثيراً من الاختصاصيين في فروع الطب الهامة وذلك لأن هذا السجن هو المركز الرئيسى الذى يرسل إليه المرضى من شتى السجون القريبة منه غير أن المستشفى مزدحم ثم هو مظلم (لأن البناء قديم) وتدهش عندما أخبرك أن عنبر الحلاقة وهو كبير جداً أنظف وأبهج من المستشفى . وبهذه المناسبة علبت أن كل نزيل يمكنه حلاقة ذقنه (فى الدكان) مرتين فى الأسبوع ولكن يمكنه اقتناء موس أمان (Safety Razor) إن كان يريد أن يحلق لنفسه أكثر من ذلك .

أما التغذية فجيدة ووافرة وغرفة الطعام متسعة ونظيفة وكل إنسان يمكنه أن يأخذ القدر الذى يريده (على نظام الكافيتريا) ولكن لابد له أن يأكل جميع ما يأخذه . وعلاوة على ذلك يوجد كاتنين يحوى مختلف المأكولات الخفيفة ثم إن أهالى المسجونين يمكنهم إحضار أو إرسال ما لا يزيد عن عشرة أرطال من المأكولات شهرياً . والتدخين مباح ويصرف السجن نزلاته علبتين من السجائر شهرياً ولمن يريد المزيد أن يشتريه من الكاتنين . واللباس هو القميص الأبيض والبنطلون السنجابى أما الملابس الداخلية فكما تشاء . والزيارات أسبوعية كما أن هناك مكتبة كبيرة وفصولاً دراسية لمن يريد زيادة معلوماته .

الكرسى الكهربائى The Electric Chair

كان حضرة مدير السجن هو الذى صحبنى فى جولتنا ولكنى لاحظت أنه عندما وصلنا إلى غرفة خاصة فتح باباً أولاً ثم باباً ثانياً وراء الأول وبعد دخولنا اهتم بخلق البابين بالمفتاح (على خلاف العادة) ووجدتني فى غرفة

طولها ٨ أمتار وعرضها ٥ أمتار وبها مقاعد خشبية مرصوفة كما أنى شاهدت
 فى مقابل المدخل كرسيًا يشبه إلى حد بعيد كرسي طبيب الأسنان من الطراز
 البسيط القديم . وهنا قال المدير (هذا هو الكرسي الكهربائى) ولم أتمالك
 أن ارتجفت فكم زهقت أرواح فى هذه البقعة من المكان ثم مضى حضرته
 يقول إن هذه المقاعد هى لجلوس رجال الصحافة وكذلك يحتم القانون أن
 يحضر تنفيذ الأعدام أربعة أشخاص (على الأقل) من الجمهور ليصبح
 التنفيذ قانونياً .

ولم أقاوم إغراء د الجلوس على الكرسي الكهربائى ، فإن هذه لحظة
 تاريخية وتجربة غير عادية وصدقنى إن قلت لك أنى وجدت الكرسي مريحاً
 جداً !! . وبعد الجلوس يربط الشخص إلى الكرسي بواسطة سيور جلدية ثم
 توضع على رأسه قلنسوة معدنية تغطى وجهه وبعدها يطلق التيار الكهربائى
 القوى فيسرى فى الجسم وتتم الوفاة سريعاً .

ولكنى لم أذهب إلى هذا الحد فى المغامرة ولا حتى إلى حد وضع
 القلنسوة على رأسى !! . وكان فى السجن فى ذلك الوقت المستر د روزنبرج
 وزوجته ، إيتيل ينتظران التنفيذ عليهما كجاسوسين أفشيا الأسرار الذرية
 الأمريكية (وقد نفذ الحكم فى يونيه سنة ١٩٥٣ بعد فشل المحاولات العديدة
 التى بذلت لتخفيف الحكم) . والمحكوم عليه بالإعدام يعلم بالأمر قبل الموعد
 بعدة أيام من إذاعات الراديو ومن زملائه ومن زيارة عائلته له .

وقد حدث أنى وقت زيارتى لمبنى الأمم المتحدة بعد هذه الزيارة ببضعة
 أيام أن سألنى المستر كيشيان Kishishian مراسل وكالة الأنباء العربية عما
 شاهدته فى نيويورك فأخبرته بزياراتى العلمية والثقافية وذكرت له عرضاً من

باب التبسط مسألة جلوسى على الكرسي الكهربائى . ولكنه كصحفى يسعى وراء الأخبار المثيرة أرسل الجريدة المصرى الخبر ونشرته الجريدة تحت عنوان ضخم كالآتى : « يجلس على الكرسي الكهربائى فى سنج سنج ويخرج حياً » وهو كما ترى مثير جداً . ولما أرسل لى عدد الجريدة من مصر واطلعت عليه لم أعلق عليه إلا بقولى « لعمرى كم من أصدقاءى كان يتمنى لو لم أخرج حياً من تلك الغرفة ١١ » .

سجن سان كوينتين

San Quentin Prison

تاريخه

في يولييه عام ١٩٥٢ احتفل سجن سان كوينتين بسان فرنسيسكو بعامه المتوى . ولو أنك طالعت صحف التاريخ التى أحالها القدم إلى صحائف صفراء لوجدت مذكورا عام ١٨٥١ أن محاكم كاليفورنيا كانت ترسل المحكوم عليهم إلى السفينة الأسبانية القديمة يوفيميا (Euphemia) الراسية في خليج سان فرنسيسكو بالقرب من نقطة كوينتوس Quentus Point وكان مثل هذا الحكم ألعن من الحكم بالإعدام إذ يصبح الشخص واحداً من زمرة المنسيين إلى الأبد يشتغل ويشقى طول النهار فإذا ما حل الليل تكسب الجميع في الأعماق كأنهم سردين . وكان هذا القاع قدراً عفناً تنبعث منه الروائح الكريهة القوية حتى أن الحراس أنفسهم كانوا يعافون النزول إليه لتأدية واجباتهم .

يا الله كم تختلف هذه الصورة القائمة عن المباني الفخمة الصحية العظيمة التى هى سجن سان كوينتين ، الحالى فهو يطل على خليج المحيط محاطاً بالحدائق الغناء ، يغمره الضوء والصحة والهواء . أما مساكن الموظفين من الضباط والأطباء والحراس فإنها تغريك بالإقامة في هذه البقعة الجميلة انتجاعاً للبهجة والصحة .

وبهذه المناسبة قالت صحيفة « أخبار الداخل » Inside News وهى الجريدة التى يصدرها النزلاء ، تقول الجدران : « أنا سجن سان كوينتين بكاليفورنيا

أول وأكبر أمثالي من المعاهد الإصلاحية . وقد مضى علىّ في مكاني هذا على الخليج مائة عام وقد شاهدت خلالها تطورات وأحداثاً . فقدما كان نزلائي من المغامرين الباحثين عن الذهب وكانوا يحجزون في سفينة قديمة أو في خيام متناثرة ثم تدرجت إلى إقامة مبانٍ ساهم كل من دخلني في زيادتها وتدعيمها وتجميلها حتى وصلت إلى ما أنا عليه الآن معهد ، ثقافى صناعى شائخ وقد اشترك كل من آوئته بقسطه في البناء وكان « الضيوف » من شتى أطراف الولاية . وكنت في أول الأمر أستعمل العقاب والشدّة في معاملة هؤلاء المغامرين الأشداء الخارجين على القانون فأقهر القوى وكثيراً ما كسرت الضعيف . غير أن الفهم والمعرفة دلتني على عدم ضرورة استعمال العقوبات البدنية فاستعضت عنها بالإرشاد والتعليم وفتح بصائر الناس ولذلك يقصدني الناس من كل أطراف العالم ليدرسوا عن كُتب طريقي في إصلاح وتهذيب كل من يلج أبوابي ، انتهى .

طريقهم

يبلغ عدد النزلاء أكثر من خمسة آلاف من البالغين في كل الأعمار وكل أنواع الجرائم إذ كل من يرتكب جريمة في ولاية كاليفورنيا لابد أن يمر أولاً على هذا السجن والعناية الطبية على أحسن ما يكون كما أن الصناعات متعددة وأهمها صناعة الأثاث والملابس ثم مصنع الجوت (الشهير) وصناعة تقطيع الدخان هذا إلى الزراعة والصناعات الزراعية وتربية الخنازير . يضاف إلى ذلك كل أنواع الدراسات والألعاب الرياضية وأنواع الترفيه الموجودة في السجن الأخرى وربما كان أهم شيء هي الدراسات السيكولوجية التي تساعد على تفهم نفسية السجين وإصلاحه .

وقد نسيت أن أخبرك أنك عند — بل قبل — الباب الخارجى لا بد أن تمر بغرفة تشرف عليها سيدة معها جهاز أشعة يكشف عن كل ما تحمل. وما تخفى تحت الملابس — حتى النقود وأدوات الزينة — فى شئط السيدات تظهر بواسطتها — وهذا احتياط لما عسى أن يخفيه أحد الزوار من أسلحة نارية أو غير نارية أو قطع حديدية أو أى شئ آخر قد يساعد سجيناً على الهرب .



غرفة الإعدام بواسطة الغاز The Lethal Gas Chamber

يرسل كل المحكوم عليهم بالإعدام فى كاليفورنيا إلى هذا السجن إذ أن به غرفة الإعدام بواسطة الغاز . والمكان عبارة عن غرفة متوسطة الحجم بها كرسي للوظفين الذين يتولون العملية وترى فى الوسط غرفة من الزجاج السميك داخلهما كرسيين « مريحين » (Two Easy Chairs) يجلس على أحدهما المحكوم عليه ويربط بسيور جلدية كما توضع على صدره سماعة طبية متصلة بالخارج . وبعد ذلك تغلق هذه الغرفة غلقاً محكماً ويطلق غاز حامض السيانور من خلط محتويات إناءين تحت الكرسي . وتحدث الوفاة فى التو وتؤكد سماعة الطبيب ذلك .

وقد سألت عن سر وجود الكرسي الثانى فقيل لى إنه إذا وجد اثنان محكوم عليهما ينفذ فيهما الإعدام فى وقت واحد . وأظن هذا اقتصاد لا معنى له اللهم إلا إذا كان الغرض أنهما يسليان أو يشجعان بعضهما ! !

لجنة البارول Parole Board

كان من حظى أن حضرت بعد ظهر ذلك اليوم اجتماع لجنة البارول تحت رئاسة المستر جوردون وكنت قابلته وتعرفت إليه وإلى زملائه على

مائدة الغذاء وهكذا أتحت لى فرصة دراسة كيفية بحث حالة المطلوب الإفراج عنهم وطريقة إصدار قراراتها .

الكباب

لعلك تسأل ما معنى كلامك عن الكباب هنا وأنت تتحدث عن سجن سان كوينتين . ولكن اسمع : تكرم المدير وأعد لنا غذاء فخماً فى دار الضيافة الملحقة بالسجن لنقابل حضرات معاونيه وكذا أعضاء لجنة البارول وكان طبّاخه الصينى قد علم فى اليوم السابق ، بزيارتى وأنى مصرى فأراد أن يكرم « الضيف الشرقى » بإعداد الطبق المصرى المفضل وهو الكباب ولكنه صنعه من اللحم البقرى لا من اللحم الضأن . وكان لا بدلى — وهذه هى الظروف — أن أبتلع كل محتويات الطبق — مهما كرهت — وأن لا أكتفى بذلك بل أتقدم بالشكر الشخصى الخالص لحضرة الطباخ الصينى إذ لم أرد أن أكون السبب فى تعكير العلاقات بين حضرة المدير وحضرة الطباخ صاحب النوايا الحسنة .



حلف الكواكب The Stars

علبت أنهم منذ خمس وعشرين عاماً وهم يقيمون حفلة خاصة ليلة عيد رأس السنة يقدمون فيها عشاء خاصاً للنزلاء الذين يقومون باستعراضات فنية وأغاني وموسيقى ورقص يساعدهم متطوعون من كواكب المسرح المشهورين . وقد وجدت البرنامج يبرز كثيراً من أمثاله من الحفلات التى تقام فى الخارج . وإنى أعتقد أن هذه فكرة صائبة جداً لا للترفيه فقط بل لتحسين معنويات النزلاء وتهذيبهم .

ليمان جزيرة الكاتراز

The Alkatraz

إن ليمان جزيرة الكاتراز هو سجن الحكومة الفيدرالية للمحكوم عليهم بأقصى العقوبة Maximum Security ويخيل إليك وأنت تنظر من المدينة إلى هذه الجزيرة وقد قامت عليها الأبنية والأبراج كأنما تنظر إلى قلعة حصينة من الطراز القديم أو قد تكون بارجة حربية راسية في الخليج تهزأ بأمواج المحيط التي تلطمها . وقد نظرت إليها من خلال تلال المدينة وكباريها وقلت لنفسى ترى هل هذه هي توأم د جزيرة الشيطان ، المعروفة وهل كل من فيها محكوم عليه بالنفى والحرمان وتلقى أساليب القرون الوسطى في العذاب والإرهاب . ولما تلقى الدكتور د سوكنس ، مفتش صحة سان فرانسيسكو مدير الليمان يستأذن لى فى الزيارة وشعرت بتلكؤ الجانب الآخر من الخط فى إجابة الطلب كاد يصبح هذا الشك يقيناً .

وأنت إذ تقصدها تركب لنش الحكومة المعد لانتقال الموظفين ويقيّد إسمك عند الاسكله ويسألونك هل تحمل أسلحة أو كلبشات أو ما إليها . ثم عليك أن تمر فى غرفة ذات عمرات متعرجة علمت فيما بعد أن بها مغنطيساً هائلاً لاستكشاف ما قد يحمله الزائر من أسلحة أو ما شابهها .

ثم تركب سيارة تأخذك من الاسكله إلى المبنى نفسه حيث قابلت المدير المستر سووب Mr. Warden E. Swope وهو رجل ظريف حازم قابلنى بكل ترحاب وطاف بى جميع أطراف المكان بنفسه ولا بد لى أن أذكر بهذه المناسبة أنه فى أول طوافنا وجدته يطلب منى أن أتقدمه فقلت له تأدبا بل أنت المقدم فأجابنى : كلا . فالقاعدة هنا أنه إذا شوهده المدير أو أى حارس فى

المقدمة ووراءه أى شخص آخر فهذا دليل على وجود شيء ، غير طيب وغير طبيعي وبذلك يرفض الحارس فتح الباب .

وفي أول المطاف وبقرب الباب شاهدنا غرفة زجاجية (من الزجاج الذى لا يخترقه الرصاص) وبداخلها ضابط وأمامه عدة مفاتيح كهربائية وأزرار . هذه هى الرأس التى تتحكم فى كل الليان فلا يفتح باب أو برج أو أى شيء إلا من هنا حيث الاتصال تام مع جميع أركان الليان . وكذلك التليفونات متصلة بهذه الغرفة . وبمجرد رفع السماعة حتى بدون كلام تدل على حدث ، فى مكان آلة التليفون فيسارع الحراس لاستقصاء الخبر .

واسم الجزيرة مشتق من الاسم الاسباني Isle de Los Alcatrazes (Isle of Pelicans) أى جزيرة البجع نظراً للعدد الوفير من هذه الطيور الذى يحط على الجزيرة وحولها . وقد كانت فى مبدأ الأمر حصناً للدفاع عن الشاطئ ثم استعملت ثكنات للجنود ولما ضاقت بهم رحلوا عنها وكان ذلك فى عام ١٩٣٠ .

وتصادف فى هذا الوقت أن روعت البلاد بمحدث جرائم فظيعة هنا وهناك ، جرائم خطف وجرائم قتل وسرقة و انتهاك يقوم بها مجرمون عتاه يحاولون الهروب من كل سجين يوضعون فيه بل ويحاولون نشر الفتنة ولا يقتصر الأمر على هذا العبث والفساد بل إن وجودهم فى سجن ما كان يعيق تنفيذ برامج الإصلاح والتهديب والارشاد للآخرين الذين يكونون الغالبية الكبرى . وعليه اختيرت جزيرة الكاتراز لهذه الفئة من المجرمين العتاه بل العتاه جداً .

والك أن تسأل : هل النقل إلى هذه الجزيرة معناه النفي الأبدى ؟ كلا إذ يمكن لأى مذنب أرسل إلى الكاتراز لخطورته — يمكنه بالخلق الحسن

والسير الحميد والتهديب وإظهاره أنه رجع عن غيه ثم اندماجه في الدراسة والصناعة — يمكنه بكل هذا أن يتقدم إلى لجنة البارول لتعيد إرساله إلى سجين آخر أقل تشدداً من هذا الليمان . وفي الحق لم يبق فيه الآن أحد من العتاه الذين أرسلوا إليه في مبدأ إنشائه رغماً من أن بعضهم كان محكوماً عليه بالمؤبد . وبهذه المناسبة أذكر أنه من المحال الهرب من هذا الليمان ولم يتم أحد بالمحاولة إلا مرتين : غرق الأول وقبض على الثاني .

الغرف

بالليمان ٣٣٦ غرفة سعة كل منها ٥ × ٩ أقدام وبها سرير حائطي ومرتبة وأغطية وترايزة ومغسل ومرحاض ورف للكتب . أما الباب فن أسياخ الحديد المتين ويغلق الباب بواسطة جهاز أتوماتيكي في طرف العنبر .

الصناعات

تشمل الصناعات عمل شباك الصيد والفرش والقفازات والقماش وتفنيط وخطط الدخان والمقشات وورشة أثاث ولا يجبر أحد على الشغل في المصانع ولكن كل سجين يجد من صالحه أن يشتغل أولاً ليمضي الوقت وثانياً ليكسب مالا ينفعه عند الإفراج عنه .

وقت الفراغ

هناك ترتيبات لإشغال أوقات الفراغ منعاً للبلل فهناك أوركسترا وحفلات أسبوعية وموسمية ثم مكتبة بها ٩٠٠٠ كتاب في مختلف الفنون ومن المدهش أنهم هنا يقرأون أكثر من غيرهم (في الخارج) فقد وجد أن

كل شخص يستعير في المتوسط ٧٥ - ٨٠ كتاباً في العام ١١ وأغرب من هذا أن تعلم أن كتب الفلاسفة مثل « كانت » و « شوبنهاور » و « هيجل » هي أكثر الكتب طلباً . كما أن الكثيرين يدرسون الطبيعيات والرياضيات العالية . والمكتبة مزودة بالمجلات العلمية والفكاهية والسياسية .

ولما كان بعضهم يرغب في الاستزادة من العلم فقد رتبت جامعة كاليفورنيا لهؤلاء دراسات بالمراسلة في شتى العلوم وقد رأيت الكثيرين مشغولين برسم لوحات جميلة وعلمت أن بعضها عرض في المعارض الفنية واستحق الجائزة . أما الذين لهم ميول موسيقية فتقدم لهم الآلات التي يحبونها . هذا إلى ممارستهم كل الألعاب الرياضية .

وقد قلت لك أن « سكان » هذا الليمان من الغتاه الأشداء وسأذكر لك حالة أحد الذين قابلتهم لتعلم كم هم قساة ولنسمه جاك Jack the Killer .

في سن ١٩ قتل عامل بار لأنه نافسه في حب عاهرة فحكم عليه بالسجن ١٢ عاماً في ليمان « جزيرة ماكنيل » وهناك طعن زميلاً له بسكين فحكم عليه بستة شهور من أجل ذلك ونقل إلى ليمان ليفيورث (Laevnworth Penitentiary) حيث النظام أقسى من « ماكنيل » : ولكن تغلبت عليه ميوله الإجرامية القتالة فهاجم ضابطاً في غرفة الطعام وقتله أمام ١٢٠٠ من المسجونين زملائه وحكم عليه بالإعدام ولكن رئيس الجمهورية عدل الحكم إلى السجن المؤبد (مدى الحياة) وكان حضرته يفاخر بأنه صنع ٣٥ خنجراً وأنه طعن زميلاً له ولم يعلم بذلك أحد . ثم اكتشف أنه بسبيل تدير مؤامرة واسعة النطاق للهرب بعد قتل الحراس وأن ميوله الإجرامية لاحد لها فنقل إلى الكاتراز حيث قابلته ورأيت أنه يشتغل بسرعة ومهارة في نسج الشباك . أما مجموع

الاحكام الصادرة عليه فتبلغ مائة وسبعين عام ؟ ؟

* * *

وبعض النزلاء محكوم عليه بثلاثمائة سنة وقد يبدو هذا غريباً للقارىء المصرى الذى يعرف أن أقصى العقوبة هى ٢٥ عاما ولكن هنا النظام يختلف . فمثلا لو سرق شخص سيارة وقصد بها إلى بنك ليسرق مالا ثم ترتب على ذلك قتل الصراف وبعض المشاهدين — لو تم ذلك لحكم عليه عن كل جريمة على حدة وأضيفت جميع المدد إلى بعضها بدلا من أن يقتصر على الحكم عليه فى جريمة القتل فقط .

وهذا فى اعتقادى عامل مجد فى مقاومة الجريمة خصوصا إذا لاحظنا اتساع البلاد الشاسعة وتفرق المزارع بعضها عن بعضها فكان لا بد من التشديد فى الضرب على أيدي العابثين بالأمن .

ليمان أتلاتنا

Atlanta Penitentiary

عند ما كنت في « واشنطن » ، أجهز برنامج زيارتي ألح على الجميع بزيارة مدينة « أتلاتنا » ، لأشاهد معهد الأمراض المعدية ثم لأزور الليمان لا كمعهد إصلاحى للسجناء فحسب بل لأشاهد التجارب العلمية التي يجريها على المتطوعين في الأدوية المضادة للملاريا وفي معالجة الدوسنتاريا الأميبية وفي المباحث الخاصة بالالتهابات الكبدية . ويتقدم المتطوعون (من المدنيين) لإجراء التجارب عليهم عن طيب خاطر وكأنهم يريدون أن يكفروا بهذا — ولو بعض الشيء — عما اقترفوه في حق المجتمع . ثم كآني بهم يستشعرون أن اختيارهم لهذه المهمة الإنسانية تحمل في طياتها أنهم لا يزالون ذا نفع للعالم والإنسانية .

وليمن « أتلاتنا » واحد ومن أربع وعشرين سجناً تتبع الحكومة المركزية وتأخذ على عاتقها المهمة الصعبة العويصة — مهمة تقويم هؤلاء الأشخاص الذين انحرفوا فاحترفوا الفساد والهدم بدلا من احترام الإصلاح والبناء .

ولا يمكننا القول بأن ليمن « أتلاتنا » — أو غيره — ينجح نجاحاً تاماً أو أن كل من يغادر جدرانها الغبراء لا يرجع إليها مرة بل مرات . ولكن رغما عن ذلك تبذل المحاولات المتكررة لإصلاحهم مع استعمال كل مادل عليه العلم الحديث من وسائل بدون أن نفقد الأمل قط .

نظام السجن

يوضع المذنب مدة ثلاثين يوماً تحت الملاحظة حيث تفحصه لجنة خاصة وتدرس تاريخه وعائلته وحالته الاجتماعية والأسباب أو الطوارئ التي دفعته للجريمة كما تدرس استعداداته الفنى والصناعى . ومن مجموع هذه المعلومات تقترح الصناعة التي يختار لها والمعاملة الأصلح له .

والصناعات عديدة وتشبه مشيلاتها في السجنون الأخرى . إلا أنى يجب أن أنه بصناعة النسيج فهي مزدهرة ومتقدمة جداً هنا .

ولا بد لي أن أنه أيضاً بنظام الدراسة والتعليم فقد بهرنى أن وجدتني وكأنى فى مدرسة نظامية إبتدائية وعالية تعطى فيها الدروس فى شتى العلوم وتقام الامتحانات وتصحح الأوراق الخ الخ... كما أنى وجدت ضالة المحاضرات الكبرى كأنها قاعة فى كلية وعلمت أن كثيراً من الأدباء والعلماء والفنانين يأتون متطوعين لإلقاء المحاضرات هنا وقد تبرع بعضهم بجوائز وميداليات ومنح دراسية Fellowships تعطى للمتفوقين . ومن أشهرهم سناء فى هذا الباب الأدبية مرغريت ميشيل مؤلفة قصة (ذهب مع الريح) فقد أهدتهم عشرة جوائز باسمها .

وتضم مكتبة السجن عشرين ألف مجلد فى شتى العلوم والصناعات والفنون .

ويجب أن أنه بتقديم دراسة علوم الكهرباء electronics فى برنامج يستغرق عامين والناجحون فيه يستخدمون فى الخارج بمرتبات تتراوح بين ٤٠ و ٨٠ دولاراً فى الأسبوع .

العناية الطبية

أراني الدكتور جيني Dr. Jenny وهو شخصية محبوبة جداً ويرأس نخبة من الأطباء — أراني العمل المنظم الجليل الذي يقومون به في تحسين صحة النزلاء مستعنيين — أحياناً — ببعض الأخصائيين من الخارج وخصوصاً في جراحة التجميل — نعم هم يصححون العاهات الجثائية كلها وجدت وكلها أمكن ذلك على اعتبار أن هذه العيوب والتشوهات كثيراً ما تكون السبب الأول في انحراف الشخص نحو الإجرام .

الإفراج تحت شرط Release under Parole

من الطبيعي أن يتطلع كل مسجون إلى يوم الإفراج عنه ولذلك فهو يعد الأيام حتى يصبح صالحاً للشول بين يدي لجنة البارول Parole Board وهذه تجتمع مرة كل ثلاث شهور لبحث حالة المسجونين الذين ساروا سيرة حميدة والذين يطلبون بحث أمرهم . ولا بد أن يمضي السجين ثلث المدة المحكوم عليه بها على الأقل — على أن لا يقل ذلك عن سنة واحدة — قبل أن يكون صالحاً للشول أمام اللجنة . أما المحكوم عليه مؤبداً فلا يتقدم إليها إلا بعد تمضيته خمسة عشر عاماً على الأقل . واشتراطات التقدم للجنة بالإفراج والتجاوز عن بقية الحكم اشتراطات كثيرة وقاسية ولذلك لا يستكملها إلا أقل من ثلث المجموع . غير أن الكثيرين يمكنهم بحسن السير والسلوك واتباع النظام والتقدم في التعليم والصناعة — يمكنهم أن يقصروا مدة سجنهم إلى درجة محسوسة — والذين يفرج عنهم تحت نظام البارول يبقون تحت مراقبة ضابط البارول فإذا أدخلوا بالاشتراطات المأخوذة عليهم أعيدوا إلى السجن حتى ولم يرتكبوا جريمة جديدة .

الإفراج النهائي

كلما اقترب موعد الإفراج النهائي كلما شعر المذنب أنه مقبل على مخاطرة جديدة — نعم مخاطرة — فسوف يتعرض إلى تغيير كامل جديد في حياته إذ هو في خلال سنوات سجنه قد اعتاد حياة نظامية رتيبة يصحو في وقت خاص ويقوم بعمله وصناعته وكل أوجه نشاطه على نظام خاص وأوقات محدودة يلبس ملابساً واحداً وياً كل أكل لا خيار له فيه وجلساؤه هم زملاؤه في السجن ثم هو لم يقابل الجنس الآخر كل هذه الأعوام . وكل هذه العوامل تجعله يشعر أنه سوف يلاقى هموماً ومشاكل كثيرة لا يدري نتائجها . ثم هو لا يدري كيف سيلقاه أصدقاؤه القدامى وهل سيقاطعه الناس — وهل كانت زوجته مخلصه له أمينة لعهد أثناء سجنه وكيف سينظر إليه أولاده ثم هل يخبر مخدمه الجديد بتاريخ حياته وجريمته ؟ كل هذه وغيرها مشاكل تثقل كاهله .

ولذا عمدوا في أتلانتا إلى تأليف هيئة (ما قبل الإفراج) وخير أفعالها إذ يقابل أعضاءهما السجن عدة مرات خلال الستة شهور السابقة لتاريخ الإفراج عنه ويساعدونه في حل مشاكله وأخصها وأهمها إيجاد عمل جديد له إذ أن هذا وحده كفيل بإعطائه الثقة في نفسه وإشعاره أنه يمكنه تكسب عيشه على أساس كفاءته الشخصية وحدها . وتدبر اللجنة عملاً للبفرج عنهم في المؤسسات الكبيرة والخاصة على السواء إذ أن لها اتصالات كثيرة بهذه الهيئات . كما أن مكاتب الترخيم التابعة للحكومة تساعد على مساعدة كبيرة .

ماذا يأكلون وأين؟؟

قال لى زميلي فى إحدى السفريات — وكان أجنبياً — لا أظن أن هذه البلاد (يقصد الولايات المتحدة) سوف تنقلب شيوعية فى يوم من الأيام وعلل رأيه بكثرة الطعام الموجود فى كل مكان وفى الحق إن المسافر ليدش لكثرة عدد المطاعم التى يقابلها أينما يذهب وأغرب من ذلك أن يجدها ملاءى بالطاعمين طول النهار والجزء الأكبر من الليل .

وقد نصحنى الناصحون — قبل سفرى — أن أتناول طعامى فى أحد مخازن الأدوية فهى أرخص من غيرها ثم إنك لا تدفع « بقشيشاً » . وإذا دخلت أحد هذه المخازن وجدت شيئاً أشبه بالبار يقدمون لك منه ما تشتهى من طعام (خفيف) أو شراب برى . يطبخ أمامك فى مدى ٥ — ١٠ دقائق ويمكنك التحدث مع العاملة وإن كانت غير مشغولة فإنها تسرد عليك آخر الأخبار وتذلك على القطع الموسيقية الجديدة وعلى أفلام السينما وبذا تستمتع بشئ من الدردشة علاوة على الأكل . وقد نشأت فكرة تقديم الطعام فى مخازن الأدوية عند ما (وقف الحال فى البيع والشراء) عقب الأزمة المالية الأخيرة ووجد الناس أنفسهم مضطرين للأكل بدلاً من التداوى أى أن يكتفوا بمعالجة معدتهم وإهمال الأعضاء الأخرى . ولما انقضت الأزمة فضل أصحاب محال بيع الأدوية الإبقاء على المطاعم إذ وجدوا أنك بعد تناول فيجنا من القهوة مثلاً تتذكر أنك فى حاجة إلى أسيرين أو معجون أسنان أو أدوات الزينة (للسيدات) أو لعبة لأطفالك الخ . . فنشترها ، ولذا فيمخازن الدواء تكسب من وراء هذه (الإضافيات) أكثر مما تكسبه من وراء بيع الدواء نفسه .

وبطبيعة الحال فإن الغذاء الذى يقدم محدود جداً فى النوع والكمية وربما كان أهمه ما يسمى هامبرجر Hamburger وهو يشبه الكفتة بالبصل وعلى شكل الطعمية الكبيرة الحجم ولكنى زهدت فيه بعد تناوله يومين متتاليين فقصدت إلى النوع الثانى وهو :

٢ — الكافيتيريا Cafeteria — وهنا تبدأ بأخذ صينية من البلاستيك وفوطة ورق والشوكة والسكين والملقعة ثم تمر على منضدة رصت عليها كل ما تشتهييه من الأطعمة ابتداء من عصير الفاكهة أو الطماطم (وهى تؤخذ يومياً على الأقل مرة واحدة) ثم السلاطة والمأكولات المتنوعة من لحوم وطيور وأسماك وخضروات وحلويات مطبوخة وكلها موضوعة إما فى صحنون جاهزة وإما توضع لك كميتك فى صحن . وعندما تنتهى تعطيك العاملة ورقة بها مجموع ثمن ما أخذت لتدفعه عند خروجك بعد انتهائك من الطعام وفى بعض هذه المحال تكتب أثمان كل طبق عليه وبذا يمكنك معرفة الثمن قبل الطلب فلا تتورط فى شئ . والكافيتيريا — خصوصاً الكبيرة — تقدم طعاماً ممتازاً بكميات وافرة وأثمان معقولة فضلاً عن أنك لا تدفع بقشيشاً وهذا مهم عند ما تكون دولاراتك محدودة العدد .

والغريب أنك تجد جميع هذه المحال تصنع نفس الطعام بل حتى ترصه بنفس الترتيب فى جميع المدن التى زرتها . وقد يظن البعض أن هذا يجعل الأكل ممائلاً ومملًا ولكنى وجدت أن طريقة الطبخ والطعم تختلف فى مختلف المحلات وهناك مسألة مهمة تشفع لهذا التماثل وهو أن غالبية الأمريكان يأكلون ولو مرة واحدة يومياً خارج منازلهم فكان لابد أن يكون هناك تماثل فى الأصناف حتى يكون الشخص متأكداً من الصنف الذى سوف يأق له .

ومعظم المصانع والمعاهد الكبرى لها كافيتيريا خاصة بموظفيها حتى لا يضطرون للخروج طلباً للطعام بل يتناولونه داخل المكان .

٣ - المطاعم : ولا يمكنني أن أصف لك أنواعها فهي عديدة وتناسب كل جيب : هناك المتواضعة وهناك الفخمة الضخمة المريحة للجسم والمتعبة للجيب . وفي كل الأحوال يبدأ الطعام بتناول شراب إما برىء وإما غير ذلك ثم تطلب أصناف الطعام التي تريدها .

وقد وصفت لك بعضاً مما شاهدته وأكلت فيه في ولاية كاليفورنيا وأذكر لك الآن أن مطاعم نيويورك أضخم وأفخم وقد لاحظت ظاهرة غريبة هناك - تلك هي أن مطاعم نيويورك الفخمة مظلمة نهاراً وتضاء بالشموع وهي مفروشة بالسجاد السميك والأصوات هامسة . وكل شيء يوحى بأنهم يريدون إراحة أعصابك من هرج ومرج المدينة الصاخبة حتى تستمتع بطعامك .

ولا داعي لأن أصف لك الغذاء في والدورف استوريا

Waldorf Astoria

ولا في سافوي بلازا Savoy Plaza وأصدقك القول أني لم أدفع شيئاً في كليهما - لأنني كنت مدعوأ - ولكن لا بد أن الحساب كان ضخماً إذا حكمنا بلذة الطعام وطريقة صنعه وتقديمه وكذلك بالخدمة الممتازة فضلاً عن فخامة المكان التي لا نظير لها .

وهناك ظاهرة غريبة هي أن جميع المطاعم تقريباً تقدم لك الفواكه إما على شكل عصير أو سلاطه أو مطبوخة ولا تقدمها طازجة - حتى في كاليفورنيا وفلوريدا يفعلون ذلك رغماً عن أنها مكان إنتاج الفواكه العظيمة المتنوعة ولكنك تجد الفواكه الطازجة الجميلة المنظر الكبيرة الحجم في أماكن

البقالة المنتشرة هنا وهناك . ولم أفهم سر ذلك إلا أن تكون المطبوخة أو المعصورة أسهل في الأكل وفي التقديم ولكنى لم أتمكن من إقناع نفسى بمجاراتهم في ذلك فكنت أشتري الفواكه الطازجة وأكلها في غرفتى بالفندق .

في مدن أوروبا تجد مطاعم تقدم لك أطعمة أجنبية أى تختلف عن طعام البلد الذى أنت فيه . ومثل هذه المطاعم تكون أعجوبة وقليلة جداً . أما في أمريكا فأنك تجد مطاعم تقدم لك طعاما فرنسيا أو إيطاليا أو يونايا أو إسبانيا... الخ ، حتى البلاد الأجنبية الصغيرة لها مطاعمها . وهذه المطاعم موجودة بكثرة في كل البلدان الأمريكية . وهو أمر لا يصعب فهمه إذا تذكرنا أن هناك مهاجرين كثيرين يملون بين الحين والحين إلى تذوق طعام وطنهم الأصلي .

فاذا شعرت بالحنين يا صديق المصرى إلى الأطعمة الشرقية وكنت في نيويورك فاقصد إلى مطعم « قسمت Kismet » وهو تركى وهناك تجد الكباب وعيش السراى . وفي واشنطن أأخذنى صديق « آدمسون » إلى بغداد الجديدة New Bagdad وتديره عائلة فلسطينية ويرتاده كثير من الأمريكان الذين خدموا في الشرق الأوسط ، وقد ذكرت لك مطعم « عمر بن الحيام » في سان فرانسيسكو وهو من مطاعم الدرجة الأولى ولكنى لم أجد مطعما مصرية بكل معنى الكلمة وليت أحدهم يفكر في ذلك وإنى أؤكد له أنه سوف يلتقي نجاحا لو قدم الطعام المصرى وحتى الطعمية والفول المدمس ستقابل مقابلة حسنة .

وكل مطعم — كبر أو صغر — له علب كبريت خاصة عليها اسمه

وعنوانه وتليفونه يقدمها لزبائنه ويتفننون في صنعها وزخرفتها وقد جمعت منها مجموعة كبيرة أعز بها لأنها تذكرني بالأمكنة التي قضيت بها أوقاتا سعيدة .

والأمريكي يأكل عادة أكثر من اللازم فضلا عن أن المأكولات هناك مغذية جداً والمدهش أنك لا تجدهم أسمن مما هم عليهم خصوصاً السيدات وأعتقد أن السبب في ذلك هو أنهم يشتغلون كثيراً ويمارسون الرياضة باستمرار فضلاً عن الطقس . ولكن هذا لم يمنع الصحة من أن يحسد كل إنسان من مأكله ويتبع رجياً خاصاً في غذائه وتجد الجرائد تنشر كشوفاً بالأغذية المناسبة لكل يوم من أيام الأسبوع وتذكر أسماء المطاعم التي تقدم هذه الوجبات التي تساعد على التخسيس .

وما دمتنا في صدد ذكر أمكنة الغذاء لا بد لي أن أذكر لك كلمة عن الموتل Motel وهي عبارة عن مساكن بكل منها غرفتان أو ثلاثة أو أربعة في شكل مجموعات مشيدة بجوار الطرق العامة وعند ما تصل إليها تدخل بسيارتك وحدك أو مع عائلتك فتجد المكان معداً لإقامتك ونومك وتجد ملحقاً بالمجموعة مطعماً تطلب منه كل ما تشاء . وتقيم في هذا المنزل ما تشاء من الزمن وتتركه عندما تشاء . وبذلك لا تكون ملزماً بحمل الهم في حجز مكان بفندق قبل وصولك بأيام . وهذا النظام جعل السفر بالسيارة متعة حقاً وحل مشكلة بل مشكلات عديدة فوق أنه أرخص من الفنادق المماثلة وهذا ما حدا بإقامة عدة مجموعات مماثلة في مدينة ميامي وشاطئ ميامي لمقاومة الغلاء الفاحش هناك وما أمتع أن تعرف أنك في سفرك يمكنك أن « تقف بسيارتك » « Drive-in » فتجد مكاناً معداً لمطعمك ومبيتك .

وما دمنا بصدد ذكر نظام « تقف بسيارتك » فالأخبرك بأن هذا النظام آخذ في الانتشار فهناك مطاعم وسينات وتياترات وكلها تدخل بسيارتك وتقف في أمكنة خاصة وتشاهد العرض وتسمع الكلام بواسطة ميكروفون أو يقدم لك الطعام في صينية فلا داعي للانتقال من السيارة . ثم هناك في السينات حديقة صغيرة بها ألعاب تترك فيها أطفالك يتلهون حتى ينتهى العرض فتأخذهم معك ثانية . وللأسف لم يكن لى حظ الحضور فى أحدها لأنها تشتغل فى الربيع والصيف بينما كانت رحلتى فى الشتاء . وأظنك تذكر أنى أخبرتك بالبنك الموجود بشيكاغو الذى تذهب بسيارتك حتى شباك الصراف وتصرف الشيك وتأخذ النقود بدون مغادرة السيارة .

وما دمنا بصدد الأكل ، فلا بد من ذكر وسائل الطبخ فى المنزل الأمريكى الحديث فقد دعت إلى كثير من البيوت وكنت أجد أن سيدة المنزل تضع المأكولات فى الفرن الكهربائى وما نكاد ننتهى من تناول السكوكيتل أو الشراب حتى يدق الجرس معلناً نضج الطعام . وبعد العشاء توضع الأطباق فى الغسالة الكهربائية الخاصة ثم تقفل ويدار التيار فتغسل وتجفف دون أن يتضايق أحد . وكانت هذه نعمة للأزواج أكثر منها للزوجات لأنهم هم الذين كان يطلب منهم غسل الأطباق مادامت السيدة هى التى قامت بالطبخ . وبهذه المناسبة أذكر كرتوناً فى إحدى الجرائد لسيدة ضخمة قوية تمسك فى يديها قفاز المصارعة وتقول لزوجها الرفيع المسكين : فلنتباكس لنرى أينما سيقوم بغسل الأطباق !!

ثم هناك جهاز كهربائى آخر توضع فيه بقايا الطعام بما فيها العظام

وكذلك كناسة المنزل ويسلط التيار الكهربائي فيفتت كل ذلك ويخلطه بالماء ويحيله إلى البالوعات .

هذا إلى جانب الثلاجة الكهربائية (الفريجيدير) المعروف ثم جهاز التبريد حيث يمكن ترك اللحوم والطيور مثلجة مجمدة ستة شهور كاملة .

بعض النواحي الطبية لرحلتي في أمريكا

في خلال الأربع شهور التي قضيتها متنقلاً في بلاد الولايات المتحدة زرت معاهد طبية شتى وقابلت كثيراً من فحول الطب المبرزين في فنهم وأتيحت لي الفرصة لأتناقش معهم في المواضيع الطبية والصحية التي تهم الطرفين لفائدة البلدين .

وليس غرضي في هذه العجالة أن أشرح ما وقفت عليه وما شاهدته ولا أعتقد أن هذا الكتاب هو الموضوع الصحيح لذلك كما أنني لا أزمع أن أصف شيئاً مما له مثيل في مصرنا . وسأقصر كلامي على تلك المعاهد وهاتيك الطرق الطبية التي لا نراها في مصر والتي أرجو أن نراها في بلدنا وفي وقت قريب .



المايوكلينيك The Mayo Clinic

لا أظن أن هناك طبيباً أجنبياً تناح له زيارة أمريكا دون أن يضع على رأس برنامجه زيارة هذه المؤسسة العظيمة التي يعرفها ويسمع عنها الكثير حتى يرى — رأى العين — طريقتهم في الفحص والتشخيص والعلاج وحتى يقابل أساطين الطب القائمين عليها ويعترف شيئاً من علمهم .

وتاريخها يرجع إلى أواخر القرن الماضي حينما اختار الدكتور مايو (الأب) هذه المدينة الشمالية المنعزلة مقراً لعمله الطبي وما لبث أن ذاع صيته فقصده العامة والخاصة ثم اشترك معه ولدها الطبيبان . وكان الغرض الأصلي

— ولا يزال — مبنياً على أساس العناية بالمريض بتشخيص مرضه تشخيصاً علمياً صحيحاً ثم علاجه في المستشفيات التي ألحقت بالمعهد الأصلي . فلم يكن الكسب المادى أبداً ذا شأن في ذلك بل إن صافي الربح يحول إلى إدخال تحسينات ومبان جديدة على المعهد الأصلي . ولم يحل موت الأخوين في عام ١٩٤٧ دون استمرار المؤسسة لأنها كانت قد حولت إلى مؤسسة عامة قبل وفاتهما .

وتستمد مدينة روتشستر Rochester شهرتها من وجود الكلينيك بها بل إن سكانها الثلاثين ألف يشغلون جميعاً في خدمة هذه المؤسسة كل حسب مؤهلاته في الحياة كما أن عدد من يقصدونها من المرضى يربو على المائة وخمسين ألف شخص سنوياً آتين إليها من جميع بقاع العالم لا من أمريكا وحدها . والمؤسسة تستجيب لهم جميعاً فهي لم ترفض في تاريخها الطويل المجيد مريضاً واحداً لأنه عجز عن دفع أجر فحصه أو علاجه بل يدفع كل مريض حسب مقدرته ولذا لا تجد رسوماً مقررة لأي نوع من الفحص بل تقدر هذه في النهاية حسب مركز المريض في الحياة ومقدرته على الدفع .

وقد وصلت مساء الثامن عشر من ديسمبر على أن أمكث بها أربعة أيام ولكن كان هناك الشيء الكثير للمشاهدة كما أني لقيت من السادة الأفاضل القائمين على شئون المؤسسة من الكرم والضيافة والعلم والمجاملة ما جعلني أطيل الأمد إلى أربعة عشر يوماً .

وكان صديق المستر كومندا Mr. Komenda (مندوب شركة بارك ودافيس) قد رتب لي أن أفحص طبيباً وكان غرضي الأساسي من ذلك أن أرى طريقة الفحص عن طريق التجربة الشخصية ولو أني في الوقت نفسه رحبت بأن يتم فحصي فحصاً طبياً شاملاً في هذا المعهد العظيم .

والبناء مكون من عشرين طابقا بنيت على أساس تسهيل الفحص الجماعي وهو في الواقع عبارة عن مبنيين الأصغر منهما به مكاتب الإدارة وبعض المعامل والآخر (الأكبر) به غرف الفحص والانتظار والمعامل الخ . .

وهناك طريقة عجبية وسريعة تتيح للطبيب الكشف أن يطلب التقارير الخاصة بأى مريض (قديماً أو حديثاً) فترسل له من الأرشيف على وجه السرعة بواسطة أنايب تنقل الرسائل إلى جميع الأدوار بواسطة ضغط الهواء . ومدخل الدار عليه بابان من البرونز مكتوب عليهما أوجه نشاط الإنسان الستة وهى : المنزل . والنشاط التطبيقي والفنون الجميلة والرياضيات والبناء والزراعة . كما أن أبواب المصاعد العديدة تبين فروع فن الشفاء المختلفة وهى : التشخيص والأشعة المجهولة والفارماكولوجيا (الصيدلة) والمعامل والعلوم والفنون الطبية .

وفى البرج الموجود أعلا البناء الرئيسى توجد مجموعة من الأجراس عددها ٢٣ جرساً زتها ٧٥٠٠ رطلا من النحاس وهبها الأخوان الدكتوران وليم وشارل مايو لضحايا الحرب من الجنود لتقرع فى المناسبات الوطنية . وعند زيارتى كانت هناك بناية جديدة من عشر طوابق فى طريق الانتهاء من بنائها ليتسع بها المكان حتى يمكن استيعاب الزيادة فى عدد المرضى .

وترى فى البناء الأصيل الفروع الآتية :

الطابق الأول : فحص المعدة وفحص القلب بالرسام الكهربائى وكذلك التمثيل الغذائى .

الطابق الثانى : الأرشيف وحفظ المستندات ومكتب الاستعلامات والاستقبال .

الطابق الثالث : الفحص بالأشعة ومكاتب الجراحين .

د الرابع : فحص الأسنان وفحص العظام .

د الخامس : فحص الأطفال وكذلك قسم فحص الأمعاء وقسم التشريح .

الطابق السادس : قسم الأذن والأنف والحنجرة . وأقسام الروماتيزم وجراحة التجميل .

الطابق السابع : أمراض النساء وأمراض الجلد .

د الثامن : قسم التشخيص العام .

د ٩ — ١٠ — ١١ : قسم التشخيص العام .

د الثالث عشر : مخزن .

د الرابع عشر : غرفة الاجتماع التذكارية .

د الخامس عشر : اجتماع الأساتذة والقائمين بشئون المؤسسة .

د السادس والسابع عشر : قسم الغدد الصماء .

أما الملحق ففيه الأقسام الآتية :

الطابق الأول : المعامل الكلينيكية والخدمة العامة والأجزخانة وكذلك قسم استلام عينات البول الصباحية .

الطابق الثاني : الإدارة والاستقبال والموظفون ثم التسجيل والاستراحة للمرضى .

الطابق الثالث : معامل أكلينيكية .

د الرابع : لوحة التليفونات ومعامل الكيمياء الحيوية .

الطابق الخامس : البكتريولوجيا (علم الجراثيم) .

د السادس : بقية المعامل .

وأظن أن أحسن طريقة لشرح كيفية الفحص أن أخبرك عما حدث ،
لى يوما بيوم :

فى الساعة الثامنة من صباح الجمعة ١٩ ديسمبر قصدت إلى المكتب
١١ شمال أى المكتب الواقع فى الجهة الشمالية من الطابق الحادى عشر
وهناك وجدت مطروفا معدأ لى مكتوب عليه الآتى :

مايو كلينيك — روتشستر (ولاية مينيسوتا)

إن نمرتلك المسجلة هى ٩٩٩ — ٨٩٥ — ١

وعليك كتابة هذه النمرة بجانب اسمك كلها خاطبت الكليينيك مستقبلا .
واسمك المسجل عندنا هو :

١٢ — ١٩ — ٥٢

(ويلاحظ أنهم فى أمريكا يكتبون الشهر ثم اليوم ثم السنة)

زكى خالد طبيب

هيلوبوليس — القاهرة — مصر

المكتب ١١ شمال — الطريق الحادى عشر

أطباءوك الاستشاريون هم :

ه . ر . هارتمان — ه . ف . وير

وكذلك :

مورلك بست

جامبل	كومفورت	ثم هريزنجيا
جروس	ولليجر	وبارتولومى
فولك	كين	

وبعد جلوسى برهة فى صالة الانتظار طلبت إلى غرفة الفحص حيث حضر أحد الأطباء وبعد كتابة إسمى وعمرى وتاريخى المرضى فحصنى إخصاً باطنياً دقيقاً وكتب ما وجدته وبعدها حضر آخر وأعاد الفحص ثم خرجت إلى قاعة الانتظار . وبعد نصف ساعة تمت استشارتهم وسلمونى عدة مظاهرات مكتوب على كل منها الفحص المطلوب عمله وطريقة التحضير له ويوم وساعة القيام به ، هكذا :

- ١ - يوم الجمعة (نفس اليوم) الساعة ١٢½ تعداد كريات الدم البيضاء .
- الساعة ٢ مساء عمل أشعة على سلسلة الظهر (وكنت قد طلبتها لأرى حالة الكسر الذى حدث لى سنة ١٩٤٦ نتيجة سقوطى من على حصان) .
- الساعة ٣ رسام القلب الكهربائى .

وأنت ما عليك فى كل حالة إلا أن تذهب إلى الطابق والمكتب المكتوب على كل ظرف وتقدمه للوظفين فتجدهم فى انتظارك ويتم كل شئ فى يسر وسهولة وبسرعة عجيبة .

- ٢ - يوم السبت ٢٠ ديسمبر : الساعة ٦ صباحاً أخذ عينة بول الصباح فى وعاء (من الورق المقوى) .

(١) وضعه فى الدولاب الخاص الموجود بالمبنى الملحق ، Annexه ثم أذهب إلى درج ٣ لأخذ البول الباقى (إن وجد) بالقسرة .

(ب) وأقصد قسم الأشعة لأخذ أربع صور للجهاز البولى اثنتين قبل الحقنة الوريدية واثنين بعدها .

(ج) بعدها ذهبت إلى قسم الدم حيث أخذت عينات لتقدير البولينا والسكر والواسرمان فى الدم .

(د) بعدها قصدت درج ف غرفة ١٥٣ حيث أعطونى جرعة من الملح الانجلىزى حركت الأمعاء سريعاً فأخذوا العينات لفحصها .
وبذا انتهى اليوم وكنت فى أشد التعب .

٣ - الاثنين ١٢/٢٢

(١) جرعة أخرى من الملح لإعادة فحص محتويات الأمعاء .

(٢) درج ٦ حيث فحص الدكتور براون الأنف وطلب عمل أشعة على الجيوب الأنفية وتم ذلك سريعاً وأرسلوا له النتيجة السلبية بعد ١٥ دقيقة فقط .

(٣) قابلت دكتور جونسون مدير المؤسسة لأنه كان غائباً يوم وصولى .

(٤) بعد الظهر قابلت الدكتور تومسون الشهير فى المجارى البولية (والمعروف بمصر) وبحث معى نتائج فحص بولى وجهازه وأشعته .

(٥) فى المساء تناولت عشاء خفيفاً جداً (حسب الأمر) ثم ابتلعت ستة أقراص من مادة خاصة لفحص الكبد (كيس الصفراء) .

٤ - الثلاثاء ١٢/٢٣

(١) الساعة ٦ صباحاً حقنة شرجية بالماء ثم ذهبت إلى قسم ٣ لعمل الصورة الأولى على كيس الصفراء .

(٢) قصدت قسم العيون لفحص قاع العين وعصب المقلة والشبكية ثم قياس النظر .

(٣) الساعة ١٠ صباحاً الأشعة الثانية على الصفراء وفي منتصف الساعة الأولى كوباً من الدواء تبعها الأشعة الثالثة .

ورغمًا عن شدة إجهادى فقد قابلت الدكتور الن Allen أخصائى الضغط ومعه آخرون وبحثنا هذا الموضوع وكذا موضوع مرض البول السكرى وفي المساء بدلا من تناول عشاء شبيهاً يعوض على ما لاقيته قضت التعليقات بتناول ٦٠ جراماً من زيت الخروع استعداداً للغد .

٥ - الأربعاء ١٢/٢٤

أى صباح هذا وقد سهرت الليل بطوله من جراء زيت الخروع مغصه وإسهاله ١١ نهايته ذهببت الساعة ٧ صباحاً حيث قابلت الدكتور جود Good الذى أعطانى حقنة شرجية من البرموت ثم فحص القولون باليد وبعدها أخذ ثلاث صور بالأشعة فى أوضاع مختلفة ثم تكرم فأخبرنى أنى يمكننى أن أستريح فى غرفتى بالفندق حيث أخذت حماماً ساخناً واسترخيت حتى كانت الساعة الثانية عشر ظهراً فقابلت طبيبى الأول الدكتور بارتلوى لبحث النتائج التى توصلوا إليها وقد سررت جداً لما علمت بالنتائج الطيبة للفحص إلا أنى أبديت رغبى فى مقابلة أخصائى القلب وعمل رسام كهربائى مطول إمعاناً فى التأكد وسيتم ذلك بعد غد (نظراً لحلول عيد الميلاد غداً) .

٦ - الجمعة ١٢/٢٦

عمل أشعة على المعدة لاستبعاد أى اضطراب ثم رسم مطول للقلب وكانت كل النتائج عظيمة .

وفى المساء أقمت حفلة عشاء لأصدقائى الأقربين بفندقى وقالت السيدة
التي رأست المائدة « لشرب نخب صحتك الجيدة جداً ، فالحمد لله

التحويل للمستشفيات

إذا دلت الفحوص والبحوث على أن الشخص مريض بمرض باطنى
أو جراحى فإنه يحول إلى المستشفى الخاص ولن أصف لك هذه المستشفيات
فهى كغيرها غير أنى أذكر لك أنها مستقلة تماماً عن المعهد (الكلينيك) من
حيث ماليتها وإدارتها فهناك شبه شركة تدير المستشفيات وكذلك الفنادق التى
ينزل بها رواد مدينة روتشستر بل إن الأدوار العليا لبعض الفنادق تستعمل
ملاحق للمستشفيات لقضاء فترات النقاهة . غير أن الأطباء المعالجين فى هذه
المستشفيات هم نفس أطباء الكلينيك من الأساتذة على وجه الخصوص .

ولا بد أن أنوه هنا بمعهد كورى The Curie Institute المخصص
للعلاج بالكهرباء والأشعة والرايوم . وكذلك « بمطبخ التغذية »
Diet Kitchen وهو شبه فندق تتناول فيه الطعام الخاص بك شخصياً
والموصوف لك من طبيبك وخصوصاً فى حالات مرض السكر والضغط
وما إليها . وبذلك لا يستدعى الأمر تقييد المريض بوجوده داخل مستشفى .
وقد ظهر أن هذه الطريقة أجدى فى الشفاء السريع .

لم أصف لك حتى الآن شيئاً من النشاط الطبى العالى الذى شاهدته فى
روتشستر مع أنى شاهدت الكثير ولما كنت أخشى أن أطيل عليك
فسأكتفى بوصف شيئين فقط .

الأول : عملية استئصال البروستاتا : شاهدت الدكتور كوك يقوم بها
على طريقة زميله الاستاذ تومسن . وهى طريقة إزالة الغدة قطعة قطعة عن
طريق مجرى البول بواسطة آلة تشبه المنظار المثنى وآلة تقطعت حصاة المثانة

المعروفة بمصر . وتزال الغدة بأجمعها أو يزال الجزء المريض حسب الحالة .
والشفاء سريع جداً نظراً لعدم وجود جرح خارجي وفي العادة لا يتعدى
الأسبوع أو عشرة أيام .

الثاني : كنت قد التقيت بالاستاذ جيرالد لوف Dr. Gerald Love
جراح المخ الشهير في اليوم الثاني من وصولي وفي منزل أحد الأصدقاء وقد
تدرج الحديث بنا إلى عملية قطع ألياف المخ Lobotomy فأخبرني بالنتائج
الطبية الحاسمة السريعة التي يصلون إليها مع أنني أعلم أنها ليست كذلك في
التجارب التي عملت بمصر . ولذلك طلبت منه أن يهيئ لي فرصة مشاهدة
العملية بنفسى وعليه قابلني مساعده الدكتور دودج Dodge يوم ٢٦ / ١٢
وذهبتا عقب الغداء إلى مستشفى الولاية للأمراض العقلية .

وهناك التقينا بمديره الدكتور ماجنوس بيترسون Magnus Peterson
وطبيب مصرى يدرس علم التخدير هناك وتمت العملية في الغرفة الكبرى
واستغرقت حوالى الساعة والشيء الذى لفت نظرى وأظنه من العوامل
الهامة فى نجاح العملية كان الإنسجام التام بين الطبيب الباطنى (ماجنوس)
والجراح دودج إذ كان الأول يرشد الثانى إلى اتجاهات المشرط حسب
المقاييس المرسومة على صورة الأشعة المأخوذة للدماغ ثم هم يبذلون جهداً
خاصاً فى اختيار الحالات لتقرير صلاحيتها للعملية من عدمه فوق العناية قبل
العملية وأثناءها وكذلك بعدها . وقد رأيت نفس هذه المريضة تتناول
أفطارها بشبهة صباح اليوم التالى للعملية . كما أنهم أخبرونى أن نسبة النجاح
هى ٤٩ ٪ وباقى الحالات تتحسن كثيراً . وقابلت « إحدى العمليات »
تقوم بوظيفة سكرتيرة فى المكتب من تلقى الرسائل والرد عليها وحفظها الخ .

الطقس

طقس روتشستر بارد جداً فالثلوج تبدأ في التساقط ابتداء من نوفمبر وتستمر هكذا حتى شهر أبريل وتنخفض الحرارة إلى ١٠ أو ٢٠ أو ٣٠ درجة فهرنهايت تحت الصفر ومع أن المنظر — منظر الأشجار والمنازل والجمال أبيض جميل وخصوصاً في الليالي القمرية إلا أن البرد يضايق كثيراً (خصوصاً أمثالنا) وأنى لأذكر أن المستر كومندو أخذنا ليلة لتنعشى في مطعم هيبيل Hubbel Restaurant خارج المدينة وتصادف أن كان أحد ألواح السيارة الزجاجية مكسوراً فكدنا نموت من القهر والذي خفف عنا البرد زيارتنا لهذا المنزل العتيق الذي يرجع تاريخه إلى عام ١٨٥٧ إذ كان المحطة التي يقف فيها حملة البريد يروون القصص عن قطاع الطريق والأوغاد ولم يكن حول المنزل مساكن في ذلك الحين فكان يستعمل مسكناً ومعبداً أو ملجأ للقاصدين شرقاً أو الداهيين غرباً . وقد انتهى هذا العهد الآن وأصبح المكان مقصوراً على تقديم الطعام وإن كنت تحس وأنت جالس هناك كأنك تعيش في تاريخ وحوادث القرن الماضي .

ومثال آخر على البرودة : توجد بحيره في حدود المدينة يتجمد ماؤها طوال الشتاء ، ذهبنا إليها لمشاهدة البط البري (المنوع صيده) ونسيت قفازي فكدت أصابعي تقع أثناء تصوير البط والبحيرة . وأنت ترى الأطفال في كل مكان يركبون الزحافات خصوصاً وأن أغلب الشوارع السكنية على مرتفعات ومنخفضات .

هذه الجماعة الظريفة

ذكرت لك سابقاً كم يجمع هؤلاء السادة العلماء بين التواضع واللفظ

فوق علو كعبهم فى فنون الطب ولا غرو فى ذلك فإنهم اختاروا هذه البقعة النائية حباً فى العلم والبحث مضحين بالكسب المادى الوفير لو أنهم كانوا فى مدينة أخرى كبيرة . ولم يمض على إلا أيام ثلاث حتى شعرت كأنى أصبحت واحداً منهم فكنت أدعى كل ليلة تقريباً إلى منزل هذا أو ذاك وهم دائمو لاجتماع مع بعضهم البعض فى أمسيات بريئة . وهناك مناسبة خاصة لا بد لى من ذكرها : ذلك إنى دعيت ذات مساء إلى منزل الدكتور الأستاذ د كندال كوربن ، Dr. Kendal Corben مدير الكليينيك وهناك التقيت بالأساتذة «لوف» جراح المخ « وهلمهولتز » أستاذ الأمراض ودكتور « بوتشر » أستاذ القلب وغيرهم وبعد العشاء ذهبنا جميعاً إلى الكنيسة العامة (للتوحيد) The Unitarian Church فى الشارع الثالث وكان ذلك مساء ٢١ ديسمبر وهى عجيبة وينضم إليها أغلب أطباء روتشستر وما دخلت حتى راعنى أن أجد خريطة القطر المصرى فى كل مكان وصور مصرية قديمة ولما سألت عن السر قيل لى إن هذه الكنيسة تمثل رأياً جديداً فى المسيحية وهو أن السيد المسيح « معلم عظيم » وليس ابن الرب ثم هم ينادون بالوحدانية وسبب وجود صور مصر أن « اخناتون » كان أول من نادى بالوحدانية إذ عبد الشمس على أنها الآلهة الأوحده .

وبعد الصلاة والغناء قدموا لنا القهوة والمرطبات ثم شاهدنا فيلماً قصيراً مضحكاً لتسلية الأطفال الحاضرين .

ربما تسألنى ماذا يحصل للرضى المساكين فى هذه البقعة الباردة النائية ؟ إذن فاعلم أن الفنادق الكبيرة جميعها متصلة ببعضها وبالكليينيك وبالملاحق بواسطة ممرات تحت الأرض Subways فيمكنك الانتقال من مكان إلى

مكان دون الخروج إلى الشوارع بل يمكنك الإقامة أى مدة دون أن تخرج إلى العراء أبداً .

أما السادة الأطباء فعندما يحل شهر مارس يكونون قد د شبعوا ، من البرد والثلوج فيتناوبون الاجازات إلى الجهات الجنوبية الدافئة لتعويض أجسامهم ما فقدته من دفء .

معهد البحرية للأبحاث الطبية

The Naval Research Institute (Bethesda)

لما كنت في واشنطن وقابلت صديق دكتور روبرت فيليبس —
الذى كان مديراً لوحدة أبحاث البحرية الملحقة بمستشفى حليات العباسية
بمصر أُلح عليّ أن أزور معهد أبحاث البحرية الطبي لأطلع على عملهم الرائع
كذلك أزور معهد الأبحاث الأهلى المجاور له والذى يماثل معامل الصحة بمصر .

الفكرة

وفكرة إنشاء هذا المعهد جاءت من أن الأبحاث العلمية وتطبيقها
أساسيان للدفاع الوطنى . والحروب تعتمد الآن على الآلات وعلى الإنسان
معاً ويجب أن تناسب الآلات الرجال الذين سوف يستخدمونها وكما أننا نسعى
دائماً لتحسين هذه الآلات وجعلها فى حالة طيبة فكذلك الإنسان يجب أن
نحتفظ به سليماً وأن نحفظه من الأمراض والإصابات ونعالجه إذا أصيب
بشيء منها .

وقد وجد أن البحرية لها مشاكلها الخاصة لا فى مسائل القتال والمعيشة
فى البحار فحسب بل فى العديد من المشاكل التى تنشأ من هذا التلاحق السريع
فى ابتكار وسائل الدمار والقتال البحرى ومن هذا نرى أن هناك مسائل
عاجلة متتابعة تتطلب الحل السريع كما أن هناك مجال للبحث الهادىء
طويل الأمد .

ومجال البحث فى هذا المعهد يشمل جميع مسائل وظائف الأعضاء
(الفسيولوجيا) والعلوم الطبية ولكن جزء من سبعة أجزاء من كل المجهود

تراه مركزاً في دراسة المسائل البيولوجية الطبية (أى في دراسة الجسم في حال الصحة) ونصفه في تأثير العوامل المجاورة والمحيطية بنا (مثل الضغط العالى تحت الماء والضغط الواطى في الأجواء) بينما الجنس فقط خاص ببحث الحالة المرضية لجسم الإنسان .

ولذا نرى أن الشخص السليم هو مركز كل الأبحاث إذ عليه يدرس تأثير الضغط والسموم المختلفة والإشعاع الذرى . . . إلى آخر الطريق . كل ذلك مع تركيز الاهتمام بالعوامل الخاصة بالبحرية والبحار .

وقد أعجبت بصفة خاصة ببنك الأنسجة والعظام حيث تعالج الأنسجة بالنسولين والاستربتوميسين منعاً للجراثيم وبعدها « تجمد » ، تجميداً تاماً وتحفظ في أنابيب ممتومة وقد رأيت عظاماً وشرابين وقطعاً من الجلد ... الخ وعند اللزوم تفتح الأنبوبة ويضاف إلى النسيج محلول الملح الفسيولوجى فيصبح معداً للاستعمال في معالجة الجراحات المختلفة .

ويشتغل في المعهد ٧٠ عالماً وثلاثمائة مساعد وقد تباحثنا في عدة مسائل طبية بروح علمية ووجدت بعضهم مشغولاً بدراسة مشكلة البلهارسيا ومقاومتها .

وقد تكرم مديره الكابتن كيلاردن Captain Killarden فدعانا للغداء في النادى البحرى حيث أخذت لنا صورة فوتوغرافية تذكارية .

مؤسسة جورج ويليم هوبر
George William Hooper Institute
San Francisco (California)

ما قابلت إنساناً في سان فرانسيسكو وعلم أني بكتريولوجي إلا وسألني هل قابلت الأستاذ كارل ماير Professor Karl Meyer إذ هو شيخ البكتريولوجيين وسيدهم جميعاً . وقد كان حضرته في إنتظارى يوم زرته في الثالث عشر من شهر يناير وإنى لأشعر بالغبطة بل بالشرف الكبير أني قابلت هذا العالم العلامة وهو يشتغل الآن بأبحاث الفيروس Virus diseases . وله آراء قيمة كما أنه يعتقد أن الأبحاث التى تقوم بها معامل ليدرلى (بنويورك) سوف تأتى أكلها في تحضير فاكسين يقى من مرض شلل الأطفال . والرجل واسع النظرة عميق التفكير قضيت معه ساعات طوال نجول في ميادين الباتولوجيا والبكتريولوجيا والوبائيات والصحة العامة والاجتماعيات كما أخبرني بزيارته للهند وشرح لى مشاكلها وبعضها يشبه مشاكلنا الصحية .

ثم تكرم ودعاني لزيارة المعهد فطفنا بمعامله ولما وصلنا لبيت حيوانات التجارب أخذ يذكر لى فصائل النسانيس فقلت : لا عليك من هذا يا أستاذ فإني أعرفها . قال : من أين لك بمعرفتها ؟ أجبت إنى سبق أن قمت بأبحاث مقارنة عن جراثيم البروسيلوس Brucillosis (فى الإنسان والحيوان) فى مصر وفى إنجلترا ودرست جراثيمها المختلفة وكان ذلك منذ سنين طويلة — فتوقف الرجل وقال : هل أنت خاله المصرى ؟ قلت نعم فقال كيف لم أعرفك من المبدأ ؟ أجبت شكراً للقروء التى عرفتنا ببعضنا وضحكنا سوياً . ثم قال لى أنه قام بأبحاث عن البروسيلوس (Brucillosis) بعدى وكان ينقل عن أبحاثى ويذكر لى اسمى فى أبحاثه .

وفد تكرم فأخذت لنا صورة تذكارية وزاد في تلاففه بأن أهداني
بمجموعة أبحاثه وكتب عليها : اعترافاً بأبحاثه الأصلية على البروسيلوس أقدم
هذه الأبحاث للدكتور خالد المصرى .

In recognition of his basic work on Brucellosis I
dedicate these papers to Dr. Khaled of Egypt.

وقد غمرتنى سعادة لا توصف بلقاء هذا الرجل العظيم فى سان فرانسيسكو
وبأنى ، وجدت نفسى .

وقد أشار على بزيارة معهد الأمراض الوبائية فى ، اثلاثتا ، فأخبرته
أنه ضمن برنامجى .

معهد الأمراض الوبائية

بمدينة أتلانتا

Communicable Diseases Center (Atlanta, Georgia)

C. D. C.

وهو من أشهر معاهد الولايات المتحدة العلمية . وسأقتصر على ذكر أهم ما شاهدته .

قسم الطفيليات

١ - الدسنتاريا الأميبية - وجد أن ١٠ - ٢٠ ٪ من سكان الولايات المتحدة مصابون بها والنسبة مرتفعة في الجنوب بقدر ما هي منخفضة في الشمال . كما وجد أن طفيلة أميبيا واحدة كفيلة بتوالدها أن تحدث المرض .

كما أن هناك تجربة جديدة لإنتاج مصل مضاد لكل نوع من أنواع الأميبيا - ثم يضاف للبصل مادة فلوريسين (fluorescin) (ويزال الزائد من المادة) وبعدها وجد أننا إذا أضفنا هذا المصل المضاد (الملون) إلى أنواع كثيرة من الأميبيا فإن النوع الخاص فقط هو الذى يصبح فلوريسى (على نظرية الانتيجين - الانتيبودى - أى اتحاد الجسم ومضاده) أما الأنواع الباقية فتبقى كما هى بدون تلوين .

ويمكن تطبيق هذه الطريقة على الميكروبات . والبحث لا يزال فى مبدئه .

في قسم الأمراض التناسلية

٢ — يستعملون هنا طرقاً مصلية عديدة لتشخيص الزهري والاعتقاد السائد أن المرض آخذ في النقصان ولا تزيد نسبة الإصابة عن ٣ ٪ من مجموع السكان وهم لا يعتقدون أن التريبونيميا باليدا *Treponema pallida* (جرثومة الزهري) قد تناقصت شدتها (سمومها) (على الأقل في حيوانات التجارب) وإنما يعزى التناقص في شدة الأدوار الثانوية والثلاثية للمرض لارتفاع منسوب المناعة عند الناس .

٣ — كان هناك في ولاية جورجيا (وقت زيارتي) وباء صغير للدفتيريا بين الأطفال الذين سبق تطعيمهم والرأى السائد أن الاتجاه الأخير نحو تنقية الطعام حتى يصبح محتوياً على الاكسوتوكسين (السم الخارجى) فقط وبذلك تكون الحقنة غير مؤلمة — هذا الاتجاه خاطئ ويحسن أن يحتوى الطعام على جزء بكتيرى أيضاً Endotoxin .

٤ — أرانى المستر بورش مدير قسم الدعاية بالمعهد فيلباً عن حياة الفأر العادى استغرق إخراجه عامين كاملين إذ كان لابد أن تتعود الفيران على الضوء الشديد وأصوات الكاميرا — الخ . . . والفيلم يبين بصورة واضحة كل أدوار الحياة من غذاء وعادات وحياة تناسلية كما تبين حيل الفيران في الحصول على الطعام وكذلك ترى الحروب والكراهية والغيرة والحيل في اكتساب ود الأئشى تماماً كما يفعل الأدميون .

٥ — بعد الغذاء زرت د هوليوود الصغيرة ، أى قسم عمل الأفلام الطبية والصحية الدقيقة والتي أصبحت شهيرة في كل أنحاء العالم في الدعاية والتعليم الطبى وقد اتفقت معهم على إرسال بعضها لى بعنوانى بمصر .

المعهد الصحى

The National Health Institute
(Washington, D.C.)

زرت هذا المعهد العظيم مع صديقى الدكتور فيليبس فى الأسبوع الأول من وجودى فى واشنطن وهو واحد من عدة معاهد تتبع الإدارة الصحية المركزية وتراها متناثرة فى شتى أنحاء المملكة — وهذا المعهد موجود فى ضاحية بيتسدا بماريلندا (Bethesda (Maryland خارج واشنطن وهو مخصص للبكتريولوجيا . وله مثل فى كثير من الولايات . وبعض هذه المعاهد أنشئت لتهم بنواحى خاصة من الطب فهناك معهد دراسة السرطان ومعهد أمراض المفاصل ومعهد الأمراض العقلية والصحة العقلية ومعهد أمراض القلب ومعهد التغذية ومعهد الأمراض العصبية ومعهد دراسة العمى والعميان . الخ . .

وكما قلت فإن المعهد الصحى بماريلاند مخصص للبكتريولوجيا ولا يقتصر على الأمراض الوبائية الحادة والمزمنة فحسب بل تتبعه وحدة إكلينيكية وهم يهتمون بدراسة (كيف يقوم الجسم الإنسانى بوظائفه فى حالتى الصحة والمرض) .

وعلاوة على ذلك فهم معنيون بدراسة الجراثيم من حيث طرق انتشارها وطرق مقاومتها وسوف تكون المعلومات التى يحصلون عليها ذات فائدة عظمى فى مسائل الدفاع الوطنى لو قدر يوماً من الأيام أن يحدث ما أصبح يسمى « الحرب البيولوجية » أو « حرب الميكروبات » فلا بد من الاستعداد بدراسة ما هى الجراثيم التى تصلح لذلك وكيف تنتشر ثم ما هى طرق مقاومتها والوقاية منها .

ولم تطل زيارتنا للبعهد لأن معظم الأطباء كانوا قد سافروا لحضور مؤتمر طب المناطق الحارة في مدينة أثلاثا .

* * *

مصحة المخدرات في ليكسنجتون

The Drug Addiction Sanatorium
Lexington (Kentucky)

وهذه يمكن أن تعد إحدى معاهد الصحة وهي مخصصة فقط لمعالجة مدمني المخدرات وأظنها الوحيدة من نوعها في أى مكان .

ولكن الشيء الذى حيرنى أنى وجدت الأبواب مغلقة وعليها حراس فلم أعرف هل هى أبواب لسجن أم لمستشفى كما أنه كان لى اعتراض آخر وهو أنهم يقبلون فيها المحكوم عليهم وكذا المتطوعين للعلاج . ثم أنت ترى مرضى من كل الأعمار كما أن قسم النساء موجود فى نفس البقعة وإن كان منفصلا عن الرجال (طبعاً) . ولما سألت عن السبب فى كل هذا الخلط قيل لى إنها بنيت فى الأصل للمحكوم عليهم فى جرائم تعاطى المخدرات ولكن لما تقدم لها مدمنون متطوعون لم يكن فى الإمكان رفض طلبهم العلاج .

وقد أدى بحث أسباب الإدمان إلى أن الدافع الأضلى له هو عدم القدرة على الصمود لمشا كل الحياة إما بسبب ضعف الشخصية وإما لأن الشخص غير حاذق فى صناعته وبذلك لا يتكسب منها ما يقوم بأوده فيهرب من هذه المواقف المحرجة بتعاطى المخدرات .

ولذا تراهم لا يكتفون بعلاج الإدمان فحسب بل يعلمون الشخص صناعة تكفل له العيش الرغد ومجاهة الحياة ولا يعنى هذا بالضرورة صناعته

الأصلية إذ كثيراً ما يتبين أنه غير صالح لها وأن الأوفق أن يتعلم صناعة أخرى تتفق ومواهبه . والصناعات الموجودة هي الزراعة ومنتجات الألبان ثم إصلاح السيارات وحياكة الملابس وصناعة الراديو وكذلك فن التريض .

ويوجد بالمصحة ١٤٠٠ مريض وأهم المخدرات هو الكوكايين والميروانا Mirjuahna (وتشبه الحشيش) ، ويعالجون حالات الكوكايين بالتقليل التدريجي منعاً لحدوث عوارض شديدة في حالة المنع البات أما الميروانا فالأحسن منعها منعاً باتاً ويبقى المريض تحت العلاج ١٣٥ يوماً على الأقل ولكن للمتطوع أن ينقطع عن العلاج وقتما يشاء ويغادر المكان . وهذا أيضاً من نقط الضعف في النظام بل من المزعجات ولكن كيف يمكنك إجبار « متطوع » على البقاء رغم أنفه .

وقد مضى على المصحة الآن نحو ٢٨ عاماً وتبلغ الميزانية السنوية الحالية نحو ثلاثة ملايين دولار .

وقد تناقشت طويلاً مع الدكتور تشابمان Dr. Chapmann مدير المصحة في « فلسفة المكان » ووجدته شخصاً متنوراً جداً واسع الأفق يتقبل النقد بروح سمحة وهو يوافق على أن نظام المصحة أبعد ما يكون وإفياً بالغرض الذي أنشئت من أجله إذ أنه وجد أن نحو خمسين في المائة ممن يخرجون بعد إتمام علاجهم يرجعون مرة ثانية بل ثالثة ورابعة . وللأسف لا توجد إحصائيات دقيقة يمكن التعويل عليها إذ كثيراً ما نفقد أثر هؤلاء الذين خرجوا ولذلك فلا أظن أن النتائج تبرر صرف هذه الميزانية الضخمة . وربما كانت النقطة المنيرة الوحيدة في كل هذا أن مجرد رجوع المتطوعين للمصحة للمعالجة مرة أخرى يدل على أنهم يقدررون الفائدة التي يحصلون عليها من هذا العلاج .

بعض العجائب الطبية

Some Medical Curiosities.

سوف أحدثك في هذا الباب عن بعض الغرائب الطبية التي شاهدتها .

* * *

علاج ضيق صمام أذين القلب جراحياً

Surgical Treatment of Mitral Stenosis

إذا أصيب طفل بالحمى الروماتيزمية في سنه الأولى من الحياة فأغلب الظن أن يتأثر قلبه من ذلك ويحدث هذا التأثير من عاملين أولهما أن الغشاء المبطن لصمامات القلب هو المكان المختار لجرثومة الروماتزم وثانيهما أنه من الصعب إجبار طفل صغير على الراحة الكاملة وعدم الحركة طوال مدة المرض . ويستتبع ذلك أن يحدث التهاب في صمامات القلب قد لا يحسها المريض الصغير في سنه الأولى ولكن عندما يصل إلى درجة البلوغ ويشد ساعده وتكثر حركته ينيخ القلب ولا يقدر على الصمود للمجهود الجديد فيصبح الشاب عليلًا ثم تزداد العلة شدة حتى يصاب بالعجز التام الذي يقعه عن كل نشاط . فإذا بحث قلبه وجدت أن الالتهاب أحدث ضيقاً في صمامات القلب وبخاصة في صمامات الأذين . وعلاج هذه الحالة هو علاج مؤقت في معظم الحالات خصوصاً إذا لم تستدرك الإصابة إلا بعد استفحالها .

ومنذ عشرين سنة أو تزيد اتجه التفكير إلى ما إذا كان في الإمكان علاج هذه الحالات جراحياً فجرت محاولات فردية هنا وهناك ولكن غالبية الجراحين كانت (وما زالت) تخشى التعرض لهذا العضو الحيوى بل الحيوى

جداً (وهو القلب) بمشروط الجراحة — ولكنى فى سان فرنىسكو شاهدت الصدر يفتح والقلب يكشف ثم يفتح والصمامات توسع ويعيش بعدها المريض كأسعد ما يكون وكأنه لم يكن يشكو شيئاً من قبل .

وقد تفضل صديقى الدكتور فرانك جربودى Dr. Frank Gerbode' أستاذ الجراحة بكلية طب ستانفورد (كاليفورنيا) بدعوتى لأرى عملياته فى تصحيح صمامات القلب . والعادة أن الصمام الذى يتسع (فى حالة الصحة) لدخول ثلاثة أصابع يضيق نتيجة للمرض حتى ليتعذر ولوج البصر منه .

ويتم اختيار الحالات حسب الأعراض الاكلينيكية ولكن عند الشك يحسن إدخال قسطرة خاصة إلى القلب عن طريق وريد الذراع مع تيين طريقها بواسطة الحاجز الفلورىسين Fluorescent Screen ولا داعى للجوء للجراحة فى حالات الضيق البسيط التى يمكن لقلب المريض أن يعوض نقصه بالعلاج الطبى العادى مع شىء من الاحتراس أما إذا ظهرت عوارض ازدياد العلة مثل السعال أو اللهث (صعوبة التنفس) أو ضيق الصدر أو الألم أو نفث الدم فالعملية واجبة كما أن ظهور علامات هبوط القلب أو ازدياد الضغط أو كبر حجم الكبد أو رشح الساقين — ظهور هذه العوارض تجعل العملية على شىء كثير من الخطورة لا من حيث نجاحها فقط بل من حيث القيام بها بتاتاً .

ولذلك يمكن تلخيص المقال فى أن أحسن الظروف للجراحة هى للمرضى الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين والذين يشكون من علامات متوسطة (أى ليست شديدة) لضيق الصمام وخاصة إذا لم يكن هناك ترجيع Regurgitation .

وإذا أعد المريض إعداداً حسناً للعملية بعمل الأبحاث العملية وإصلاح ما يحتاج للتقويم ، ثم إذا أحسن اختيار التخدير فالغالب أن تكون العملية ناجحة .

والعملية تتلخص في فتح الصدر ثم فتح التامر وهو الكيس المحيط بـ Pericardium ثم فتح القلب نفسه وبعدها يدخل الجراح أصبعه ويمزق بالقلب الألياف المحدثة للضيق (ولا يقطعها بالشرط) وقد يجد الجراح أن هذه الألياف قد تحجرت مع مضي الزمن وهنا تكون النتيجة مشكوكاً فيها . أما الدورة الدموية فيقوم بها — طوال العملية — القلب الصناعي (الميكانيكي) وهو جهاز عجيب تجد وصفه في مكان آخر . ثم إن رسام القلب الكهربائي يكون مشتغلاً طوال العملية ليرصد حركة القلب وضرباته .

إن من المناظر العجيبة أن ترى القلب الأدنى هكذا خارج الجسم يفتحه الجراح ويتلاعب به لا من الخارج فقط بل من الداخل أيضاً مع أنه منذ سنين قليلة كان من المعجزات أن يفتح الصدر ويدلك القلب من الخارج فقط (في حالات التوقف) .

وقد قام الدكتور جربودي بعمل ٤٤ عملية مات منهم خمسة بعد العملية وأمكن ملاحظة ١٤ حالة لمدة تزيد عن أربعة شهور فوجد ٩ منهم تحسناً تحسناً ملحوظاً من كل الوجوه وتحسن اثنان تحسناً جزئياً أما الثلاثة الباقون فلم يظهر عليهم تحسن يذكر . ويجب ملاحظة أن هذه مجموعة مرضى في مستشفى تعليمي عام أي أن الاختيار كان غير موجود تقريباً .

أما إذا دقق في اختيار المريض وتمت العملية في زمن مبكر من المرض فإنه يعود إنساناً طبيعياً من كل الوجوه بل يخلق خلقاً جديداً فهل تعجب

إذن عندما تسمع ولداً يقول لرفاقه ، إن والدى ركب قلباً جديداً فى المستشفى
فى الشهر الماضى ، ١١

تخدير القطن

Caudal Anaesthesia and Painless Child-birth

الولادة بدون ألم

تستعمل طريقة التخدير أو على الأصح ، التمسكين ، فى الجراحات التى
تكون فوق مستوى السرة سواء كانت جراحة عامة أو فى المجارى البولية
أو العظام أو أعضاء التناسل عند السيدات وتبعاً لذلك يدخل تحت هذا
الباب الولادة .

وقد أراى الدكتور شاوب John Schuppe فى مستشفى ستانفورد
طريقته فى الولادة بدون ألم . وهى تتخلص فى إدخال إبرة سميكة فى النخاع
الشوكى عند منطقة القطن ثم تدخل قسطرة رفيعة جداً من المطاط من داخل
الإبرة التى ترفع بعد ذلك . ومن هذه القسطرة يدخل المسكن (أو المخدر)
تقطيراً نقطة نقطة . والدواء الذى يستعمل هو كلوريد الميتيكلين Metichin
Chloride وتنتجه معامل ليل Lilli Laboratories . وهذه الطريقة لا تشعر
الوالدة بأى ألم أو ، طلق ، بل رأيت السيدة التى كانت تلد حينذاك تضحك
وتتكلم مع زوجها ومعنا جميعاً بينما رأس المولود أخذت تطل علينا . وهذا
يدل على نعمة هذه الطريقة للوالدات خصوصاً عند الولادة الأولى التى عادة
ما تكون طويلة المدى مصحوبة بآلام شديدة .

جهاز الكوبالت فى معالجة السرطان

The Cobalt Lamp for treatment of Cancer

فى أثناء أحاديثنا الطبية أخبرنى الدكتور شاوب عن لمبة الكوبالت الموجودة فى مستشفى جنوب كاليفورنيا (بلوس انجيليس) South California Institute and Hospital والتي أصبحت تستعمل فى معالجة السرطان وخاصة سرطان الرئة الذى يتحدى كل علاج وإن استعمال لمبة الكوبالت أتت بنتائج تفوق تلك التى يمكن الحصول عليها من أشعة إكس . ولم يكتف بذلك بل تلفن من سان فرانسيسكو لمدير المعهد الدكتور كوستلو Dr. Costello يخبره بزيارتي المقبلة .

والجهاز كبير يزن نحو طنين وهو معقد ويحتاج لمهارة خاصة فى تشغيله وعلى الطبيب أن يكون فى غرفة أخرى يشغله منها منعاً للتعرض للاشعاع الذرى القوى .

وقيل لى أنه مفيد جداً خاصة فى حالات الثنائيات metastasis وتدل الإحصائيات على فائدته المؤكدة . وبهذه المناسبة أخبرنى الدكتور كوستيلو أن سرطان الرئة أكثر انتشاراً فى الرجال منه فى النساء بنسبة ٦ إلى ١ ولكنه استدرك قائلاً : لو زرتنا بعد خمس سنوات لوجدت هذه النسبة وقد انعكست إلى ضدها نظراً لإقبال النساء فى الوقت الحاضر على التدخين بنهم وإدمان .

جراحة المخ Brain Surgery

سبق أن أخبرتك عن عملية شق المخ في معالجة حالات الانقسام الذاتي الشيزوفرينيا Schizophrenia (انقسام الشخصية) كما شاهدتها في المايوكليينيك . ولكنى سأصف لك شيئاً أعجب من ذلك وذلك هو التداخل الجراحي لإزالة أورام المخ Brain Tumours وكان ذلك دائماً أمراً عسيراً لأن غالبية هذه الأورام لا تعطى أعراضاً عصبية واضحة تبين موقعها في المخ بالضبط ولذلك لم يكن في الإمكان فتح الجمجمة إلا إذا أصبح في الإمكان قبل ذلك رسم خريطة للمخ تبين مكان الورم على وجه الدقة .

وإذا فتحت الجمجمة وكان الورم تحت غشاء آلام القاسية Dura Mater مباشرة لكانت العملية سهلة أما إذا كان أعمق من ذلك فالأمر على أشده صعوبة وتعقيداً إذ أننا ربما لا نجد بروزاً في السطح الخارجى للمخ وحتى إذا عملنا قطعاً استطلاعياً بعرض المخ فقد لا يمكننا تمييز مدى الورم عند ما يكون نسيجه مشابهاً لنسيج المخ السليم نفسه .

إزاء كل هذه الصعوبات كان لابد من إيجاد طريقة لرسم خريطة للمخ تبين الأجزاء المريضة وموضعها بالضبط وقد تمت أبحاث كثيرة في هذا الصدد وخصوصاً في جامعة هارفارد Harvard فوجد أن الفوسفور ٣٢ والبوتاسيوم ٤٢ المحمل بالإشعاع الذرى لو حقن مقدار خاص منه في الوريد ثم أدخل مسبر جييجر Geiger Miller Probe في المخ وقيست النبذات الناتجة من ذلك لأمكن بمقارنة عدد هذه النبذات في أبعاد مختلفة أن تتأكد

من مكان ومدى أورام المخ مهما كانت عميقة . ثم يمكن استعمال هذه الطريقة في أخذ « عينة حية » (Biopsy specimen) وإرسالها للمعمل للفحص متأكدين أننا أرسلنا عينة مأخوذة من الورم نفسه — ثم يمكننا أن نقرر هل هناك أية فائدة من التدخل الجراحي وما هو مداه وما نتيجته .

وقد دلت الإحصائيات على فائدة هذه الطريقة وأكد التشريح بعد الوفاة (في الحالات الميثوس منها) صحة موضع الورم الذي أظهرته الآلة قبل الوفاة .

وقد شاهدت هذه الخرائط المدهشة أثناء زيارتي للمستشفى البحري الموجود في سان دييجو والذي بهرنى ما يقوم به فطاحل الأطباء فيه لا في هذا القسم فحسب بل في أقسام الصدر وعملياته وكذلك في قسم جراحة التجميل التي يقومون فيها بمعجزات تزيل التشوهات بل تخلق أشخاصاً جديداً سماتهم تبرز ما كانوا عليه من وسامة قبل الإصابة .

جراحة الأدرينال

The Adrenal Surgery

والأدرينال غدة صغيرة فوق الكلى وظيفتها كوظيفة ضابط المرور المكلف بتنظيم اتجاهات التفكير والانفعالات ولم يكن هناك أى مجال للتفكير في إزالتها جراحياً لولا أن عندنا الآن هورمون الكورتيزون (هذا الدواء العجيب) الذى يقوم مقام الغدة — فأصبح من الممكن إزالتها بدون أى خطورة على الحياة .

وقد عقد مؤتمر جراحى فى فندق هنرى هيدسن Henry Hudson Hotel بنيويورك أثناء إقامتى به وكان خاصاً بهذه العملية . وتساءل لماذا تزال فأقول لك إنها محاولة لمعالجة مرض الانفصام العقلى (شيزوفرينيا) . والسبب الذى أوحى بالعملية ما لوحظ من أن المرضى المصابين بالروماتيزم أو الربو أو غيرها من الأمراض المتصلة بإفرازات الأدرينال تتغير أشكال أعراضهم إذا أصيبوا بالانفصام .

وقد قيل فى المؤتمر إن نتائج العملية بعد مضى أربعة عشر شهراً على بعض الحالات مشجعة وتدعو للاستمرار فيها أملاً فى الحصول على علاج حاسم لهذا المرض البغيض الذى يختار الشباب مجالاً للاصابة .

عملية فصل التوائم بشيكاغو

The Illinois Twins and Their Separation

كنت فى مدينة شيكاغو وقت إجراء عملية فصل التوائم السيامية فى مستشفى جامعة إلينوا Illinois University Hospital وكانت كل المدينة بل كل أمريكا تتحدث وتترقب هذه العملية الفذة التى لم يسبق إجراؤها والتى سجلت انتصاراً كاملاً للطب الأمريكى .

والتوأمان رودنى وروجر برودى (Rodney & Roger Brodie) ولدا ملتصقين فى الرأس أى أن أرجلها فى اتجاهين مضادين وكان عمرهما حينذاك (وقت العملية) خمسة عشر شهراً وتطل من أعينهم الحيوية .

ولم يحاول أحد فصل توأمين متصلين فى الدماغ إلا مرتين أحدهما فى البرازيل والأخرى فى تسمانيا Tasmania وكانت النتيجة سيئة فى الحالتين .

وقد أدخلنا المستشفى في نوفمبر سنة ١٩٥٢ وكانت الاختبارات العصبية مشجعة إذ ظهر أن جهازيهما العصبي منفصلان تماماً فحركاتهما ونومهما وتفاعلاتهما مستقلة عن بعضهما وظهر باختبارات عديدة وأجهزة كثيرة أن لكل منهما مخ مستقل ولكن العقبة الكبرى كانت في أنها يشتركان في الوعاء الدموي الكبير الذي يغذى المخ بالدم .

وكانا وقت دخولهما يتدحرجان ويحاولان الجلوس والنطق بكلمة دادا (بابا) نيت نيت (أسعدت مساء) وكذلك تقليد حركات الممرضات .

وفي يوم ٢٢ نوفمبر عملت أول محاولة للفصل ولكن العملية الكبرى تمت يوم ١٧ ديسمبر ولا داعي لتفصيلها ولكني أذكر الآتي :

١ - رودنى وروجر عملت لهما ١٢ عملية .

٢ - عملية يوم ١٧ ديسمبر استغرقت ١٢ ساعة وأربعين دقيقة في غرفة العمليات وربما كانت هذه أطول عملية في التاريخ على أطفال وقد أدهش هذا الأمر الجميع حتى شيوخ الجراحة .

٣ - استلزم الأمر إعطاء التوأمين ٦ لتر دم (في الوريد) مع أن كمية الدم الموجودة في جسم كل طفل هي لتر واحد .

٤ - راح روجر في غيبوبة (نتيجة صدمة عصبية) عدة مرات وبخاصة عند الفصل المحتامى مما استلزم عمل تنفس صناعي له بالإضافة إلى منبهات الدورة الدموية .

٥ - أعطى رودنى الوريد الكبير إذ هو الأقوى في الاثنين أى فرصته في الحياة أكبر .

٦ - أشرف على العمليات بمجموعة كبيرة من الأطباء مكونة من ١٧ أستاذاً بينهم الجراح وإخصائى الأعصاب والدورة الدموية - الخ . . . وجراح التجميل وأطباء التخدير وكانوا يتناوبون العمل فى نوبات متتابعة متلاحقة .

ومن المدهش أن روجر وليس لديه وريد لترجيع الدم عاش مدة شهر كامل وإن كان قد أمضى معظم الوقت فى غيبوبة .

وقد تركت شيكاغو ولكن كان لا بد لى أن أتبع أخبارهما ولما حل أبريل كان رودنى قد مر من دور الخطورة وأصبح طفلاً مرحاً وإن كان لا يزال ضعيفاً .

أما تكاليف المستشفى والأشعة والأطباء والمعامل والمرضات فباهظة جداً ولكن لم يفكر أحد من هؤلاء السادة فى أتعاب بل كان كل همهم أن يتموا هذا العمل العظيم : إنه حقاً لفخر عظيم وانتصار للطب .

قطع غيار لجسم الانسان

Spare Parts for The Human Body

حقاً ليس في الإمكان أن نجد بديلاً للإنسان ، ولكن الأطباء والعلماء لم يثمنهم ذلك عن ابتكار أجزاء تحل محل الأجزاء التي نفقدها وكنا نعجب — والآن بطل عجبنا — عندما نسمع بعمل ذراع ورجل بدل تلك التي فقدناها .

وأنت تعلم الشيء الكثير عن « بنك الدم » حيث يحتزن « الدم الآدمي » محتفظاً بكل صفاته إلى وقت الحاجة إليه في الاسعاف وكم أنقذت هذه أرواحاً كان مقدراً لها أن تذهب هباء . ثم إنك لاشك قرأت وسمعت عن « بنك العيون » حيث تؤخذ قرنية ميت تستعوض بها قرنية غير مبصرة (غير شفافة) وتعود للمريض نعمة الإبصار . وهناك الآن بنك العظام والشرابين والجلد والأوعية يحتفظ بها جاهزة لأي زمن قد يبلغ السنوات الثلاث حتى تمس الحاجة إليها . وقد شاهدت ضابطاً بمستشفى سان دييغو البحري حاول إنقاذ أحد رجاله من الحريق فأصيب هو إصابات بالغة تركت آثاراً وتشوهات على وجهه جعلته يشبه الوحش الفظيع بما حمله على أن يتواري عن الأعين . أما الآن فقد استبدل بكل جلد وجهه ورقبته جلدًا معاراً وعادت له وسامته أحسن مما كانت .

القلب الصناعي The Mechanical Heart

(١) وقد ذكرت لك القلب الصناعي أثناء شرحي لعملية فتح القلب وتوسيع صماماته . وهو جهاز ميكانيكي معقد تمر منه الدورة الدموية ذهاباً وجيئة ويقوم بدور القلب الآدمي تماماً من تحويل الدم وتنقيته وتغذيته

بالأوكسجين ولولاه لما تسر القيام بعملية فتح القلب التى تستغرق وقتاً طويلاً .
 (٢) ثم هناك الرئة الحديدية The Iron Lung وهى الجهاز الذى اشتهر فى جميع أنحاء العالم والذى بواسطته يمكن إنقاذ حياة المريض بشلل الأطفال إذا امتد الشلل إلى عضلات الصدر . ولولاهما لوقف التنفس ومات المريض اختناقاً . ويوضع المريض داخلها وتشغيل الجهاز يفتح القفص الصدرى ويخلق بحركة انتظامية شبيهة بالتنفس الطبيعى والجهاز الذى شاهدته فى مستشفى كاليفورنيا كبير ومعقد ولكنى قرأت أن هناك أجهزة أخرى مبسطة تقوم بنفس الغرض — كما قرأنا أن الهيئة الصحية الدولية أهدت مصر أحد هذه الأجهزة لاستعمالها عند الحاجة .

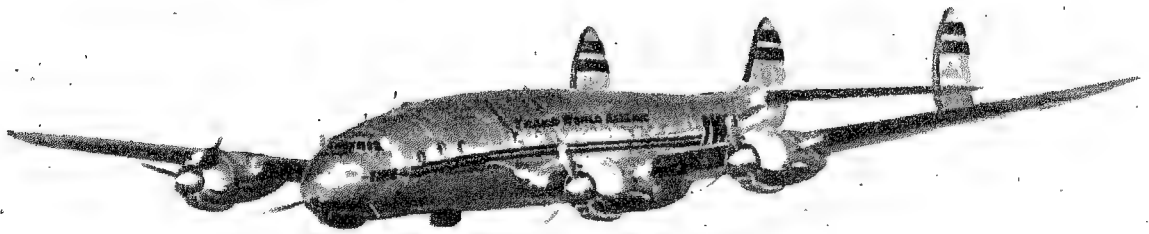
(٣) وهناك د الكلى الصناعية ، وهى أيضاً جهاز عجيب يقوم بدور الكلى الحية فى تنقية الدم من السموم العالقة به وإخراجها من الجسم كما يفعل الجهاز البولى وهى تستعمل فى حالات انحباس البول (عدم إفرازه) كما يحدث عقب بعض العمليات الجراحية وكما يحدث فى اضطرابات الكلى الحادة .

(٤) وهناك مثل آخر لقطع الغيار فقد فقدت شابة المريء (Oesophagus) عقب حادثة ولكن أمكن عمل مريء من البلاستيك بدلاً منه وقد قالت عن نفسها : د كنت أشعر بالألم والمضايقة لاضطرارى لتناول الطعام بواسطة أنبوبة مرسلة إلى معدتى . أما الآن فإننى آكل بالطريق الطبيعى كغيرى تماماً .

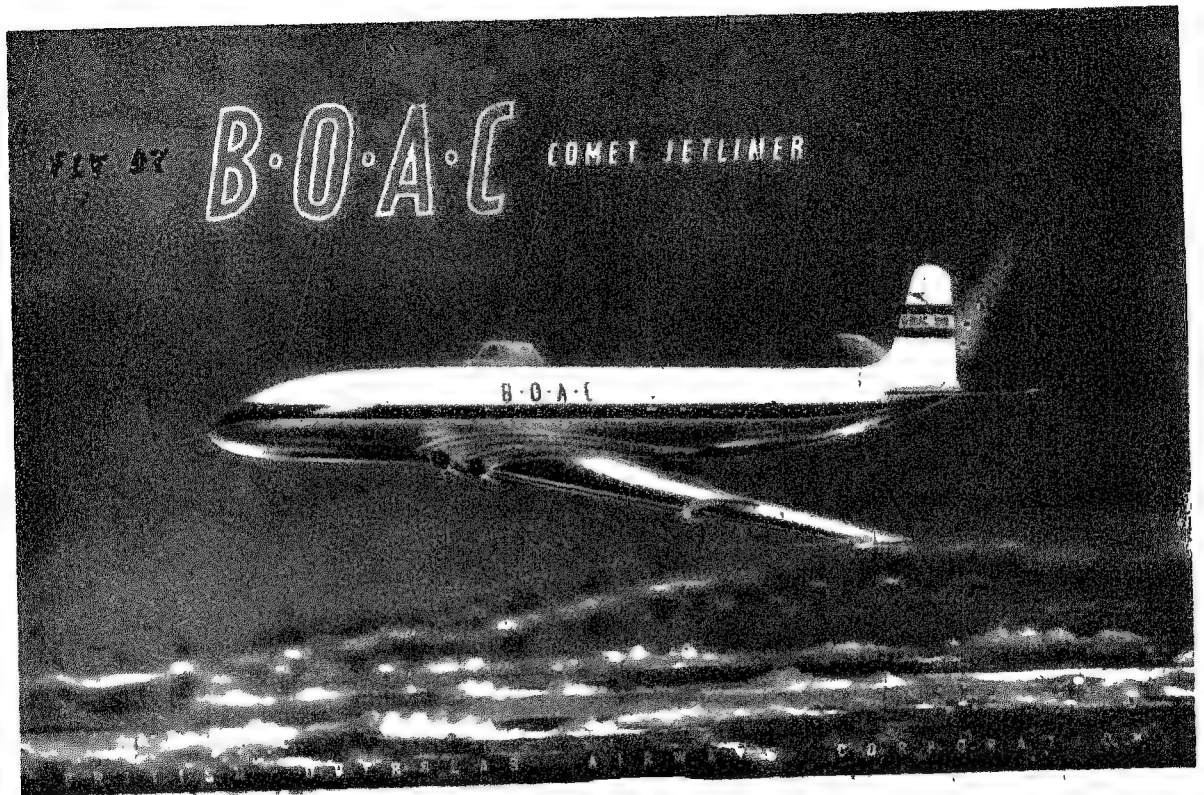
(٥) ثم هناك د ميكي ، الصغير الذى ولد قبل مواعده وكان يزن رطلين فقط ومثل هذا الطفل كان يموت عادة ولكنهم وضعوه فى جهاز اسمه حاجز الهواء (Air-Lock) ، وهو يشبه الرئة الحديدية فى تصميمه فأمكنه التنفس والأكل وستدهش عند ما تعلم أن وزنه قفز فى ستة شهور إلى ١٦ رطلا .



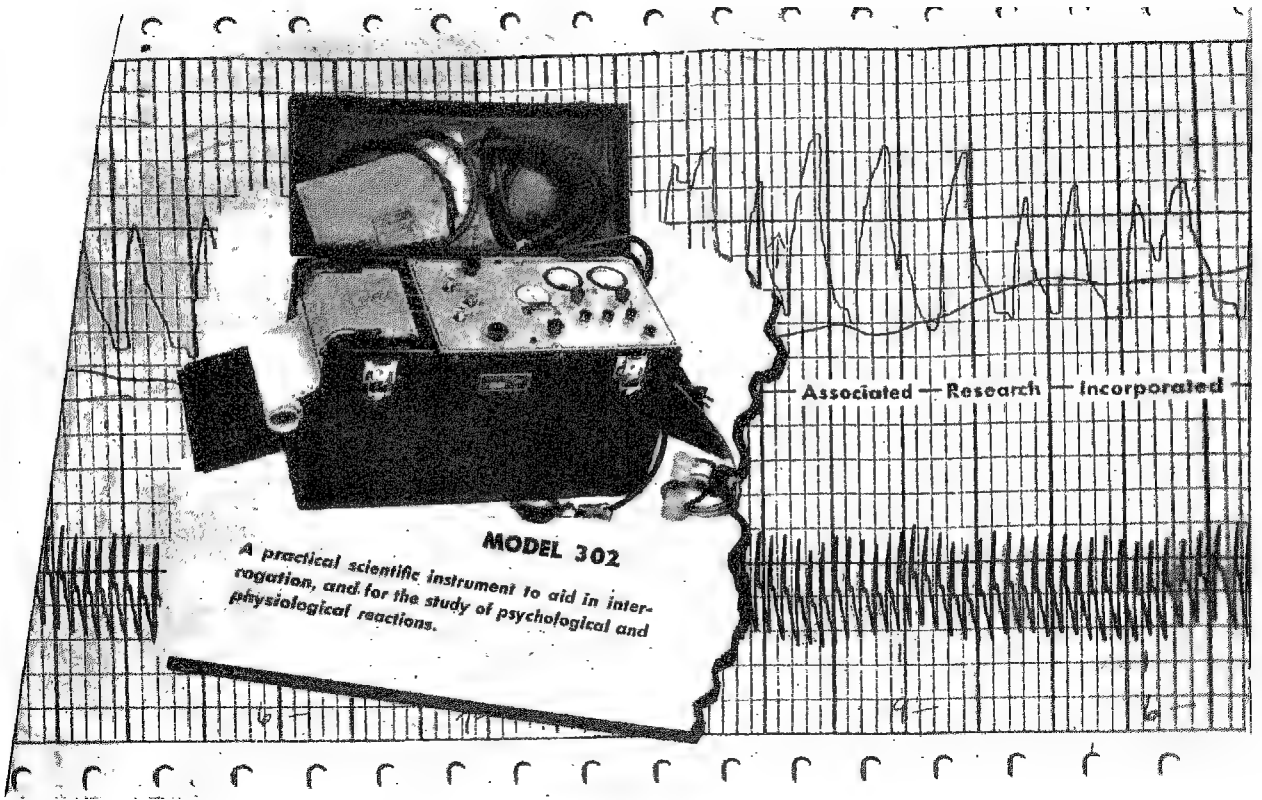
خريطة تبين طرق الطائرات التي سلكها المؤلف في رحلته الى امريكا والبلاد التي زارها



طائرة الخطوط الجوية العالمية T.W.A



طائرة الخطوط الجوية البريطانية BOAC

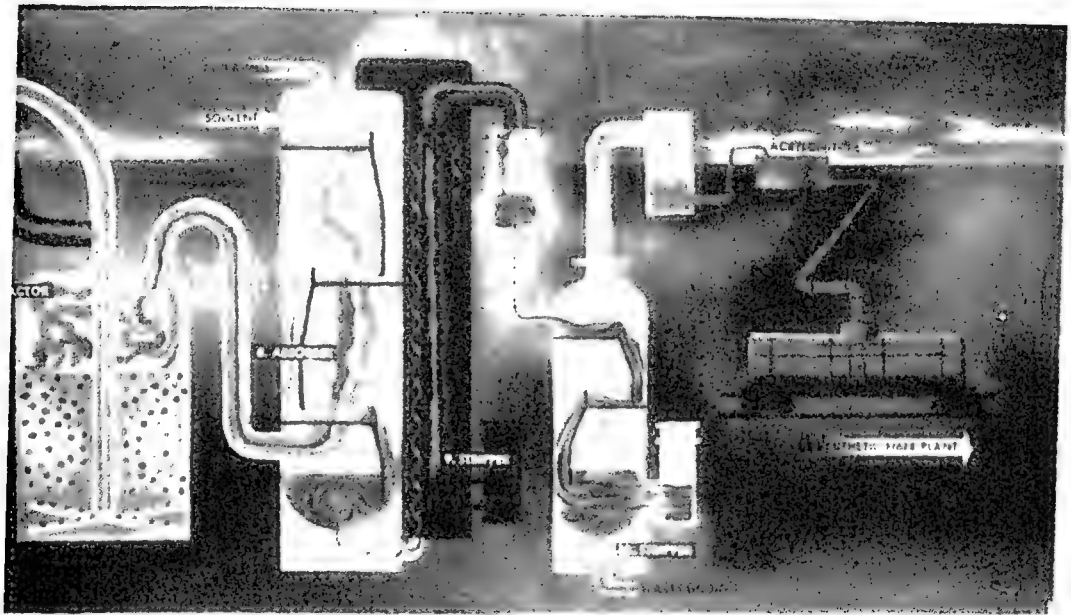


جهاز « اظهار الكذب » ويرى
الرسم البياني الذي يسجله

صورة تبين طريقة وضع السائل
والمسئول والجهاز أثناء الاستجواب

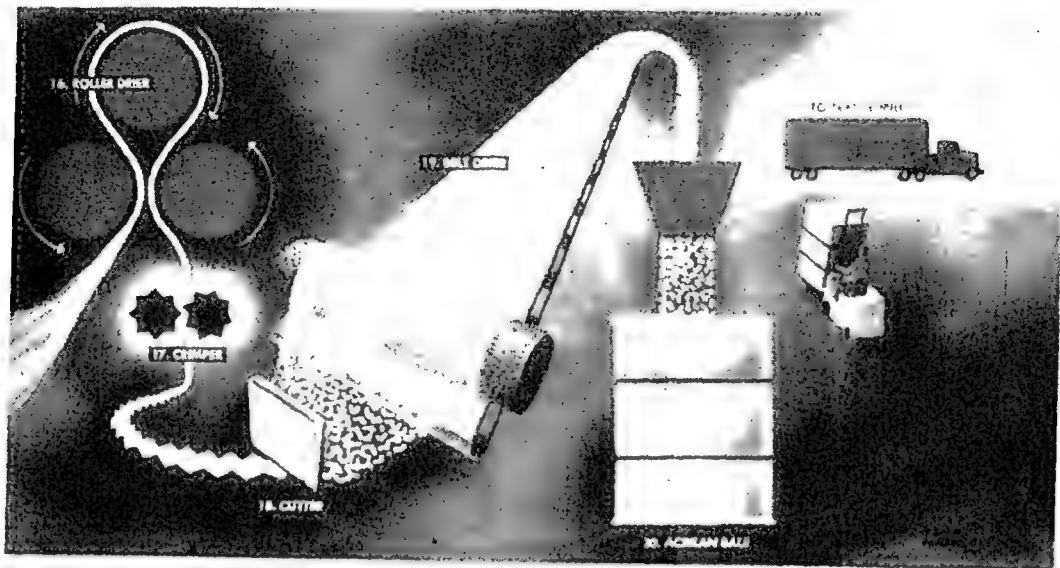


In ideal arrangement for deception tests. Note Polygraph mounted flush with top of table

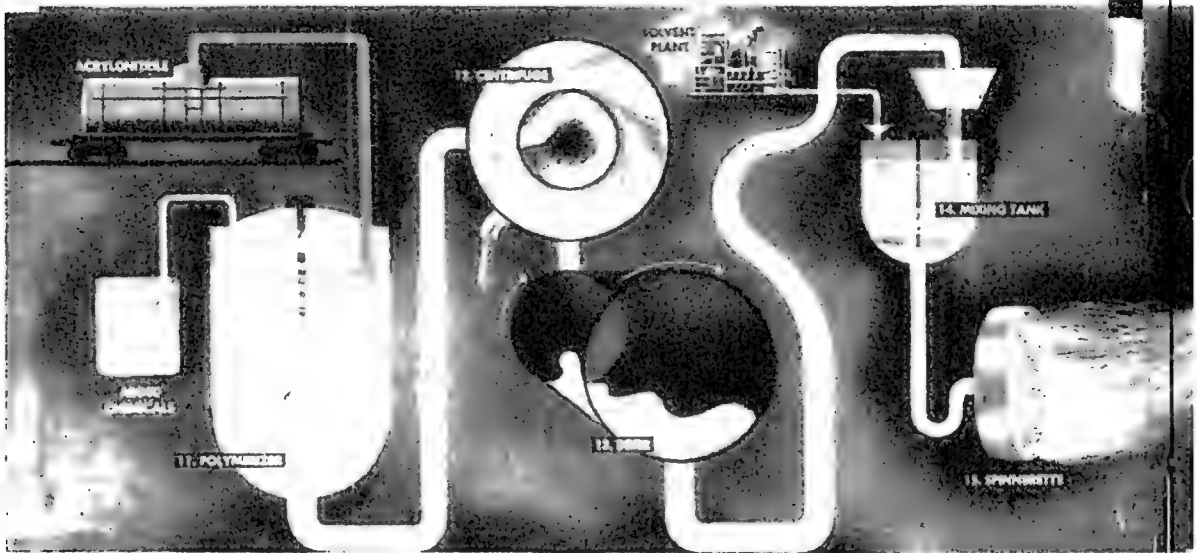
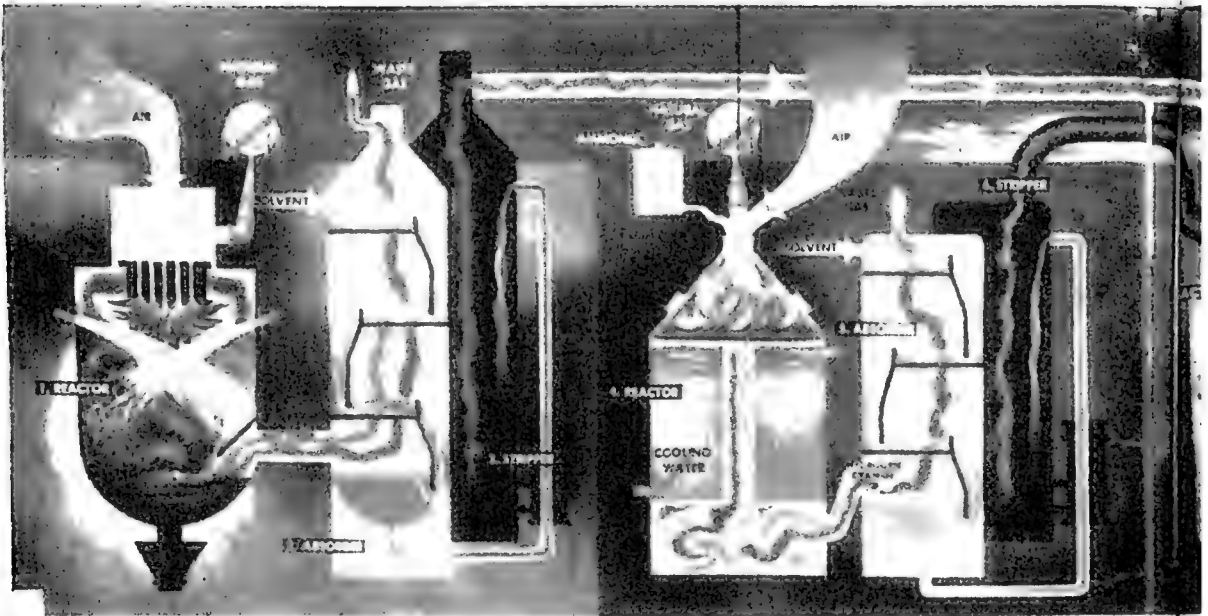


OF CHEMICAL IN 5.7.7

WHICH IS IN 5.7.7



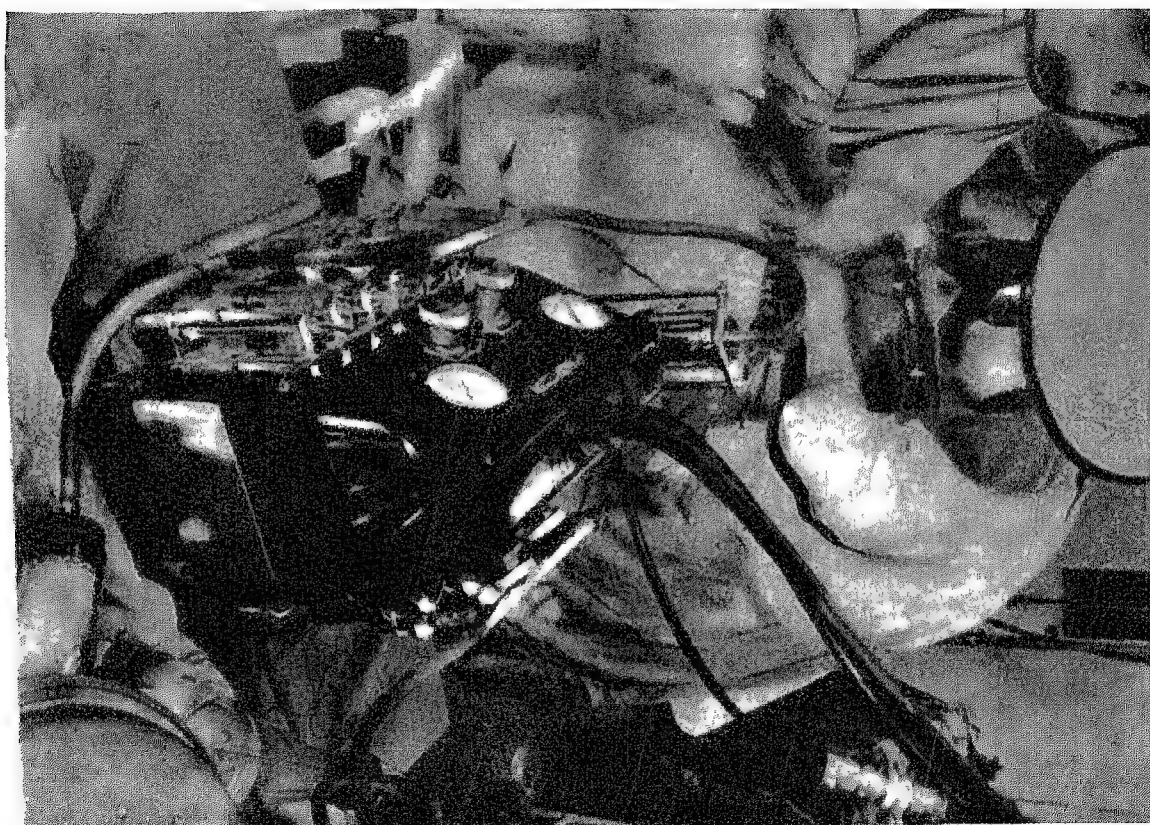
رسم يوضح الخطوات الكيميائية



انما في عمل « الاكريلان » وهو احد الخيوط الصناعية



الطفلة ميكي ميلز كان وزنها عند ولادتها رطابين ونصف فقط ولكن
بفضل جهاز التنفس هذا عاشت وبلغت الوزن الطبيعي



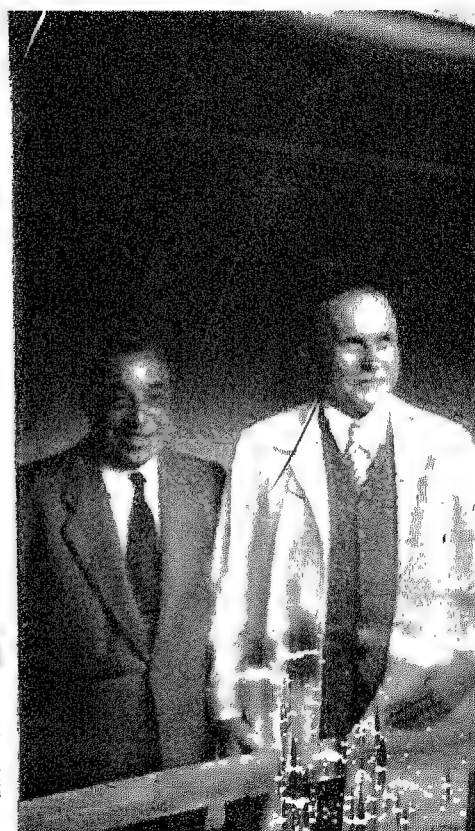
طريقة استعمال القلب الصناعي ↑

القلب الصناعي والطبيعي جنباً
إلى جنب

↓

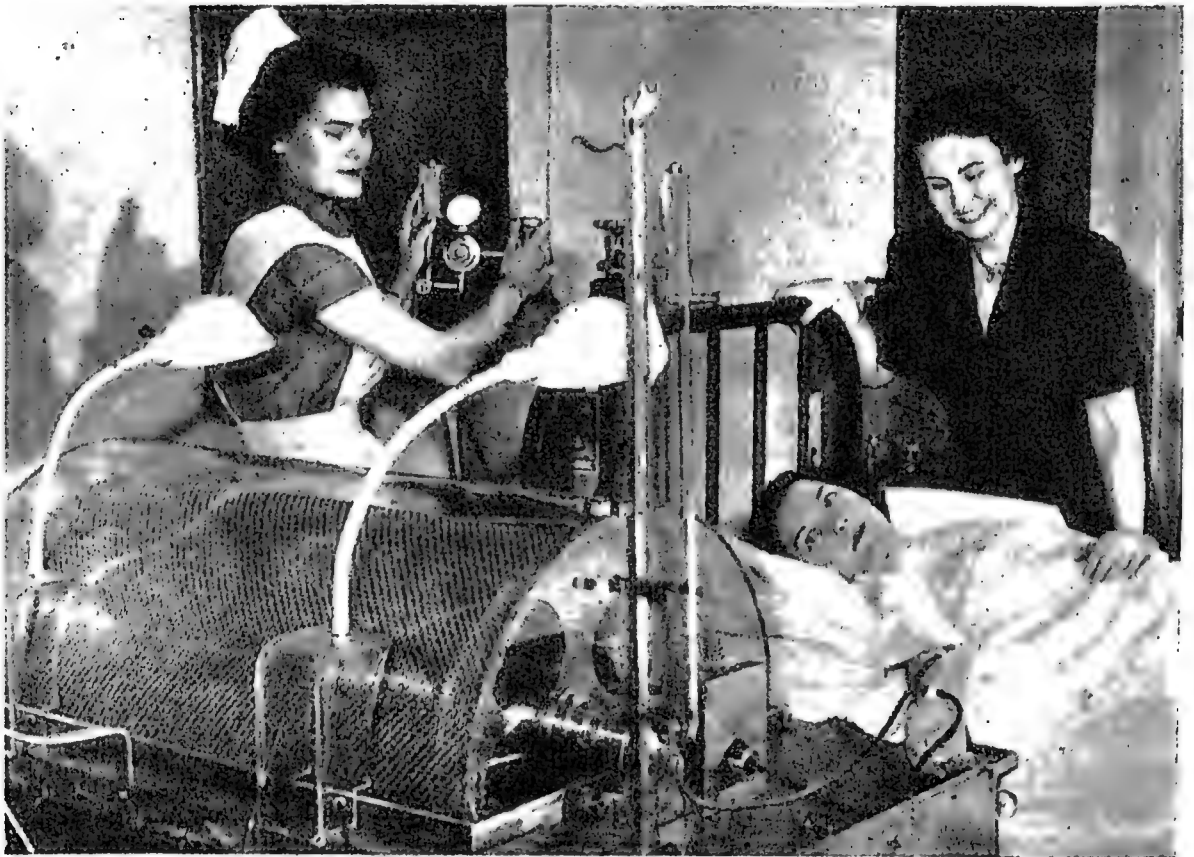


→ المؤلف مع الاستاذ كارل ماير
كبير اطباء كاليفورنيا





التوأمان برودى ملتصقان في الدماغ قبل فصلهما بمستشفى
جامعة شيكاغو وقد عاش أحدهما ومات الآخر



جهاز الكلى الصناعية التي انقذ حياة الكثيرين

(٦) وقد استعمل البلاستيك في « تركيبات » طية كثيرة فمثلا شاهدت في مستشفى جامعة جورجيتون Georgetown (بواشنطن) فتاة كانت تشكو خللا (اتساعا) في أحد صمامات قلبها فوضع في هذا الصمام « بلف » بلاستيك على شكل الكرة وكيسها وأصبحت دورتها الدموية وصحتها طبيعية وأنت لو وضعت السماعة الطبية على قلبها لسمعت صوت التقاء قطعتي البلاستيك مع بعضهما !!

(٧) أما جراحة التجميل فقد خطت خطوات واسعة لا تصدق فمثلا أمكن « عمل » أيدي وأصابع من تلك الأجزاء القليلة المتناثرة الباقية بعد الحادثة . وقد يحصل أحيانا أن يضطر الجراح لبتز الرجل فوق الركبة بكثير وفي هذه الحالة يصبح تركيب رجل صناعية من الصعوبة بمكان ولكن قد تمكن جراح في مستشفى بروكلين (نيويورك) إلى « لصق » جزء من عظم الساق المبتور إلى عظم الفخذ وبذا أصبح طوله صالحا للاستفادة من الرجل الصناعية ويشترط طبعا في هذه الحالة أن تكون العظام المزالة غير مريضة .

(٨) الاتجاه الحالي هو إلى الإستعاضة عن الأعضاء التالفة أو المريضة بأخرى سليمة من شخص مات حديثا وفي خلال عام ١٩٥٢ أمكن القيام بتركيب « كلي » ثالثة لست أشخاص ومع أن الستة ماتوا في النهاية إلا أن التجربة أثبتت أنه من الممكن أن الكلي الثالثة هذه تلتصق بالجسم وتشتغل لمدة ما — وكانت هذه المدة ١٠١ يوما في إحدى الحالات . وفي شهر فبراير قرأت تقريرا من باريس أن إحدى الوالدات تبرعت لابنها البالغ ستة عشر عاما بإحدى كليتيها لأنه ولد بكلية واحدة وهذه تمزقت أثر حادث ويقول التقرير أن حالة الولد حسنة .

ونحن لاندرى السبب في أن الأعضاء الجدد (المزروعة) تقف

وظيفتها ثم تموت ولكن مجرد اشتغالها لمدة ما من الزمن — ولو لمدة محدودة —
يدل على ضرورة مداومة البحث والمثابرة لاستكمال هذا الطريق الجراحي
المثير . إننا لا يمكننا أن ندعى أننا سنتفوق على الطبيعة ولكن أليس من
واجبنا أن نحاول تقليدها عند ما تتوقف عن أداء وظيفتها ؟؟

طرت إلى أمريكا وفوقها كلها ثم عدت طائراً

I flew to and over America and flew back

عند ما حان وقت سفرى إلى أمريكا كانت الوسيلة الطبيعية المختارة للسفر هي الطائرة وكان لذلك عدة أسباب أولها اشتياق الملاح لمشاهدة تلك البلاد واستطلاع مجاليها . وثانيها : مندا الذى يريد أن يقضى أسبوعين أو ثلاثة مربوطاً إلى سفينة بينما هناك متع شتى تنتظره فى الطرف الآخر من رحلته ؟ . أما عن الخطر فمن ذا الذى يهتم به ؟ لقد طرت إلى بريطانيا عام ١٩٥٠ — وكان هذا أول طيران بعيد لى — ووجدت الطائرة متعة وراحة ففيتها تكيف للهواء وللضغط فوق أنى والله الحمد لا يعتربنى أى دوار فى الجو . وعليه ركبت الطائرة الكونستليشن الكبيرة التابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية T.W.A. فى الساعة السادسة من صباح اليوم الثانى لشهر نوفمبر سنة ١٩٥٢ وشعر بالارتياح التام عندما حلقتنا فى الجو قاصدين أثينا . وكانت هناك محال كثيرة خالية ولكن ما أن وصلنا روما حتى امتلأت المقاعد جميعاً وشعرنا بالازدحام . وكان خط سيرنا كالآتى : القاهرة — أثينا — روما — جنيف — باريس — شانون — المحيط الأطلسى — جاندار — بوسطن — نيويورك .

وبعد قيامنا من باريس تناولنا العشاء ثم استعد كل منا للنوم ولو أنه نوم متقطع خصوصاً عند ما يوقظونك فى الليل ليخبروك أننا وصلنا مطار جاندار مثلاً . ومع ذلك كان جارى (مستر فرانكلين مور) يغط فى نومه

وفي الصباح قال لي إنه لم يستمتع بنوم هانى عميق كما نام ليلته هذه .
ولم تخل الرحلة من الجانب المرح : فثلا عند ما بدأت مرحلة قطع
المحيط أخذت المضيئة الجميلة الظريفة تشرح لنا كيفية فتح ولبس واستعمال
حزام العوم والنجاة لاستعماله فى حالة حدوث حادث للطيارة وسقوطها فى
الماء (لا قدر الله) . وقد ضحكنا من أعماق قلبي لهذه النكتة الضخمة
إذ كيف ينتظرون من أحد أن يسبح فى المحيط وفى الليل وفى برد شهر نوفمبر
حتى يأتى من يلتقطه من الماء ؟؟ هذا على فرض أنه وصل إلى مياه المحيط
(جسماً كاملاً سليماً) ولم يصل إليه قطعاً وأشلاء .

وقد أخبرت جارى بالقفشة المعروفة : ما هو الفرق بين حادث سيارة
وحادث طيارة . الجواب : فى حادث السيارة : ها أنت ذا . أما فى حادث
الطيارة : أين أنت . وسأذكرها بالانكليزية :

What is the difference between a motor and an aeroplane
accident ? In a motor accident, here you are ; in an aeroplane
accident : Where are you ?



وفى العشاء أعطينا كل أنواع الشراب حتى الشمبانيا ويمكنك أن تطلب
منها ما تشاء . ربما كان ذلك ليجعلوك تنسى الخطر المائل فى اجتياز المحيط ؟
ثم هناك المجلات الكثيرة وكذلك كتيبات توزع علينا بها كثير من
المعلومات عن العالم والفواير والنكت الخ وحتى الأطفال لهم كتب ولعب
تلهيهم فى رحلتهم . الحق أن الشركة تبذل كل جهد فى راحتنا والترفيه عنا .

وقد وصلنا نيويورك بعد ٣٥ ساعة من قيامنا من القاهرة متأخرين
سبع ساعات عن موعدنا وكنا فى حالة تعب بعد انقضاء كل هذا الوقت على

كرسى واحد لابسين ملابسنا وأحذيتنا ولم يخفف عني إلا لطف وظرف رجال الجرك الذين لم يفتحوا أى شنطة من عفشى مع أنهم فعلوا ذلك مع غيرى حتى مع الأمريكان وربما كان من أسباب هذا التسامح أنى قمت بدور المترجم بين موظف الجرك وسيدة يونانية حضرت لزيارة ابنها فى فلوريدا ولا تعرف إلا اليونانية والفرنسية وكان هو يجهلها !

فى هذا الجو القاتم والتعب من الرحلة الطويلة لم أجد أحداً بانتظارى ليدلنى عما أفعل بل وجدت تلغرافاً يقول « سافر إلى واشنطن حيث حجزنا لك مكاناً فى فندق ناسيونال وإذا كان هناك ماتحب السؤال عنه فى نيويورك فتلفن مرة كذا » . عند ذلك ثرت . فهأنذا أشعر بتعب شديد وقدمائى تؤلمانى فوق شعورى بالحنين لمصر ولأولادى ويطلبون منى أن أواصل الطيران — قلت لا ! لا لا وكان هذا من حسن الحظ إذ أنى تمكنت فى اليوم التالى (٤ نوفمبر) من مشاهدة طريقة إعلان فرز أصوات انتخاب رئيس الجمهورية الأمريكية ومظاهرة الناس فى ميدان التيمز Times Square وهو منظر لا ينسى أبداً .

قبل أن أبدأ الرحلة كنت فكرت فى أن أقوم — ولو بجزء منها بالقطار أو حتى بالأتوبيس — حتى يمكننى مشاهدة المناظر الطبيعية للبلاد . ولكن عند وصولى إلى هناك لمست الاتساع الشاسع للمملكة وشعرت أنه لا معنى لضياح الوقت الثمين فى القطارات خاصة وأننا فى فصل الشتاء والمناظر الطبيعية سوف تكون محدودة وهب أنك ركبت قطاراً فستطل من الشباك ساعة أو ساعتين ثم تشعر بالتعب والسأم وربما بالنعاس . ولذلك لم أركب القطار إلا بين واشنطن ونيويورك لأنفرج على البولمان وركبت الأتوبيس فى

الأمكنة المتقاربة . أما باقى الرحلة فكانت كلها بالطائرة . وهل تريد مثلاً على ذلك : قطعنا المسافة بين مدينة « أوماها » فى مقاطعة نبراسكا وسان فرانسيسكو غرباً فى تسع ساعات والقطار يقطعها فى ٣٦ ساعة وكان قائد الطائرة ظريفاً فطار على ارتفاع منخفض وأخذ يشرح لنا مناظر جبال الروكى The Rocky Mountains والثلوج التى تغطيه والأودية والمغاور التى تحتازها خصوصاً Big Canyon وبذلك لم يفتنا شىء من المناظر وكسبنا وقتاً ثميناً .

وكل مدن الولايات المتحدة مرتبطة ببعضها البعض بواسطة الطيارات وفى أغلب الأحيان تجد هناك طائرة كل ساعة تقريباً وبذلك لا داعى للقلق إن فاتتك الطائرة التى تزمع أخذها فلن يؤخر ك ذلك كثيراً وحتى البضائع ترسل عادة بالطائرات وإن كانت تتكلف أكثر . ويستعمل الطائرات ملايين وملايين الأمريكان والسياح . ولو حسبت مقادير المأكولات التى يجب إعدادها وغيرها من الخدمات وعدد الركاب والموظفين والعمال والمهندسين والطيارين الخ لعلت ضخامة المأمورية الملقاة على عاتق شركات الطيران ولكنها تتعاون مع بعضها تعاوناً مدهشاً .

وقد طرت من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ثم عدت وبذلك جربت تقريباً كل الشركات وأشهرها T.W.A.

American Airlines, Delta, Braniff, Eastern, Trans-continental, United, Western.

وكلها كبيرة وصغيرة بها تكييف للهواء والضغط .

ولكن أريحها وأحسنها طائرات دو جلاس D.C. 6 وهى تطير بمعدل ٣٠٠ ميل فى الساعة ومقاعد متباعدة ومريحة جداً ويتولى قيادتها ثلاث رجال : القبطان والضابط الأول والضابط الثانى علاوة على مضيفتين .

ولأجل أن يكون الطاقم في حالة طيبة وصالحين للعمل لا يشتغلون إلا مسافة محدودة فمثلاً من لوس أنجلوس إلى ميامي تغير الطقم في دالاس ثم تغير مرة أخرى في نيو أورليانز New Orleans .

وتتخذ احتياطات كبيرة لضمان سلامة الرحلة والركاب فهناك اتصال دائم بين مختلف الشركات لتبادل المعلومات منعاً للتصادم في الجو كما أن الاتصال بالراديو مع المطارات يضمن وصول معلومات دقيقة مستمرة وهناك آلة في الطائرة تضمن الهبوط سالماً في وسط أي ضباب . وفوق كل ذلك هناك نحو ٧٠٠ محطة أرضاء موزعة في مختلف الولايات المتحدة لتعطى الطيارين معلومات دقيقة طوال الأربع وعشرين ساعة . وكل طائرة يعد لها برنامج طيرانها قبل قيامها مبنياً فيه طريقة ومدى ارتفاعها وسرعتها ونقط اتصالاتها وكل هذه البيانات ترسل إلى مراقبة الطيارات التابعة للحكومة المركزية Federal Government ومهمة هذه المصلحة هي تنسيق طيران جميع الطائرات للشركات الجوية المختلفة .

الاستمتاع أثناء الطيران

عندما تدخل الطائرة تقودك المضيفة إلى مقعدك المريح — بل المريح جداً — وعليه تجلس في الوضع الذي يوافقك ثم تسترخي استرخاء تاماً وتأخذ في القراءة أو الراحة وإذا احتجت لشيء — أى شيء — فما عليك إلا الضغط على الزر الموجود في يد المقعد فتأتي لك المضيفة مليئة النداء مسارعة إلى إجابة مطالبك مهما كانت صعبة وهي تؤدي وظيفة سيدة البيت المضيفة (جداً) ولا تتذمر أبداً بل عندها دائماً كلمة لطيفة أو ابتسامة حلوة لكل منا

وذلك أن تطلب ما تشاء من مأكل أو مشرب وترسل التلغرافات لأى مكان على سطح الأرض وتحجز مكانك للرحلة القادمة . والحق يقال إنك فى جلستك هذه لا تشعر بأنك معلق بين السماء والأرض بل تظن إنك جالس فى بهو فندق من الدرجة الأولى مكيف الهواء . ولهذا قال لى أصدقائى فى سان فرنسيסקو إنك لن تشعر بأنك تطير حقاً إلا إذا ركبت هيلوكوبتر . وتذكر يا صديق أنى فعلت ذلك وإنى أخبرتك بما شعرت به .

الأمـان

Safety.

لا شك أن الطيران أمان بل آمن سبل المواصلات جميعاً . هل تريد الدليل ؟ إذن فاسمع : يمكنك التأمين على حياتك فى أى رحلة طيران بمبلغ خمسة آلاف دولار إذا دفعت ربع دولار وبمبلغ عشرين ألف دولار إذا دفعت دولاراً واحداً أى أن الخطر هو بنسبة ١ إلى ٢٠.٠٠٠ وفى كل مطار تجد ما يشبه الصندوق وعليه استمارة بوليصة تأمين تكتب عليها اسمك وعنوانك ونمرة الطيران والرحلة من أين إلى أين ثم أسماء الورثة (فى حالة الوفاة) ومبلغ التأمين وتضع الربع ريال ثم تدير يد الآلة فتختم البوليصة وبعد استخراجها من الصندوق ما عليك إلا إرسالها للشركة (بدون طوابع) وتصبح مؤمناً على حياتك بمبلغ ٥٠٠٠ دولار تدفع لورثتك إن حصل لك شئ . وقد وجدت أن نسبة الحوادث ضئيلة جداً فاستخسرت مبلغ التأمين ولم أستخرج بوليصة تأمين إلا بين لوس انجيلوس وسان دييغو (وهى أقصر رحلة قمت بها) وقد احتفظت بالبوليصة لأريها لأصدقائى فى مصر لا لأرسلها ، لمذ لنفرض أنه حصل لى حادث فمن أين لورثتى بمصر !! أن يعلموا أنى أمنت

على حياقي لدى شركة كذا ويطالبون بالتعويض !! ولو أنى علمت فيها بعد أن الشركات فى مثل هذه الحوادث تقوم بالبحث عن الورثة .

ولكن يظهر أن المثل القائل « العادة تولد عدم المبالاة » (Familiarity breeds contempt) صحيح تماماً فـ كما أنى أصبحت لا أبالى بالميكروبات نظراً لأنى اشتغلت بها ومعها سنين طويلاً دون أن تحدث لى عدوى منها (والله الحمد) فكذلك كثرة استعمال الطائرات جعلتني أظن أنها لا يمكن أن تضطرب أو تهتز حتى بها كانت رحلتى بين شتاتوجا ونوكسفيل إذ كان الجو عاصفاً والمطر منهمراً فأخذت الطائرة تهتز اهتزازاً شديداً رغم أن اسمها كان النسر الفضى (Silver Falcon) وعندها علمت أن الطيران قد يكون مزججاً أحياناً .

وقد وصفت لك طائرات D.C. 6 ومئاتها وراحتها وقوتها ويؤسفنى أن أذكر أن نفس الطائرة التى أقلتنا من لوس انجلوس إلى ميامى كانت عائدة بعد ذلك بثلاث أسابيع تحمل زكاً بأ يقصدون نيو أورليانز لحضور حفلات Mardi Gras الشهيرة فسقطت بين تامبا Tampa ونيو أورليانز ولم ينج أحد من ركابها أو ملاحيها وقد أسفت أشد الأسف لأنى عرفتهم وعرفت المضيفتين شخصياً فى رحلتى السابقة . وقد جرت حادثة أخرى لطائرات شركة برانيف (وهى إحدى الشركات التى ركبت طائراتها) إذ كانوا يحتفلون بمرور خمسة وعشرين عاماً على الشركة دون أن تحدث لطائراتها حادثة واحدة . ولكن للأسف سقطت طائرة الاحتفال هذه ومات مستر برانيف Braniff نفسه وهو مدير الشركة ومؤسسها وأكبر مساهمها .

ولكن رغم أنى عن كل ذلك لا زلت أكرر أن الطيران آمن سبل المواصلات فإذا ظن الناس غير ذلك فالسبب هو أن البرق يحمل أنباء كوارث

الطيران ولا يحمل أنباء حوادث السيارات أو القطارات . ولا أدل على ذلك من أن أخبرك أنى بينما كنت طائراً بين نوكسفيل وشاتانوجا وجدت جريدة محلية تصدر فى المدينة الأولى على مقعدى فأخذتها لأتلهى بقراءتها وتصور أنى وجدت أنها كتبت عن حادث سقوط طائرة حربية مصرية فى طريق السويس و وفاة ٢٥ شخصاً وكان ذلك فى أوائل فبراير سنة ١٩٥٣ . وكان الشيء الوحيد الذى يضايقنى فى الطيران هو العفش ووزن العفش وأجر العفش الزائد. ويظهر أنى كنت دائماً أحمل أكثر من المقرر وهو ٦٠ رطلاً فى الخارج و٤٠ رطلاً داخل الولايات المتحدة .

وحتى فى بدء رحلتى من القاهرة اضطرت لدفع ١٥ جنيهًا أجرة زيادة العفش . ولذا كنت أرسل كثيراً من عفشى ومشترواى إلى فندقى بواشنطن لينتظرنى ولكنى لم أنفذ هذه الفكرة إلا بعد أن انكوبت بغرامات كثيرة . ولا أدرى لماذا يدققون هكذا فإذا كانوا يريدون العدالة المطلقة فيجب أن يكون هناك وزن محدد للراكب وعفشه معاً .

* * *

وحتى تتم القصة أخبرك أنى عندما كنت فى ميامى وشاطئها ركبت « بالوناً » عليك أن تدفع أربع دولارات فتركبه لمدة ربع ساعة يطوف بك فى سماء المدينة والشاطئ وهو صغير وبطىء .

* * *

وها أنت ترى يا صديق أنى ركبت الطائرة بل الطائرات والهيلوكوبتر والقطار والنفق والغواصة والبالون فإذا بقى شيء واحد « الطائرة النفثة » Comet . قلت لنفسى لو ركبتها لما تطاول أحد فىا بعد فقال لى إنك لم تجرب الكومت فهو كذا وكذا .

وقد راودتني فكرة ركوب الطائرة النفاثة في صيف عام ١٩٥٠ حينما دعيت لزيارة شركة ماركوني Marconi للتفرج على جهاز رسام د المخ الكهربائي ، (Electro-encephalogram) وكان بجوار مبنى الشركة مصانع دى هافيلاند للنفاثات فتفرجنا عليها وودت لو أمكنني ركوبها .

ولذلك عندما عدت إلى واشنطنجتون في منتصف فبراير قصدت توأ إلى شركة الخطوط الجوية البريطانية B.O.A.C. وغبرت تذكرتي على شرط أن أركب الكومت من لندن إلى القاهرة ولم يكن هذا سهلاً لأنهم يفضلون ركوب الرحلات الطويلة إلى جوهانسبرج مثلاً .

وقد ركبنا الاستراتو كروزر Stratocruiser من نيويورك في الخامسة مساءً يوم الجمعة وهو نخم جداً وله طابقان : الأول صالون وبار والأعلى للجلوس والنوم واسمه المونارك Mouarch والمقاعد مريحة جداً والمأكـل عظيم . أما الشراب فيسيل سيلاً ويكفي أن أقول لك إن الشمبانيا كانت تصب من زجاجات ضخمة تشبه البراميل الصغيرة . وكان مفروضاً أن نصل لندن في مدى اثني عشر ساعة بدون توقف . ولكن بعد مضي سبع ساعات قيل لنا إننا عدنا ثانية إلى مطار جاندار — يالأسف — لننزود بنزينا إضافياً ولماذا ! لأننا ونحن في وسط المحيط طلب إلينا العودة إلى أمريكا حيث إن هناك ضباباً كثيفاً يغطي جميع مطارات أوروبا حتى روما وقد تكدرت لذلك غاية الكدر . ولا أخفي عليك أيها القارئ أنني كنت لا أبالي ولا أخاف في كل رحلاتي بأمريكا ولكن منذ أن غادرت واشنطنجتون في طريق عودتي إلى مصر أحسست بشعور من الرهبة وأخذت أدعو الله أن أصل إلى الوطن لأسعد بـلقاء عائلتي وأولادي وهذا يفسر تشاؤمي من رجوعنا بعد أن وصلنا إلى وسط المحيط .

نهایتہ وصلنا لندن ظهر اليوم التالى ووجدناها مغطاة بضباب كثيف أوقف البواخر فى عرض البحر وكان ذلك يوم السبت وفى يوم الاثنين كانت هناك طائرة كومت جديدة ما أن حاولت الارتفاع فى مطار كراتشى بالباليستان حتى فرقت وهلكت وهلك معها الجميع . وفى صباح الأربعاء ٤ مارس سنة ١٩٥٣ ذهبت إلى الشركة لأسأل عن قيام الطائرة الكومت إذ خشيت أن الضباب قد يؤخر أو يمنع القيام . فقال لى الموظف : هل تريد تغيير رأيك وركوب طائرة عادية بدلاً من النفثة ؟ فأجبتہ : لا يا سيدى إننى قدرى ومصمم على ركوب الكوميت .

والكومت شكلها مربع وتشبه الوحش الضخم بدون أجنحة ولكن طيرانها ممتع حقاً فهى تطير على ارتفاع أربعين ألف قدم وبسرعة خمسمائة ميل فى الساعة وليس بها اهتزازات قطعاً وكان مكانى فى الأمام (مقعد نمرة ٣) فلم أسمع إلا أضال الأصوات ولكن هناك أصوات فى الخلف فهى ليست صامتة تماماً كما يقولون .

وبعد ساعتين اثنتين وصلنا روما حيث هبطنا وبقينا ساعة تناولنا فيها الشاى والمأكولات الخفيفة — ثم طرنا وفى ثلاث ساعات أخرى كنا فى القاهرة — أليس ذلك مدهشاً ؟

عند قيام وعند هبوط الكومت يصدر من الطائرة أصوات فضيحة وصفير هائل حتى أن زوجتى وأولادى وأصدقائى الذين كانوا فى مطار القاهرة الدولى ينتظروننا ظنوا أننا سنصطدم بالأرض ونهلك ! كلام يحدث لنا شئ سوى أننا استمتعنا بالذ وأطرف رحلة جوية .

شخصيات وأشخاص قابلتهم

Persons and Personalities

لن أحدثك في هذا الباب عن الشخصيات والأشخاص الذين قابلتهم عن الطريق الرسمي الخاص بشؤون العمل أو الزيارات وإنما سأورد لك الناحية الإنسانية لبعض من قابلتهم وستجدنى مضطراً أن أخفى الاسم الحقيقي لبعضهم إذ لم أستاذنهم في نشر ما أحب أن أنشره عنهم : —

المس سنيدير Miss Schneider

أخبرتكم في فصل سابق انى عندما وصلت نيويورك بعد طيران خمسة وثلاثين ساعة كنت متعباً جداً وساخطاً جداً خصوصاً عند ما تسلمت تلغرافاً يطلب منى مواصلة السفر إلى واشنطن غير أن كاتب التلغراف طلب منى أن أتلفن نمره جرسون ٢٠٠ — ٦ إن كنت أريد الاستعلام عن شىء وبدا كانت مس سنيدير هى أول أمريكية (فى أمريكا) كلمتها وشكوت لها حالى وثورق وفى الحال شعرت أنها فهمت موقفى إذ قالت لى اعطى نمره التليفون الذى تتكلم منه فى المطار . وصدقنى ، بعد خمسة دقائق بالضبط ، ردت على قائلة يمكنك البقاء فى نيويورك لآى مدة تشاؤها وقد حجزت لك غرفة رقم ١٤٦٦ فى فندق هنرى هدى بالشارع رقم ٥٩ غرب ، نخذ الليموزين (الأوتوبيس) من المطار ولا تأخذ تاكسى لأنه يكلفك كثيراً واسترح ثم احضر لمقابلتنا غداً فى أى وقت تشاء . ولما قابلتها فى اليوم التالى وجدتها مثال الكفاءة مع أنها صغيرة السن جداً . فثلا عندما أزمعت زيارة سجن ولكيل Walkill Prison لم يعلم أحد فى واشنطن كيف أصل إليه فليس هناك سكك حديدية ولكن

المس شنيدر تذكرت أنها دلت طيباً هندياً منذ ثلاث سنوات وبجئت
في دقاتها فوجدت أن شركة ديكسون للأوتوبيس تصل إلى هناك . ثم هي
التي كانت تشير علىّ بأحسن المحال لشراء الفاكهة الكبيرة — الشليك الذي
في حجم البيضضة والتفاح الذي تزن الواحدة ثلاث أرباع الرطل . وهذه
المناسبة هذه الفواكه ضخمة جدا ولكنها لا تحمل الطعم والنكهة التي تتناسب
مع الحجم وهذا يذكرني بما أخبرني به المستر سام في ضواحي كاليفورنيا من
أن أباه الإيطالي كان دائماً يذكر لهم أن الفاكهة في إيطاليا أقوى نكهة منها
في أمريكا وتشتم رائحتها قبل أن تصل إلى المزرعة بمراحل والراجح عندي
أن هذا ناشئ من كثرة استعمال المخصبات الكيماوية .

والمس شنيدر « نعمة » من السماء في بلد متسع مثل نيويورك تحتاج في
أيامك الأولى لمن يرشدك إلى ما تعمل وأين تجد ما تطلب .

دكتور بوهين بين Dr. Eugene Payne

كان من حسن حظي أن قابلت هذا الطبيب العالمي في معامل بارك
ودافيس بمدينة ديترويت . وقد قضينا ساعات طويلة نبحث شتى المسائل
الطبية التي تهمننا وهو ذو أفق واسع وخبرة طويلة من بحوثه وأسفاره وبما
لفت نظري أنه « يلف » سجاثره بنفسه ولم أر ذلك في أى شخص آخر بأمريكا
وقد ذكرني بأحمد عمد قرى مصر . وقد قدم لى سيجارة ولكنى اعتذرت
بأنى لا أدخن وقد عدت لمصر في الأسبوع الأول من شهر مارس وفي
الأسبوع التالى لم أصدق أذن عندما سمعته يكلمنى بالتليفون ليخبرنى أنه وصل
القاهرة وقد تغذينا سوياً في جزيرة الشاى بجذائق حيوانات الجيزة حيث
صورنا سوياً وهو يلبس الطربوش كما إني أقمت له حفلة شاى بمنزلى بهيليو بوليس

لأقايه بأصدقائنا المصريين والأمريكان وكنت أحب أن أرسمه لابساً الملابس البلدية ويلف سجاثره ولكنه استعجل سفره إلى الباكستان .

عائلة المستر كومندو The Komenda Family

كتب صديق الدكتور بين إلى المستر كومندا مندوبهم في روتشستر بأنى سوف أحضر لزيارة مؤسسة مايوكلينيك وأتتهز هذه الفرصة لفحص صحى . وقد قدم لى حضرته عدة خدمات فى هذه الناحية . وهو أحد تسعة أخوة موزعين فى أنحاء الولايات المتحدة . وكان الوقت عيد الميلاد فطلب منى أن أشاركهم العيد وأكون « عائلتهم » وبذلك قمت بدور العم أودور بابانويل (Father X-mas) وله ثلاث أولاد أكبرهم وعمره ١٤ عاماً يحب الفلسفة ويرجو أن يصبح عالماً فلكياً أو مصرولوجياً متأثراً بذلك بمكتبة والده ولذا أهديته كتاباً فى علم الفلك وأهداه والده بندقية لتساعده فى الحراسة أثناء حفرياته والأوسط عمره إثنى عشر عاماً وهو أميل للبيكانيكيات ولذا أهديته صندوق آلات . ومع أن والده فى حالة مالية طيبة إلا أن يوم عيد الميلاد وجدته متكدراً ولما سألته عن السبب قال أنه لم يكن يعرف أن الجرائد سوف تصدر هذا الصباح وتبين لى أنه يوزع الجرائد صباحاً ومساءً — قبل وبعد عودته من المدرسة — على الجيران ويكسب بضع دولارات شهرياً يضعها باسمه فى صندوق التوفير .

وقد قدمنى المستر كومندا لفطاحل المايوكلينيك وهم إلى جانب علمهم الغزير على قسط وافر من التواضع وحب الاجتماع ويجمعون سويماً هنا وهناك فى منازلهم ويحضر كل منهم شيئاً من المأكولات والمشروبات معه بل أن بعضهم يحضر زكية ملى بقطع الثلج للمشروبات وبهذا لا يسأمون

حياتهم في هذه المدينة التي تبق شوارعها مغطاه بالثلج من نوفمبر إلى أبريل من كل عام .

وفي مساء السبت . أى قبل مغادرتي روتشستر بيوم واحد أقيم مرقص كبير للمرة الأولى يشبه ما يقيمه الفنانون في باريس « بوزار » Beaux-Arts وقد أسفت لأنى لم يكن معى لبس فرعونى تنكرى في هذه المناسبة وقد قضينا وقتاً سعيداً مرحاً تلك الليلة . كان هناك شخصية الكولونيل بلب (Colonel Blimp) الشهير وسقط شاربه أو على الأصح سرقناه منه . وكانت هناك المهرانا الهندية تدعى أنها تغازل السائح الأمريكى وامرأة الأخير ثور من جراء ذلك . ثم كان هناك الجراح بملايس غرفة العمليات وزوجته تلبس لبس الممرضة ولا ينقصهم إلا المشارط والمريض . ثم كانت هناك السيدة الثرية (جداً) « من تكساس » ولبست ملايس غالية جداً ولو أنها تنكرية ولكنها لم تل أية جائزة فسبت ولعنت ذوق الحكام . ثم كانت هناك سيدة صغيرة إيطالية الأصل (متزوجة من أمريكى) دهشت لأنى من مصر ولا أتكلم الإيطالية !! واضطرت أن أوافقها على أن بلدها الأصلية « نابولى » أجمل من أى بلد فى أمريكا !!

وقد استمرينا فى الأكل والشرب والضحك حتى الثالثة صباحاً وخرجنا فوجدت القمر مكتملاً يسطع على الثلج الذى غطى الشوارع والمنازل فكان منظرأً خلابة لا ينسى ولكنى شعرت بقشعريرة فقلت هذا برد شديد . بل شديد جداً فأجابوا كلا أنها دافئة بالنسبة لهذا الوقت من العام فدرجة الحرارة (أو البرودة) ٣٠° تحت الصفر فقط !!

Cold !! No. It is rather Warm for this time of the year.

عندما تسمع اسم مدينة شيكاغو يقفز إلى الخيال أنها جنة اللصوص ومرتع السفاحين ونظن أن أهلها كلهم كذلك ومع هذاؤكد لك أنى لقيت أروع الأمثلة الانسانية فى تلك المدينة .

وقد حدثتك عن التوأمين برودى (Brodie Twins) وعملية فصلهما ويسرنى أن أخبرك أن التوأم الذى عاش يتقدم سريعاً فى النمو وكذلك فى الشقاوة ومحاكاة الممرضات . . ومن النادر أن نجد مجموعة كبيرة كهذه من فطاحل الأطباء تجند نفسها لعملية عسيرة مشكوكه النتيجة كهذه . ليست الناحية المالية هى المهمة بل الناحية الإنسانية التى جعلتهم يقدمون على القيام بها .



سألنى سائق التاكسى الذى كان ينقلنى من فندق اليرتون Allerton Hotel إلى محطة الجراى لاين Gray Line Bus عن جنسيتى وأخذ يحدثنى عن أصدقائه الهنود ولما علم أنى مصرى كلمنى عن فاروق والانقلاب المصرى ثم أخبرنى أن له ثلاث أولاد ييذل فى تعليمهم كل مرتخص وغال ويسأل الله أن يصبحوا مثل آل توماس لا مثل آل جرين . وكان لا بد لى أن أسأله عن خبر هؤلاء وأولئك فقال إن مستر توماس سواق مثله وله ابن مهندس يشتغل فى كارولينا الجنوبية ولكنه يرسل لأبيه قسط المنزل الشهرى بانتظام مع أنه لا ينوى السكن فى شيكاغو ولكن الابن يردد القول : إنه شىء جميل أن يعرف الإنسان أنه يمتلك منزلاً لعائلته يمكنه العودة إليه يوم يحتاج إلى ذلك .

أما ابن مستر جرين فقد تعلم الطب ولكنه بعد تخرجه تكرر لوالده وعائلته مع أنهم كادوا يستجدون المال ليطموا تعليمه وقد أصيب الوالد بخيبة أمل شديدة كادت تقضى عليه . فتشاور زملاؤه السواقين فى الأمر واستدعوا

الابن بحجة إسعاف مريض ولما حضر أعطوه علفة ساخنة ردت إليه عقله وأرجعته إلى صوابه وإلى عائلته .

هناك مثل آخر قرأته فى جريدة (شيكاغو تريبيون) عن طبيب أسنان شاب كان يسكن مع زوجته وولديه فى منزل حماته . ثم أصيب بشلل الأطفال وأصبح عاجزاً تماماً . وبكل قسوة طلبت منهم الحماة أن يخرجوا من منزلها ولما علم الجيران بذلك اجتمعوا وفى يوم واحد اكتبوا بما يكفى لشراء منزل جديد أهده للطبيب اعترافاً بخدماته لهم عندما كان فى صحته .

* * *

وما دننا بصدد سواقى التاكسى فلا تخبرك بأحدهم الذى قابلته فى واشنطن . كنت أركب معه ملياً دعوة شأى ولما اخترقنا شارع مساشوسستس Massachussettes Avenue وحاذينا الجامع الجديد أخذ يحدثنى عنه وعما به من فن وما صرف عليه . وظاهر أنه لم يخمن أنى مصرى ومسلم ثم استمر يقول : أعلم يا مستر إنه لا مانع عندى أن أصير مسلماً لاتزوج أربعة ولو أن هذا سيستلزم مصروفات كثيرة . قلت — وأنا أحاوره — ولماذا تريد أربعة ؟ قال : الأولى يجب أن تكون نابغة تشتغل وتساعد فى المصروفات المنزلية والثانية تكون شاطرة تشتغل فى المنزل والثالثة تكون جميلة لمتعنى الخاصة . قلت : والرابعة قال : تبقى احتياطى ، لتسد خانة أى واحدة تعجز من الثلاث . ثم استمر يقول : إن الزواج بأكثر من واحدة كفىل بأن يجعل كل واحدة منهن تجتهد أن تبرز ضررتها فى إرضاء زوجها . ثم قال حقاً إن سيدنا سليمان كان شيخ الحكماء ولكن لا أدرى كيف يمكن شخص واحد أن يسوس ألف زوجة !!

* * *

سأضرب لك مثليين لبيان نظرة الأمريكى إلى المال أولهما المسترب أحد مديرى شركات البترول الكبرى . قابله فى نيويورك فأخبرنى أنه يبلغ الرابعة والسنتين وسيترك الشركة فى العام المقبل ولذا يبحث عن وظيفة أخرى من الآن ليتولاهما مع أن عنده ما يكفيه لعيشة رضية ولكنه لا يمكنه أن يستكين ولما سألتى عن رأيى فى نيويورك قلت له لماذا لا تهدون قليلا وما هذا الجرى السريع ؟ قال لى : أظن أنك محق فىأتى (هو) عندما كنت أذهب إلى إرلنده أو إيطاليا أجدهم قادرين على أن يقدموا لك فنجانا من القهوة أو شرابا آخر ويتكلمون معك ساعات ومع ذلك فهم يقومون بنفس القدر من العمل الذى تقوم به هنا بدون كل ذلك الجرى .

المثل الثانى : وصلت مدينة تو كسفيل مساء يوم سبت وفى التو تلفنت المسرد . التى سوف ترتب زيارتى لوادى التنسى وقد نصحتنى بزيارة المتحف الذى فى اليوم التالى (الأحد) على أن تتقابل يوم الاثنين بعد زيارتى للخزانات . وقد تكرمت فتناولت الغذاء معى فى ذلك اليوم ووجدتها تتقد ذكاء وواسعة الإطلاع ومحبة للموسيقى خصوصا الكلاسيكية واعتذرت عن عدم إمكانها قبول دعوة العشاء فى اليوم السابق هى وزوجها قائلة إن زوجى لم يتعلم كثيرا بل فضّل أن ينزل إلى ميدان العمل مبكرا . على الطريقة الأمريكية ، وله حل للسبابة ويكسب كثيرا ولكنه لا يحب المجتمعات ولا الدعوات لأنه يشعر بالنقص ولذا يكون حزينا كل مرة ندعى إليها . ثم استطردت تقول إن هذا من الأسباب الهامة التى جعلتها تقبل وظيفة فى مؤسسة التنسى إذ يهيه لها ذلك مقابلة الناس وإشباع رغباتها فى الحديث والثقافة ، وقد وصلنى منها خطاب بعد عودتى تكرر لى القول كم تمتعت بالغذاء والحديث معى . والواقع إنى أنا يا سيدتى الذى تمتعت بمقابلتك والتحدث إليك .

مستر كلارك : كاتب فندق ليبرتي Liberty Hotel ميامي شخصية
عجيبة يشبه الفأر في استكاته وخضوعه لصاحبة الفندق . ولكنه كان خير
دليل لى عما يحسن أن أشاهده فى ميامى وشاطئها نهاراً وليلاً . وكنت
طوال إقامتى بأمرىكا أشتري جريدة نيو يورك تيمز New York Times أينما
كنت مهما غلا ثمنها لأنها الوحيدة التى كانت تنشر أخبار مصر تباعاً ويومياً
تقريباً (ولم يكن فى الإمكان الحصول على جرائد مصرية) فلما لاحظ ذلك
طلب منى أن أعطيها له بعد قراءتها - قلت حباً وكرامة . ولكنه أدهشنى
بقوله « إني لا أريد من الجريدة إلا الجزء الخاص بالمال ، : الأسهم
والسندات . فذهلت فهو لا يحمل عقلية ولا شكل من يصلحون للعلوم المالية
العالية - قد يكون حليماً لئيداً يداعبه وقد يصح : من يدرى : - على
العموم نحظ سعيد يا مستر كلارك إن كنت قد ساعدتك فى الخلاص من
عذاب صاحبة الفندق .



مستر جاربودى Mrs. Gerbode

شخصية محبوبة أخبرتنى سيدة فى سان فرانسيسكو إنها تريد أن تقابلنى
لترتب محاضرة عن مصر وتطوراتها الثقافية والسياسية وقد أخذتنى فى اليوم
التالى وفرجتنى على سان فرانسيسكو كأحسن دليل وبعد الفرجة تناولت الغذاء
فى منزلهم حيث سعدت بمقابلة زوجها جراح القلب الشهير (إقرأ مقالى عن
جراحة القلب) ولكن الذى أدهشنى أنها صممت على أن ترينى « حارات »
سان فرانسيسكو الفقيرة (Slums) فرفضت رفضاً باتاً قائلاً إني لم آت كل هذا
الطريق الطويل لأزور الأحياء الفقيرة فعندنا منها الكثير وسألتها لماذا تلح

هكذا فقالت إن بنكيرا هندية ألح عليها في العام الماضي وصمم أن تزيه هذه الأحياء : حقاً وللناس فيها يعشقون مذاهب ١١

وفي اليوم التالي حضرنا حفلة شاي في الحديقة اليابانية وصُورنا عند تمثال بوذا وكانت الحفلة تكريماً للقنصل الياباني الجديد وكان يقدم الشاي فتيات يابانيات جميلات يلبسن الكيمونو والصنادل .

وبعد الشاي ذهبنا مع الدكتور والسيدة وإبنتهم إلى حفلة كوكتيل أقيمت للدكتور باترسن مدير جامعة ترسكيجي Truskege' University الذي حضر لكاليفورنيا خصيصاً لجمع مليون ونصف دولار لمساعدة كليات الزوج لتغطية مصاريفها (وقد جمع مبلغاً مماثلاً في العام الماضي) وهكذا ترى أن الأمريكيان قد تغيرت نظرتهم كثيراً نحو الزوج . حتى في الجنوب تحول الريح لناحياتهم . ولا أنس مدير مصحة ليكسنجتون لمعالجة مدمني المخدرات وتحمسه للزوج وقوله إنهم أحسن مرضاه وإبنتهم دائماً يسعون لتحسين حالتهم بل ذكر لي أن مربيته وهو صغير كانت زنجية وكانت تحنو عليه كام ولن ينساها أبدا .

وبهذه المناسبة كان الأستاذ الطبيب الذي أسميته كولونيل بلهب في روتشستر يتكلم معي في هذا الموضوع وسألني هل تريد أن أزوج ابنتي لزنجي فأجبت أنه إن ديننا يقول إن الناس أمام الله سواء وإن أكرمهم عند الله أتقاهم . أما عن الزواج فالأحسن أن يترك هذا — في حدود خاصة — إلى الابنة فهو مستقبلها وعلينا فقط النصيحة والإرشاد .

مرض السكر : هو أساسياً مرض التغذية . غير أن صديق الدكتور
١. ب . أحد كبار رجال الجمعية الطبية الأمريكية عند ما دعاني للغداء معه

أكل من كل شيء وبكميات كبيرة جداً رغماً عن أنه يشكو من السكر المتقدم .
ولكن الذى أدهشنى أنه بعد ثلاثة أسابيع قرأت له فى الجرائد مقالا عن
السكر والتغذية يقول فيه : ليس من المتعة أو السهل أن تراعى التغذية .

. e It is no pleasure to diet

نعم يا صديق المتعة كل المتعة هى فى عدم مراعاة قواعد التغذية !! .

وبمناسبة مرض السكر دعانى صديق الكابتن هـ . لتناول الطعام فى مطعم
صينى بواشنطن وكان معنا زوجته وحماة وكان الغذاء وافراً جداً لأن
الكابتن معروف لصاحب المطعم ولكن هذه السيدة البالغة من العمر ثمانين
عاماً والتي تشكو السكر أكلت وشربت قدر ما أكلنا نحن الثلاث وتوقعت
أن أدعى لإسعافها أثناء الليل ولكن الذى حصل أنها فى اليوم التالى كانت
مرحة تصف لى رحلتها حول العالم منذ ستة شهور وزيارتها مدينة
الاسكندرية !! : يظهر أن هناك سناً معينة إذا تجاوزها الشخص يثست منه
الأمراض وتركته إلى شخص آخر يكون أكثر استجابة لها : والله أعلم .

* * *

وبمناسبة الأكل الصينى : هل تصدق أن ألدأ كلة صينية أكلتها من
يد سيدة أمريكية فى سان دييجو هى حرم الدكتور . س وبعد الأكل
أمتعتنا هى وزميلتها برقصات أهل هواى (رقصة الهولا) وكانتا لابستين لبس

تلك الجزائر !! The Hula Dance

* * *

وبمناسبة سان دييجو صدقنى أن قلت لك إنى قابلت أجمل نساء أمريكا

وأشيكهن فى تلك المدينة فى المرقص الخيرى الذى أقيم فى لوكنده كورونادو
Coronado Hotel . هن بلا شك أجمل الجميع وقد يكون ذلك بسبب
اعتدال الطقس أو هواء المحيط الهادى أو لأنهن لا يشتغلن (عادة)
أو لقربهن من المكسيك فجمعن بين الجمالين الأمريكى الساحر والمكسيكى
الساخن وقد بقينا تلك الليلة ساهرين حتى السادسة صباحا حيث أفطرننا
سويا .

الاقتصاد الأمريكي

ثلاثمائة عام في تقدم سريع جداً
الإنسان والآلة

The American and His Economy
Man or Machine

الزائر للولايات المتحدة الأمريكية يندهش من شيئين :

أولهما — اتساع المملكة وغناها . ففيها كل شيء . الزيت والحبوب والقمح والذهب والقطن وبالجملة كل ما يمكن أن يكون تحت الأرض أو ما يمكن أن ينبت فوق سطح الأرض .

ثانيهما — الناس فهم خيرة العاملين في الدنيا من كفاءة ودقة وأمانة ومثابرة على العمل . والعمل السريع المنتج ولذا نراهم يدفعون بلدهم دفعا إلى التقدم السريع . وأنت حين تنظر إليهم وإلى أعمالهم لا يمكن أن تظن أنهم مجموعة مهاجرين بل تؤكد أنهم اختيروا اختياراً ليكونوا من مستوى عال جداً . ولا أظن التاريخ يسجل لأى أمة تقدما يضارع في سرعته وفي عظيمته تقدم الولايات المتحدة في هذه الحقبة القصيرة من الزمن : إني لا أدعى أنى أعرف الكثير من علم الاقتصاد لا كدارس ولا حتى كهاو . ولكنى ذهبت إلى هناك وأنا تحت تأثير الفكرة أن أمريكا تمثل الرأسمالية أحسن تمثيل (أو هل نقول أسوأ تمثيل ١١) أى أن الغالبية مسخرة لمنفعة الأقلية) .

ولكن عندما جلست خلال البلاد — في المراكز الصناعية وفي المزارع لم أجد الحال هكذا — بل كانت الصورة تكاد تكون العكس . وفي الحق

وجدت عظماء الملاك وملوك الصناعة يفقدون ما تحت أيديهم (وأرجلهم) بسرعة عظيمة بل قد تحولت مساكنهم الفخمة الضخمة إلى مستشفيات أو مدارس أو أماكن للعبادة . ولم يكن هذا التغيير تغيرا (اشتراكيا) لأن الحكومة لم تكن لها يد في أغلبية المشاريع الصناعية أو الزراعية .

وفي الماضي كان (كبار رجال الأعمال) هم الأشخاص الذين يمتلكون المال ويقدمونه لتمويل المشاريع المختلفة ومن ثم يديرونه حسب رغباتهم . ولكن هذا لا يرى الآن إلا في المشاريع الصغيرة المحدودة . أما الأعمال الكبيرة الضخمة فقد أصبحت موزعة توزيعاً واسع النطاق بدرجة لا تجعل لأى شخص نفوذاً ما في التوجيه أو التنفيذ بل إن التوجيه أصبح أكثر ما يمكن في أيدي العلماء الإحصائيين . وإذا أردت مثلاً على ذلك فاني أذكر لك شركة التلغرافات والتليفونات فلاكها يبلغون أكثر من مليون شخص أو هيئة وغير مصرح لأحد أن يمتلك أكثر من $\frac{1}{4}$ في المائة من جملة رأس المال . أما مديرو البنوك فقد قيدتهم النشريات الجديدة فلم يصبحوا — لاهم ولا حى المال (وول ستريت) Wall Street — بقادرين على التلاعب بمصير البلاد المالى . بل إن أكثر الشركات تعمل الآن على توسيع مصانعها وتحسين إنتاجها بما توفره من أرباحها .

ونتج عن ذلك أن مدير الشركة أو الكلب الأعلى (Top Dog) كما يسمونه — وكان عهدنا به شخص متغطرس يضرب المائدة بيده ولا يطبق أن يعارضه أحد ويصدر الأوامر التي يجب أن تنفذ مهما كانت سخيفة — هذا الشخص أخذ في الزوال تاركاً مكانه للخبراء الفنيين — كما أن الاتجاه هو أن يعطى الموظف الأصغر أو ما يسمى Under Dog كل فرصة لتحسين حاله . وقد بدأ هذا الاتجاه من نحو نصف قرن والآن نرى الموظف يحصل على مرتب

أحسن عن ذي قبل ويشغل ساعات أقل كما أنه يلقي من العناية الطبية ووقت الفراغ الشيء الكثير وتنال عائلته من التعليم ورفع مستواها الاجتماعي قدراً كبيراً .

ولم تأت هذه الثورة الاجتماعية نتيجة لإعادة توزيع ثروة ثابتة جامدة. بل إعادة توزيع ثروة مندفعة نامية متحركة نحو التوسع والتقدم فكلما زادت كفاءة الشخص زاد إيراده كما أن الصناعة الأمريكية غزت حدوداً جديدة. بأن زادت القوة الشرائية للطبقة التي كانت — في ما سبق — فقيرة .

ويمكن إجمال هذه الثورة الصناعية في كلمة واحدة (الآلة) .
The Machine فالأمريكي أصبح يستخدم آلات أكثر وآلات أحسن وابتكر آلات لم تعرف من قبل . وفي الواقع كان هذا تطوراً لا بد منه إذ كيف يعقل أن تتصل أطراف هذه البلاد الشاسعة (بل هذه القارة الكبيرة) لو لم تكن هناك شبكة عظيمة من السكك الحديدية والتليفونات والتلغرافات والسيارات والطائرات . وكيف يمكن أن تزرع هذه المساحات الشاسعة والمزارع الكبيرة ومن أين لها بالأيدي العاملة الكافية — بل إن الآلة قد غيرت وجه الحياة اليومية — هذه السيارات وهذه الجرارات والثلاجات والغسالات وآلات تكييف الهواء وآلات الحصاد وآلات جني القطن ثم الراديو والتليفزيون ثم الكهرباء في كل شيء في الإنارة والمصاعد وحلب اللبن . وستعجب إذ تعلم أن ٧٨ ٪ من المزارع تستعمل الكهرباء في شتى الأغراض .

إنني لا أحب الإحصائيات ولا أريد أن أتعبك في تتبعها ولكني سأذكر لك مثلاً واحداً فقط لذلك على ما أريد وهو مدى الثروة الاجتماعية . في عام ١٩٠٠ كان لبس الجوارب الحريرية (للسيدات) علامة الترف ، في تلك

السنة صنعت الولايات المتحدة ١٥٥ ألف زوج منها . ثم جاء عهد النيلون وهو يماثل الجوارب الحريرية — على الأقل — فى سنة ١٩٤٩ صنعت و باعت الولايات المتحدة (٥٤٤ مليون زوج جوارب نيلون) أى بمعدل ٩ — ١٠ أزواج لكل بنت أو سيدة فوق الرابعة عشر من العمر .

وبمناسبة الكلام عن النيلون أظنك تعرف أنه ظهر فى السوق سنة ١٩٣٩ ومنذ ذلك الحين أخذت الخيوط الصناعية فى التقدم تقدماً عظيماً وتنوعت أشكالها وظهر إلى جانبها العديد من المنتجات الأخرى . هناك البنسلين واستربتوميسين والأوريوميسين وأمثالها . هناك المطاط الصناعى والتقدم الهائل فى الآلاتكترونات : الراديو والتليفزيون . هناك الطائرات . النفاثة والهليكوبتر . وهناك منتجات البترول التى دخلت كل صناعة . ثم هناك الطاقة الذرية وإمكاناتها فى تقدم البشر — ودعك من القنبلة الذرية . فهذه ظاهرة عرضية لابد منها لتقدم العلم والبحث نفسه . فأنت ترى التيار يسير قدماً وسريعاً ولا يدرى أحد ما سوف نرى فى الغد من العجائب والغرائب .



الآلة : شر أم خير

Machine : Master or Slave

تعودنا فى السنوات الأخيرة أن نسمع الصيحات عن شرور الآلة وإنها ستحيل الإنسان إلى « عبد » Slave لها أو شخص ميكانيكى كل وظيفته أن يؤدى عملاً آلياً مملاً . ولكن الذى حصل كان عكس ذلك تماماً فهى لم تستعبد الإنسان بل خلصته من الأعمال المضنية المملة . ولو قدرت فوق ذلك أن الأجور عالية جداً فى أمريكا لوجدت أنه لم تكن هناك مندوحة عن الاستعانة

بالآلات لتأدية ولو جزء من العمل . وقد أصبحت القاعدة هي « إذا كان العمل ثقيلاً جداً أو متكرراً فيكون هذا علامة لاستعمال (أو اختراع) آلة لتأدية هذا العمل ، ويمكن أن تنظر إلى شخص يحمل الصناديق المملأ بالبضائع على ظهره أو أكياس القطن الزهر (كما في مصر) ليرفعها إلى العربة وتقرن ذلك بالآلة الصغيرة التي ترفع هذه الأشياء بضغطك على الأزرار لتحكم معي أن تشغيل الآدميين في ذلك جريمة حقاً — بل إنني أذكر أن صاحب أحد مصانع تجفيف الفاكهة في سان جوسيه San José كان يقوم بعملية تحميل صناديق الفاكهة بنفسه لأنها لا تحتاج إلى أي مجهود .

فالآلة ليست السيدة أكثر من أن نقول أن غسالة الأطباق سيدة صاحبة البيت : كلا إنها الخادمة المطيعة الساكنة . وأذكر أني عندما كنت أذهب إلى منازل أحد أصدقائي الأمريكيين كانت سيدة البيت تريني — مفخرة — ماعندها من آلات للكنس والطبخ وحفظ الأطعمة (شهوراً عديدة) وغسل الأطباق وتحطيم بقايا الطعام والعظام والكناسة ثم طردها إلى المجارى وكلها تجعل حياة السيدة (والسيد) سهلة محتملة وتجعلها لا تتردد أو لا تخشى دعوة الأصدقاء لتناول الطعام إذ أنها كانت سابقاً تفكر دائماً في التعب والمجهود الذي ينتظرها عقب انفضاض السامر .

وإنني لأذكر أني عندما اشتريت ضيعتي المتواضعة ورأيت ما يعانيه الإنسان والحيوان في حرث الأرض عرضت أن أشتري جرارة فعارض ناظر الزراعة معارضة كاد يهدد فيها بالاستقالة قائلاً « إن البهايم رجليها تعطى بركة للأرض ، ولكنني أصرت . وهو الآن من أشد المتحمسين للجرارات بعد أن شاهد نعمتها على المزرعة . ثم فكر أيها القارىء في التلوجات الكهربائية

ولزومها لحفظ الغذاء في بلد حار مثل مصر وكيف أنها ضرورة لازمة لكل بيت إن أردنا صحة ووفرأ .

الأبحاث

وقد تسأل ما الذى أوجد كل هذا التقدم فى شتى الميادين : شىء واحد : « الأبحاث » ، Research ، وحيثما ذهبت فى أى مصنع — فى أى معمل — تجد هناك مجموعة من العلماء يشتغلون بالبحث وراء أفكار جديدة وطرق جديدة وآلات جديدة أو تحسين القديم منها . وتصرف الملايين من الدولارات على هذه الأبحاث بكل سخاء وكثير من هذه الأبحاث لا يوصل أى نتيجة عملية أو تطبيقية بل إن واحداً من كل عشر من هذه الأبحاث هو الذى يظهر أنه يمكن تطبيقه .

ولا يمكننى أن أسرد لك كل ما شاهدته ولكن سأذكر لك طرفاً مما لفت نظرى بصفه خاصة فى الكيمياء وفى الزراعة .

الكيمياء

يمكننا أن نسمى الوقت الذى نعيش فيه (عصر الكيمياء) ولن أذكر لك تقدم الكيمياء فى ابتكار شتى الأدوية والمستحضرات الصيدلانية فقد ألمحت لك عنها فيما سبق كما أنى لن أذكر التخصصات الكيماوية والفسفور ومبيدات الحشرات ومئات الأمثلة الأخرى فلا بد أنك سمعت وقرأت الكثير عنها .

ولكنى سأذكر لك شيئاً عن ذلك الذى أصبح أكثر مُكسب للمال وأعنى به
(المنسوجات) وبعبارة أوضح (الخيوط الصناعية) .

لقد زرت مصانع دى بونت De Pont فى وادى التينيسى وهو أول
من اخترع واستعمل النيلون وقد أدهشنى أن أرى هذه الخيوط تصنع —
هل أقول — من لاشى ١١ وقد ظهرت كما سبق أن قلت فى سنة ١٩٣٩
ثم أخذت هذه المؤسسة فى ابتكار خيوط أخرى أطلق عليها أورلون
Orlon ثم داكرون Dacron .

ثم بعد ذلك تبعها المؤسسات الأخرى حتى أصبحت الآن الخيوط
الصناعية تمثل ربع المبيعات فى كل صناعة المنسوجات .

وقد شاهدت الاكريلان Acrilan الذى تنتجه شركة مونسانتو
Monsanto وقد تكلف المصنع بل المصنعين (لأنه يتم فى عمليتين) ملايين
الملايين من الدولارات .

(١) فى الدور الأول ، فى مدينة تكساس Texas City تكون
العملية كيمياوية صرفة ويتم بتحويل الهواء والنشادر الغاز العادى إلى سائل
يسمى Acrylonitryle بإضافة بعض الكيماويات ثم تنقيتها .

(٢) وفى ديكاتور Decatur (Alabama) يتحول السائل بواسطة
عمليات ميكانيكية متعددة إلى مسحوق أبيض ثم إلى سائل سميك يشبه
العصير Syrup ثم إلى خيوط الاكريلان . وعند ما ترى النسيج النهائى
بالوانه البديعة لا يمكن أن تظن أن هذا كله خرج من هواء ونشادر ١١ ؟

الفـلاحة

لأجل أن نقدر أهمية عمل الأبحاث لتقدم الزراعة والفلاحة يجب أن نذكر أنه في سنة ١٨٠٠ كان ١٠ من كل ١١ شخصاً في الولايات المتحدة يشتغل بالزراعة أى كان كل واحد يهتم بتغذية نفسه . أما الآن فأصبح عدد المشتغلين بالزراعة لا يتعدى عشرة ملايين شخص — أى أن كل واحد منهم لا بد أن يغذى خمسة عشر شخصاً من مواطنيه ومعنى هذا أنه يجب زيادة إنتاج الحبوب من نفس المساحة وزيادة إنتاج البيض من نفس عدد الدجاج وزيادة إنتاج اللحوم .. الخ كما أنه يجب مقاومة شتى الأمراض والأوبئة التي تصيب الزرع والحيوان . وتغذية سكان الولايات المتحدة تكلف نحو ٣٣ بليون دولار سنوياً وهو مبلغ ضخم يستأهل أن يشمل كل أنواع البحوث المختلفة الأغراض فهناك البحوث على المخصبات لزيادة غلة الأرض وتحسين نوع النبات . وعلى الحشرات ومبيداتها والأمصال حتى يعيش النبات والحيوان مدة أطول وينمو أحسن وكانت نتيجة هذه الأبحاث مشجعة ومجزية جداً فزادت غلة الأرض والحيوان بمعدل ٤٣ — ٥٥ ٪ وباستعمال الآلات زاد الإنتاج ١٢٦ ٪ فلا عجب إن ترى هناك أكثر من ٧٠٠ محطة تجارب موزعة في شتى أنحاء المملكة .

وأظهر ما تكون نتائج هذا التحسن في الولايات الجنوبية وكانت الأرض قد أجهدت لإجهاداً شديداً نتيجة لزراعة محصول واحد هو القطن (كما في مصر) أو الدخان . أما الآن فقد أصبحت مصدراً وفيراً للغذاء من فاكهة وحبوب وطيور وحيوان ولذا زادت قيمة الأرض إلى ثلاثة أمثالها نتيجة لاستعمال الآلات بالإضافة إلى الطرق الحديثة الأخرى .

هذا فيما يختص بالأرض والنبات . أما الحيوان فكانت النتائج أعجب وأدهش فعلاوة على منع الأمراض ومحاربة الأوبئة فقد وجدت سلالات جديدة حسب مطالب (الزبائن) أو الاحتياجات ولا تظن أن خلق سلالة جديدة بالشئ الهين بل هو يحتاج إلى سنين طويلة من التربية والخلط ثم اختيار الأنسب واستبعاد غيره . وقد رأيت طيوراً وحيوانات يمكن أن تسمى (خلائق جديدة) بكل معاني الكلمة : فثلا هناك خنازير ضخمة بها نسبة عالية من اللحم ونسبة قليلة من الشحم . ثم هناك الفرائخ الفضية (Silver Cornish Chicken) وهى «معمولة» خاصة للشواء إذ أنفاذها ضخمة بشكل غير عادى . وهناك خراف تحمل الكثير من اللحم والصوف الجيد فى وقت واحد . أما الثيران والأبقار المدرة اللبن بكميات هائلة فعليك أن تراها لتصدق . وفى سبيل ذلك تستعمل الهرمونات للحيوان والنبات ومضادات الميكروبات (Antibiotics) للمساعدة فى النمو ومقاومة الأمراض فضلاً عن الفيتامينات وقد تكرم رجال معامل ليدرلى Lederle بنيويورك للأدوية بإعطائى بعض هذه المواد لتجربتها على الدواجن وهى مواد متبقية من تحضير الأوربوميسين الذى اختصت بتحضيره معامل ليدرلى . وتحتوى هذه المادة على فيتامين ب ١٢ .

وهكذا ترى فى كل مصنع وفى كل مكان معامل للأبحاث . فلو عرفت أن الأمريكى لا يصرف دولاراته إلا حيث يعرف أنها ستعود إليه أضعافاً مضاعفة فلا تعجب للملايين التى ينفقونها على أبحاثهم لا فى داخل الجامعات فقط (كما يفعل غيرهم) بل فى كل مكان .

الخلاصة

إن التقدم السريع العظيم في الإقتصاد الأمريكى ناشئ من استعمال الآلة وهذه بدورها تدين في تقدمها للباحث المنتشرة في كل مكان والآلة خادِم مفيد لا سيد غشوم . في الوقت الحاضر يخلئ ملوك الصناعة مكانهم للنشآت الصناعية الكبيرة (Corporations) . والإقتصاد الأمريكى آخذ في الزيادة (من حيث القيمة) وفي نفس الوقت اتسع توزيعه . والطبقة الوسطى (إن شئت أن تسميها كذلك) آخذة في الزيادة والمشاركة في الإقتصاد النامى المتحرك كما أن منسوب الحياة لم يكن أبداً أعلى مما هو عليه الآن .

الأمريكان

The Americans

من ساعة وصولي إلى مصر والجميع يسألني مراراً وتكراراً ما رأيك في الأمريكان وكيف وجدتهم . وسبب ذلك أننا تعودنا في مصر أن نصف كل شيء غير عادى أو شاذ بأنه أمريكي ١١ وأغلب الظن أننا كونا رأينا هذا من أن أمريكا بلد بعيد جداً عنا فعلوماتنا عنها ليست مباشرة بل مستقاة من الأوربيين وهم ليسوا دائماً منصفين .

وقد ذكرت لك أنه ولو أن زيارتي للولايات المتحدة كانت بدعوة رسمية من حكومتها إلا أنه ترك لي الحرية التامة منذ المبدأ في اختيار البلاد التي أزورها والناس الذين أرغب أن أقابلهم . وقد جبتها من أربعة أركانها وإن كنت طبعاً لم أزركل مقاطعاتها . إلا أنني التقيت بمختلف البيئات بما يسمح لي بإعطاء فكرة صحيحة عنهم ولذا سأحاول أن أجيب عن بعض ما سئلت عنه .

(أولاً) في أمريكا تجد أمامك الفرصة لتصل إلى القمة : لتصبح مليونيراً أو سفيراً أو رئيساً للجمهورية حتى ولو ابتدأت من القاع . والشرط الوحيد لبلوغك هذا الارتفاع هو أن تعمل له بنفسك — ليس هناك من يساعدك — إنها مهمتك وعليك أن تقوم بها وتتمها بمجهودك الشخصي .

(ثانياً) لا توجد هناك طبقات ، قط لا أرستقراطية ولا غيرها . حقيقة إن بعض المهاجرين الأوائل حاولوا خلق طبقة أرستقراطية وكونوا لهم مدارس خاصة ونواد خاصة وأحياء خاصة ولكن كل هذا مات نتيجة

للمعارضة الشديدة — معارضة الأغلبية الساحقة . واليوم الامتياز الوحيد الذى يمكنك الحصول عليه ويميز البعض بالنسبة للبعض الآخر هو « النجاح » Success وهذا بدوره يقاس بما يمكنك كسبه من « المال » أو « تصل إليه من مركز علمي أو أدبي » فهل تعجب إذن عندما ترى كل فرد يشتغل ويشتغل لينىد من مقدار ما يكسبه حتى يمتاز على غيره . ومن منا لا يحب أن يمتاز ؟ . ثم إن المال هو الطريق الوحيد للحصول على كل هذه المتع المعروضة فى الحوائت للاستعمال فى المكاتب والمنازل وكذلك لرفع مستوى الحياة المادية والثقافية لك ولعائلتك .

والبعض يعيب على الأمريكى سعيه لجمع المال ولكن قل لى بالله أين هذا الشخص أو الأشخاص الذين لا يحبون المال . فى أوروبا (وغيرها) نرى الارستقراط والهيئات الحاكمة تستنزف أموال الملايين بالضغط والضرائب ، أما فى أمريكا فلا توجد طبقة ارستقراطية تمتص الدماء وحتى المليونير تراه يستمر فى العمل ليظهر لمواطنيه أنه لا يزال قادراً على الإنتاج . وهناك حقيقة لمستها وهى أن الأمريكى لا يحكم عليك بمقدار ما تملك من مال أو مركز عال بل بالكيفية التى حصلت بها على هذا المال وذلك المركز ، فشلا وجدتهم لا يوافقون على جمع المال لغرض تعليمي (وهو غرض شريف) عن طريق عمل اليانصيب بل يفضلون أن يكون ذلك عن طريق التبرعات .

قارن كل هذا بما يجرى فى أوروبا : فى فرنسا مثلاً ، هناك الدوطة وكلما كانت أكبر كلما زاد إغراؤها بل إن « حضرة العريس » قد يكسب مرتبه من تشغيل هذه الدوطة فى تجارة أو صناعة . أما فى الولايات المتحدة فتجد أنه

مهما كانت ثروة والدى الزوجة . عظيمة فالعادة أن الزوجين الشابين يعيشان في حدود ما يكسبه الزوج إذ هو يشعر بالمهانة إن اعتمد على ثروة حماء .

وهناك ظاهرة أخرى رائعة تلك هي أن الأمريكى عند ما يحصل على قدر من المال — كبر أو صغر — فليس المهم عنده أن يحتفظ به بل أغلب الظن أنه يسعى للارتفاع به بطريقة أو بأخرى . وإذا فقد الأمريكى كل ماله فلا يشعر أنه فقد جزءاً من نفسه ويروح يصخب هنا وهناك ويشكو لكل إنسان بل العكس هو الذى يحصل إذ يجتهد الأمريكى أن يخفى كآرثته حتى لا تفسر على أنه لم يفلح في عمله . وبدلاً من الصخب يبدأ من جديد لاصلاح حاله وتكوين ثروة جديدة مستفيداً بما يكون قد ارتكبه من أخطاء بيننا الأوروبي في ظروف مماثلة . يثير العالم أجمع بل يسر كل السرور إن أمكنه الحصول على المال بدون أى تعب . وقد كتبت صحيفة باريسية عقب الأزمة المالية التي حصلت عام ١٩٣٠ تقول : لو حصلت هذه الأزمة في فرنسا لرأينا كارثة وذعرا ومصائب وانتحارات ومظاهرات في الشوارع واضرابات وأزمة وزارية كل ذلك في يوم واحد .

أما في أمريكا فكل شيء هادئ وضحايا الموقعة جالسون يحصون خسائرهم ويستجمعون أفكارهم ويرتبون مستقبلهم — ثم مضت الصحيفة تقول : حقاً إن فرنسا وأمريكا عالمين مختلفين في حضارتيهما وفي طرق تفكيرهما .

كل هذا حق ولكن لا بد لي أن أعترض على استمرار الأمريكى في جمع المال حتى بعد وصوله إلى سن متقدمة . إن إغراء المال شديد . هذا حق . ولكن للجسم وللروح مطالب لا بد من الاستجابة إليها والاستجابة إليها في

الوقت المناسب . أما إذا ظننا أننا يمكن تأجيل هذه الاستجابة حتى ننتهى — وهى لن تنتهى — فأغلب الظن انه لن تتاح لنا هذه الفرصة للراحة والاستمتاع أو سوف نجد أنفسنا — عند ما تتاح — أننا أصبحنا فى حالة صحية لا تسمح بأى استمتاع . أنظر للقوم فى نيويورك — يخلل إليك وأنت تراه فى المكاتب أو الشوارع أنهم جميعاً فى سباق سريع مريع .

(ثالثاً) وجدت الأمريكى مستعداً دائماً ليريك عمله ويشرح لك دقائقه ويدلك على كيفية تنفيذه — وقد تظنه مفاخرأ — وماذا فى هذا — غير أنه يحب منك بل ويلج عليك أن تقلده وتقوم بنفس العمل . وقد نعد هذا منه سداجة لو قسناه بالمعايير الأوروبية ولكنها فى حقيقة الأمر علامة الثقة بالنفس .

(رابعاً) الأمريكى شخص طيب القلب سهل التعارف إليه كما هو الحال عندنا فى مصر وهو عندما يلقاك يصاحبك ويفضى لك بمكنوناته من مسرات ومن متاعب . وقد جعلنى هذا الخلق الرضى أستمتع بكل دقيقة قضيتها فى الولايات المتحدة وكونت لى صداقات كثيرة وإنى لمسرور أنى ألتقى منهم خطابات رقيقة عزيزة منذ عودتى من أمريكا .

(خامساً) لقد تغيرت نظرة الأمريكى إلى البلدان الأخرى والأمم الأخرى تغيراً حاسماً فى السنوات الأخيرة . وكان مبدأ العزلة هو الذى تدين به الغالبية من السكان وأغلب الظن أن هذا كان سببه أنهم أصلاً من المهاجرين الذين تركوا بلادهم نتيجة لعدم الرضا عن حالتهم المالية أو الدينية أو السياسية أو الاجتماعية فلم يكن لديهم أى ميل لتذكيرهم بالدنيا القديمة ومتاعبها . يضاف إلى ذلك أنهم أصبحوا الآن فى بلاد تكفى نفسها بنفسها وتغنى أهلها

فهم لا يطلبون إلا أن يتركوا وشأنهم ولا يريدون أن يشتركوا في هذه المشاكل التي لا نهاية لها ولا حتى يريدون أن تذكر لهم .

ولكنهم بعد أن اشتركوا في حربين عالميتين أخذ الجندي الأمريكي والمواطن الأمريكي يشعر أن العالم دوحدة ، لا تتجزأ فإذا أردت أن تعيش دحرأ ، فيجب أن يكون غيرك أيضاً دحرأ ، ثم وجدوا أن السياحة وتبادل الآراء تمتع حقاً ولذا أصبح أنصار العزلة قلة واضحة بل أن دالبندول ، انتقل إلى الجانب الآخر بصورة واضحة . وإنى هنا لا أتكلم عن الضمان المتبادل أو النقطة الرابعة أو ما إلى ذلك فهذا ليس مكان بحثها فضلاً عن أنها سياسات رسمية حكومية . بل إنى أتكلم عما لمستهُ شخصياً أثناء رحلتى . فمثلاً في اليوم الثانى من وصولى إلى واشنطن دعيت لزيارة المركز الدولى (International Center) وهناك استقبلت استقبالا وديا للغاية وتعرفت إلى القائمين بأمره وقدمونى بدورهم إلى الضيوف وهم دقادة ، من مختلف بلاد أوروبا وبعض بلدان آسيا فكانت فرصة طيبة للتعرف بهؤلاء السادة الأفاضل وتكلم كل منا عن بلده ومشاكله وكان ما سرنى أكثر من غيره أن رئيس الاجتماع وهو أمريكى قال وكرر أن الناس — فى كل بقاع العالم — كلهم سواء وأتأنا — أى الزوار — سوف نلحظ فى خلال رحلتنا أن هناك تبايناً بين بعض سكان الولايات وبعضها الآخر أكثر من التباين الموجود بين الأمريكان كمجموعة وغيرهم من الأمم .

وأنت ترى معى أن هذه روح طيبة بل طيبة جداً إذ ينشأ عنها تفاهم وهذا التفاهم قمين بأن ينتج سلاماً عالمياً .

ولا أدل على الروح الجديدة لدى الأمريكان وتركهم دين العزلة - من أنى كنت أطلب أينما حللت أن أتكلم عن مصر وأشرح بواعث الانقلاب الذى قننا به ونوايا العهد الجديد ومشاريعه . خطبت فى نيويورك وواشنطن وروثشتر وسان فرانسيسكو . وفى سان دييجو لم يكتف أبطال البحرية فى هذه المدينة الأخيرة بالاستماع والمناقشة بل طلبوا منى أن أبعث بتحياتهم الحارة إلى الجنرال نجيب وأطيب تمنياتهم فى نجاحه هو والشعب المصرى فى عهده الجديد (وقد قمت مسروراً بتبليغ الرسالة فى حينها) .

(سادساً) أما كرم الضيافة الأمريكى فحدث عنه ولا حرج وأنت ولا شك لتعجب عند ما تجد أحد كبار رجال الأعمال يترك مهامه ليستضيفك ويكرمك ويتحدث معك عن كل المواضيع . بل إن كل من تتعرف إليه يدعوك لشراب أو طعام حتى لو كنت فى نيويورك ؟ وإنى أنتهز هذه الفرصة لأشكرهم جميعاً لا لكرمهم فقط (الذى يذكرنا بكرم العرب الأجداد) بل للفرصة العظيمة التى أتاحها لى هؤلاء الأصدقاء لأدرس الحياة الأمريكية والخلق الأمريكى .

كلمة ختامية

عند ما كنت أزور معهد الأمراض المعدية في مدينة أطلانتا (بولاية جورجيا) عرضوا عليّ وظيفة بحاثّة في البكتريولوجيا فشكرتهم شكراً جزيلاً ولكنني اعتذرت عن قبولها . وفي مرة أخرى كنا في اجتماع خاص وسئلت هل أفضل العيش في إنجلترا أو في أمريكا ولكنني أجبت إنّي أفضل زيارة إنجلترا وزيارة أمريكا ولكنني أحب أن أعيش في مصر .

وتسألني يا قارئ العزيز لماذا اعتذرت عن قبول الوظيفة ولماذا أعطيت ذلك الجواب لأصدقائي وصدقني أنّي لا أعرف الرد على وجه التحقيق : قد تكون هي هذه البلاد (مصر) ومناخها المعتدل — قد تكون العائلة — وقد يكون السبب أن مصر الحبيبة أسعدتني أدياً ومادياً أو قد يكون أنّي قد عشت هنا مدة طويلة لا تسمح لي بعمل أي تغيير الآن أو قد تكون كل هاته العوامل مجتمعة . صدقني لا يمكنني أن أخبرك على وجه الدقة . ولكن تعزيتي هي أن أصدقائي الامريكان الذين سبق أن خدموا في مصر (وأولادهم الصغار أكثر منهم) كلهم يتوقون للعودة إلى مصر والعيش فيها مرة أخرى .

فهرس

صحيفة	صحيفة
١١٦ اطالاتا (ولاية جورجيا)	١ مقدمة الكتاب
١٢٢ وادى التنيسى	٩ واشنطن
١٣٠ معالجة الجريمة والانحراف فى أمريكا	٢٢ نيويورك
١٦٨ ماذا بأكلون وأين ؟	٣٧ السينيراما
١٧٥ بعض النواحي الطبية لارحلة	٤٢ بلانتيروم هايدن
١٩٧ بعض العجائب الطبية	٤٩ ديترويت
٢٠٧ قطع غيار لجسم الإنسان	٥٣ شيكاغو
٢١١ الطيران إلى أمريكا وقوقها	٦٢ سان فرانسيسكو
٢٢١ شخصيات وأشخاص قابلتهم	٨٨ لوس انجيلوس وهوليوود
٢٣٢ الإقتصاد الأمريكى — الإنسان والآلة	٩٥ سان دييجو
٢٤٢ الأمريكان — رأى فيهم	٩٩ تيجوانا (المكسيك)
٢٤٧ كلمة ختامة	١٠٣ مياى وشاطلى • مياى

«طبعة عالمية» ١٦ شمس سرخس

تليفون ٢٩٣١٧

لماذا ألفت هذا الكتاب ؟

« قضيت في زيارتي للولايات المتحدة الامريكية اربعة أشهر ، جبت خلالها الدبار من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها في رحلة قطعت فيها أكثر من بلايين ألف ميل .

وقد قابلت خلال ذلك مخلف طبينات الشعب ، من الطبيب البارع الى الجندي الباسل والمهندس النابغ والصانع الماهر والزارع الفالح والعامل المجد . . وشاهدت المصانع الهائلة والمزارع النموذجية ودور العلم ومعاهد الاصلاح والقويم . كما صاحبت الامريكي في مخلف أوجه نشاطه العلمى والصناعى والاجتماعى والثقافى . وشاركته في جده وفى لهوه . فى حياته العملية اليومية وفى حياته العائلية المنزلية . وركبت معه السيارة والقطار والبخرة والطائرة والهيلوكوبتر . . حتى الفواصة مخرنا بها المحيط .

وتراعى لى ان جماع هذه المشاهدات حرى بأن تدون فى كتاب ، خاصة واننا انجھنا فى الحقبة الاخيرة الى ارسال رجالنا وشبابنا لتلك البلاد للدرس والدراسة ، كما ان الامريكان عرفوا - ولو مؤخرا - أهمية التفاهم المتبادل بيننا وبينهم .

وليس الغرض من كتابى هذا ان يكون دليلا سباحا ، ولا ان يكون دراسة مستفيضة للمشاكل التى تواجههم هناك - وتواجهنا هنا - بل كل غرضى من تسجيل مشاهداتى - ما أعجبنى ومالم يعجبنى - ان يكون مرشدا لمن يريد زيارة تلك البلاد . فان تحقق هذا الغرض فسيكون ذلك مدعاة لغبطتى وارتياحى . .